

شريعة اَكْرَبَ عِنْدَ الْيَهُودِ

تأليف

السيد محمد يحيى البهري

بكالوريوس كلية التجارة (القاهرة)
وتاجر أفشة بالخمزاوي

الدكتور حسن طنطا

أستاذ الدراسات العبرية بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

١٩٧٦

حقوق الطبع محفوظة المؤلفين

شريعة ابراهيم عند اليهود

تأليف

السيد محمد بن محمد

بكالوريوس كلية التجارة (القاهرة)
وتاجر أقشة بالجزاوى

الدكتور حسن طه الحجا

أستاذ الدراسات العربية بكلية آداب
جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

١٩٧٦

حقوق الطبع محفوظة المؤلفين

اهداء

يتقدم المؤلفان « الدكتور حسن ظاظا » و « السيد محمد عاشور »
باهداء هذا الكتاب إلى كل من المهندس « وائل معطفي عاشور »
و « المهندس مالك حسن ظاظا » .

دار الاتحاد القومي للطباعة
لصاحبها: محمد عبدالرازق
١٩ كنيسة الأزمن من شارع الجيش
تليفون: ٩٣٤٠٩٨

K
50
J5Z 39



الدكتور حسن ظاظا

أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية



السيد محمد عاشور
بكالوريوس كلية التجارة وتاجر أقمشة باخراوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الأمة الإسرائيلية نموذج فريد من نوعه من المجموعات البشرية التي عرفها التاريخ وهي تنفرد بجمع المتناقضات في شتى مظاهر الحياة فهي مثلا تدعى أصالة النسب وعراقة الجنس ومع ذلك تقرر أن اليهودي هو من كانت أمه يهودية لانعدام الثقة في أبيه وهي تكاد تحتكر النبوة ولانكاد مع ذلك تتبع نبياً واحداً في إخلاص لا في حياته ولا بعد مماته وهي تقول إن أبناءها أبناء الله وأن الرب الواحد هو الإله الحليف والحامي والقائد ثم تعبد العجل بعد ذلك كله .

وهي تضرب كل الأرقام القياسية في عدد الأثرياء من رجال المال والأعمال وأصحاب الملايين ثم لا تسكف عن الشكوى من الفقر وعن مد العيون والشمال لجمع التبرعات والصدقات .

وهي أخيراً تتشدد بالسلام وتذكر ضحاياها على مر القرون في جدول من الدموع والأحزان من أيام فرعون وبختصر وقيصر الرومان إلى أيام قيصر الروس وهتلر ومع ذلك إذا دار الحديث عن الحرب وجدناهم يصلون ويجاؤون في الميدان ويطنطنون بسلاسل من أسماء الأبطال والفرسان الذين واكبوا تاريخهم من يوشع بن نون إلى شمشون الجبار إلى داود هازم جالوت إلى شمعون المكابي مدوخ اليونان إلى باركوخبا مزعزع سلطان الرومان ثم ما كان في العصر الحديث من أيامهم ضد العرب لاسيما أيام سنة ١٩٤٨ والأيام الستة من يوفية سنة ١٩٦٧ .

(ح)

ويطول سجل المتناقضات لو حاول الباحث استقصاءه في تكوين المجتمع الإسرائيلي الحديث ولكن ظاهرة الحرب هي الشغل الشاغل لأولئك الأقوام في أيامنا هذه أكثر من أى وقت مضى لأنهم وهم عباد رب يصفونه بالعدل والرحمة والمقدرة قد جردوا أنفسهم من ثياب العدل والرحمة والمغفرة واكتسوا سراويل العدوان والحقد والثأر وراحوا يدبرون الأمر للانتقام مما أصابهم في اكتوبر سنة ١٩٧٣ فطوراً يصلون راكعين على الركبتين لآله العلى ولكن لوزارة الدفاع الأمريكية لكي تقدم بمزيد من الأسلحة الفتاكة المباح منها والممنوع ويتمرغون على الأرض أمام كل من يقدم بقنبلة ذرية يفجرونها في الجسم العربى الذى أثنوه بالجراح على مدى ما يناهز الثلاثين عاماً .

فظاهرة الحرب في إسرائيل ليست كغيرها من متناقضات هذا المجتمع لأن الظواهر الأخرى المتناقضة قد لاتعنى مباشرة غير أوامك الناس . أما الحرب فإنها خطة دامية نارية مدمرة لا بد أن يصلى ليهيها غيرهم حتى ولو خرجوا منها منهزمين فهم في الحروب كسلفهم شمشون لا يخوضونها بفروسية وشرف ونزاهة وإنما يواجهونها بكلمة أخيرة هي كلمة هذا السلف القديم «على وعلى أعدائى» .

ومن هنا كان الحافز الذى حدا بالصديق العالم الباحث الأستاذ سيد عاشور إلى تقدم الصفوف وخوض غمار بحث دقيق عن تاريخ اليهود مع الصراع المسلح وكنت أنا أرقب صولاته وجولاته في هذا الميدان الصاخب ولا أكاد أشعر بأنه في حاجة إلى نجدتى إلا في مواقف نادرة .

وهكذا سيجد القارىء لهذا الكتاب وصفاً تاريخياً وفتياً مفصلاً لطريقة اليهود في فهم شريعة الحرب نظراً وتطبيقاً عبر العصور فهى دراسة

(ظ)

تضاف إلى سجل حافل من فتوحات المؤلف نحو فهم عميق ودقيق للعقلية
الإسرائيلية في شتى المجالات نحن أحوج ما نكون إليها الآن وبيننا وبين
أولئك الجيران المزعجين وقائع دامية لا يريدون لها أن تنتهى .

والله يفعل ما يريد .

دكتور مسس ظا

أستاذ اللغة العبرية

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

تصدير

أسعدني الحظ بالاطلاع على مخطوط هذا الكتاب القيم لصديق الكبير الأستاذ السيد محمد عاشور ، والعالم الجليل الأستاذ الدكتور حسن ظاها ، والكتاب يعتبر مرجعاً فريداً في تحليل بني إسرائيل منذ نشوئهم ، وعبر تواريخهم ، نعم فهم قوم لهم « تواريخ » لا تاريخ واحد وكل تاريخ منها يتميز بظاهرة معينة ، هي لسوء حظهم علامة سوء ، ودلالة شر تضاف إلى ماسبق لهم من علامات ودلائل ، فالأعناق الغليظة . . . والقلوب الغلف . . . ، والتعنت . . . ، والجبن . . . ، وتحريف كلام الله المنزل على أنبيائهم . . . ، وقتلهم أوائهم النبيين بغير حق . . . ، وغير ذلك مما تفيض به تواريخهم تؤكد لنا أن هؤلاء القوم ليسوا هم شعب الله المختار ، ولا يحق لأحد منهم اليوم أن يدعى أنه وريث إسرائيل ، أو مجدد شريعته ، فلقد انتهت هذه الشريعة بظهور السيد المسيح عليه السلام ، ثم تقرر مصيرها نهائياً ببعثة الرسول العربي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين جميعاً .

وقدرأيت أن أقدم بين يدي السادة الأفاضل قراء هذا الكتاب . بعض آيات القرآن الكريم التي تعرضت لوصف بني إسرائيل وتحليل صفاتهم الكامنة ، وغرائزهم التي فطروا عليها ، والتي كتب الله عليهم أن يظلوا عليها إلى يوم القيامة . . . فيكون في هذه الآيات نور يضيء الطريق أمام القارئ ، ويدعم ما يجده في طيات هذا الكتاب من تقرير للحقائق الكامنة في بني إسرائيل :

(ك)

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم :

• ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون .
(البقرة ٩٦)

• أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون .
(البقرة ١٠٠)

• قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .
(البقرة ٩٤/٩٥)

• فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين .
(المائدة ١٣)

• من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً .
(المائدة ٣٢)

• وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ويزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ، وأقمنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين .

(المائدة ٦٤)

(ل)

• « أفنطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » .
(البقرة ٧٥)

• « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا » .
(النساء ٤٦)

• « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .
(المائدة ٤١)

• « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .
(البقرة ٦١)

• « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » .

(آل عمران ٢١)

• « إن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ، ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » .

(آل عمران ١١١ ، ١٢)

• « وأنزل الذين كفروا من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم

الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً .

(الأحزاب ٢٦ ، ٢٧)

• وهو الذى أخرج الذين كفروا من أهل المكاتب من ديارهم لأول الحشر .
ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين
فاعتبروا يا أولى الأبصار .

(الحشر ٢)

• ولا يقايلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم
شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

(الحشر ١٤)

صدق الله العظيم

محمد جعفر الجبالي

مدير المؤسسة الاستهلاكية العامة

سابقاً

بِسْمِ اِنْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اليهودى ميال إلى اغتصاب حقوق الغير نزاع إلى الشر تواق إلى شن الحرب على الغير يبذل قصارى جهده لسرقة ما فى أيدي الناس ظلماً وعدواناً .

تلك هى طبيعته الشريرة لا تنفصل عنه منذ القدم ظهرت تلك النزعة السيئة عند ما رأيناه يريد اغتصاب أرض فلسطين من الكنعانيين أصحاب الأرض الشرعيين لولا أن الكنعانيين هزمهم شر هزيمة .

كان ذلك من ألفين من السنين قبل الميلاد .

واليوم ونحن فى القرن العشرين بعد الميلاد نراهم يعاودون الكرة فيتسللون إلى فلسطين متخذين أشكالاً مختلفة وأساليب ملتوية ليضعوا أيديهم على تلك الأراضى العربية ، ويشنون الحرب تلو الحرب لعلمهم يظفرون بما يريدون .

ولسكن العرب كانوا لهم بالمرصاد فكانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ وبالا على اليهود وباؤا بالحسر ان المبين بعد هزيمتهم النكراء .

شاهدت هذه الحروب الأخيرة وقلت فى نفسى هل هى طبيعة اليهودى شن الحرب على جيرانه وهل من عقيدته اغتصاب أراضى الغير بحق وبدون حق .

بحثت كثيراً فوجدت أن تلك الطبيعة تنبع من تراثهم الدينى يبحث على التخلق تلك العقيدة السيئة ويدعو إلى النزعة الشريرة التى عرفوا بها على مر العصور .

ودرست هذا التراث الذى يتمثل فى التوراة والتلموذ وكتابات الشراح

والمفسرين اليهودي ولاحظت أن هذه الكتب جميعها تدعو إلى الشر والاعتداء على الغير .

وكان لزاماً على بعد ما اتضح لي ما يحتويه هذا التراث أن أطلع القارىء على مضمون الشريعة اليهودية ومبادئها تجاه اليهودى وغير اليهودى فيما يتعلق بالحرب التى كانوا يشنونها دائماً لا لسبب اللهم إلا بما يعود عليهم بالفائدة حتى ولو دعا ذلك إلى مس دماء الغير .

وقت بوضع هذا الكتاب واستعرضت فيه ما احتوته التوراة والتلود من مبادئ خاصة بالحرب وعلاقة اليهود بالأجانب (الجويم) وموقفهم أثناء الحرب وبعدها .

كما لم أغفل آراء أجباز اليهود (رجال الدين) فيما يتعلق بهذا الموضوع محاولاً أن أنقل للقارىء مختلف آرائهم فى العصور المختلفة التى تنتهى كلها إلى أن هؤلاء القوم لا تختلف طبيعتهم الشريرة نحو الغير مهما اختلفت العصور وتباينت السنون فهم نزاعون للشر مهما أبدوا من نوايا وكلام فيه السم الزعاف إذ هم يظهرون خلاف ما يبطنون .

وإنه لمن دواعى الفخر أن قبل صديقى الأستاذ الدكتور حسن ظاظا أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية مشاركتى لإخراج هذا الكتاب عندما عرضت عليه فكرته والهدف منه .وقد كان لأرائه السديدة وتوجيهاته البناءة عظيم الأثر فيما تضمنه هذا الكتاب من معلومات أرجو أن يفتتح بها القارىء .

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة الطيبة أن أقدم شكرى إلى كل من ساهم برأى أو توجيه أفاد فى إخراج هذا الكتاب ، وأخص بالشكر صديقى الأستاذ محمود جعفر الجبالى .

(ع)

ولا يسعني أيضاً إلا أن أشكر الدكتور شعبان سلام والأستاذ
عبد الرازق قنديل مدرس الأدب العبري بكلية اللغات والترجمة بجامعة
الأزهر وأشكر أيضاً العقيد إبراهيم سالم شكيب والمقدم عادل محمود رياض
على ما شاركوا به من رأى .

كما أشكر صديق المحاسب يسرى بدر الدين عثمان لاهتمامه بمراجعة
أصول الكتاب ، وما بذله من جهد حتى خرج الكتاب إلى يدي القارىء .

القاهرة في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٧٦

السيد محمد عاشور

الباب الأول

التعريف بالتوراة

(العهد القديم)

إنه من الواجب قبل الكلام عن الحرب في الشريعة اليهودية - نرى من الأفضل أن نعرف القارىء بالتوراة وأجزائها والتي يطلق عليها اسم الأسفار ، وما تحتويه هذه الأسفار من مضمون؛ ليقف على النصوص التي تتعلق بموضوع الحرب .

العهد القديم

يتكون العهد القديم من :

١ - التوراة وهي خمسة أسفار وهي التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام .

٢ - كتب الأنبياء وهي التي جاءت على لسان أنبياء بني إسرائيل مثل : أشعيا وأرميا وعاموس .

٣ - الكتب وهي التي تسمى كتوبيم وتحتوي أجزاء مختلفة من المزامير وأمثال سليمان ونشيد الأنشاد .

وستتكلم بشيء من الإيجاز عنها فيما يأتي:

التوراة : تتكون من خمسة أجزاء كل جزء يسمى سفر ، وينسب إلى سيدنا موسى عليه السلام ، وتغطي هذه الأسفار فترة من التاريخ تبدأ من بدء الخليقة ، وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام في شرق الأردن حوالي

سنة ١٣٠٠ ق م .

والتوراة التي بين أيدينا تتتابع على الشكل الآتي :

(أ) سفر التكوين: ويقع في خمسين فصلاً أو إصحاحاً تحكي في خطوطها العريضة قصة آدم ونوح وأبنائه بعد الطوفان سام وحام ويافث .

ثم يصل إلى الجذ الأعلى الذي ينتمي إليه اليهود وهو إبراهيم ثم ابنه اسحق ثم يعقوب . وأبنائه الأحد عشرة ، واستقروا في أرض الفراعنة .

(ب) سفر الخروج: ويقع في أربعين إصحاحاً ، تبدأ بالحديث عن اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل ، بعد أن عظم شأنهم ، وكثر عددهم خلال الأجيال التي انصرفت منذ موت يوسف ، بحيث أصبحوا خطراً يهدد سلامة البلاد . في هذه الفترة يولد موسى ، فيحكي هذا السفر قصة نشأته إلى أن يتلقى الوحي الإلهي على جبل الطور بالبده في تحدى فرعون . والعمل على إخراج اليهود من مصر . وقد تم له ذلك ، فعبّر بهم البحر وبدأت رحلتهم عبر صحراء سيناء (من الإصحاح الخامس عشر) . ثم يتلقى موسى «الوصايا العشر» . وبمجموعة الشرائع التي تسمى «قانون العهد» ، ثم يصعد إلى الجبل ، وتطول إقامته وحيداً هناك ، وإذا ببني إسرائيل يرتدون عن دينه إلى عبادة العجل . فيتولى موسى عملية اصلاح عقائد بني إسرائيل الجديدة تستمر أثناء رحلته بهم شرقاً .

(ج) سفر اللاويين: ويسمى أيضاً سفر الأحبار ، نظراً لعنايته بالشرائع والطقوس الكهنوتية التي كانت موكولة إلى سبط «لاوى» بن يعقوب . وهي القبيلة التي ينتمي إليها موسى وأخوه هارون . ويقع في سبعة وعشرين إصحاحاً . وفي هذا السفر يتوقف سرد بقية قصة المسير التي صحبت فيها موسى بني إسرائيل عبر صحراء سيناء ، بحيث يحتوي فقط على الشرائع والفرائض الخاصة بالحياة الدينية . ونصوه متكامل مع القسم الأخير من سفر الخروج الذي قبله ، وجزء

كبير من سفر العدد الذي بعده من حيث وحدة الموضوع ، ويسمى علماء الشريعة الإسرائيلية هذا الكل المتكامل باسم « القانون الكهنوتي » ،

(د) سفر العدد : ويقع في ستة وثلاثين اصحاحاً . وسمى بهذا الاسم لاشتماله على كثير من من التعداد الدقيق ، في الإصحاح الأول ، والرابع ، والسادس والعشرين مثلاً ، حيث يرد إحصاء تفصيلي للشعب السائر مع موسى في الصحراء ، كما أن المعلومات المبينة على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ونحو ذلك تسكث فيه كثرة تلفت النظر . وفي هذا السفر رجوع إلى سرد قصة مسيرة موسى وقومه عبر الصحراء تتخللها الأحكام الشرعية والفتاوى ، حسب الظروف التي تعن لها . كذلك يكثر فيه وصف تدمر العبريين من متابعة السير على خطوات موسى ، واحرافهم نحو ألوان من الفسوق والعصيان كثيراً ما أذارت غضب موسى نفسه .

(هـ) سفر التثنية : ويسمى كذلك « تثنية الاشرع » ، أي إعادة الشريعة على بنى إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن .

وبالطبع كان هناك نسخ لبعض تعاليم الشريعة الأولى عند تثنيتهما ، فهنا مثلاً نفاجاً بنص يجعل نظام الحكم ملكياً ، بينما لم يرد ذكر لذلك من قبل (١) ، « إذا دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك وماكنتها وسكنت فيها فقلت أقيم على ملكا كسائر الأمم الذين حوالى ، فأقم عليك ملكا من يختاره الرب إلهك من بين إخوتك تقيم عليك ملكا وليس لك أن تقيم عليك رجلاً أجنبياً ليس بأخيك ، لكن لا يستكثر من الخيل فلا يرد الشعب إلى مصر بسبب كثرة الخيل فقد قال لكم الرب لا تعاودوا الرجوع في هذه الطريق أيضاً ،

(١) سفر يوشع ، ١٤/ - ١٧

ولا يستكثر من النساء لتلايغ قلبه ولا يبالغ في استكثار الذهب والفضة ،
ومتى جلس على عرش ملكة فليكتب له نسخة من هذه التوراة في سفر من
عند الكهنة اللاويين،^(١) .

وهذا السفر ، الذي ينهى التوراة المنسوبة إلى موسى يعبر — دينياً
 واجتماعياً — أصدق تعبير عن الفكر الإسرائيلي القح بل لعله يعبر عنه
أوضح من تعبيره عن موسى نفسه . ويقع هذا السفر في أربعة وثلاثين
اصحاحاً .

٢ — الأنبياء : وهذا القسم من العهد القديم يتضمن الحوادث التي جرت
على بنى إسرائيل منذ دخولهم إلى أرض فلسطين ، مع يوشع بن نون ، خادم
موسى وخليفته ، حتى خروجهم منها إلى السبي البابلي على يد الامبراطور
الكلداني بختنصر .

ويبدو من ذلك أن الذين نظموا الكتاب المقدس هذا التنظيم كانوا
حريصين إلى حد كبير على أن تكون صبغة السرد التاريخي المرتب هي الأساس
في ترتيبهم بالرغم من أن العلماء المحدثين قد لاحظوا أن هذا الترتيب جزئي ،
وأنه غير محكم في تفاصيله .

ومهما يكن من شيء فإن هذا القسم يغطي فترة زمنية بين حوالي
سنة ١٣٠٠ وسنة ٣٠٠ ق . م أي قرابة ألف سنة ، وهو منقسم في الكتاب
الذي بين يدي اليهود إلى نصفين : الأنبياء الأول ، والأنبياء الآخر .

ويقول (لوسيان جوتليه) في مقدمته للعهد القديم^(٢) : إن هذا التقسيم

(١) سفر يوشع ١٠ / ١٥

(٢) سفر يوشع ٢٠ / ٧

لا يتبع خطة تاريخية، وإنما كانت تحتمة طبيعة محتوى هذا القسم كله فإن نصفه الأول يمنح نحو التاريخ السياسي والعسكري والإدارى البحث، ولا تبدو فيه النبوة إلا من خلال الأحداث، مرتبطة بها، معتمدة عليها.

أما النصف الثاني فإنه نبوات صرفة، لها فيه المكان الأول، وتبدو من خلاله الأحداث في المقام الثاني.

(١) الأنبياء الأول، وهو يتألف من أربعة أسفار:

١ - يوشع بن نون: ويحتوى على أربعة وعشرين اصحاحاً تروى اقتحام العبريين أرض فلسطين بزعامه خليفة موسى هذا. وقد اعتبر عمله مكملاً لعمل موسى، والكى يأخذ في عين هؤلاء الناس نفس القدسية روى أنه تلقى بركة موسى من يده قبل موته (تثنية ٣٤/٨) وأنه عبر البحر معه ثم عبر الأردن بنفس الطريقة، إذ جاء في الإصحاح الثالث من سفره: «فكان أن ارتحل الشعب من خيامهم ليعبروا الأردن ومشى أمامهم الكهنة حاملو تابوت العهد. وما أن وصل حاملو التابوت إلى الأردن، وانغمست أقدام الكهنة في مياهه، وهو طافح على كل ضفافه في وقت الحصاد هذا، حتى وقفت المياه المتدفقة من فوق كأنها حائط، على مسافة بعيدة، ابتداء من مدينة آدم المجاورة لصرتان. أما الماء المنحدر إلى تحت في اتجاه بحر الغور - أى بحر الملح - فقد انقطع تماماً، وعبر الشعب قبالة أريحا. فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة، في وسط الأردن، راسخين، بينما كل إسرائيل يعبرون على اليابسة حتى فرغ الشعب كله من العبور»^(١).

• كما أن يوشع اختص بمعجزته الشهيرة، أثناء حربه ضد الاموريين في

جيحون « فقال على مشهد من إسرائيل : يا شمس قفي على جيحون ، ويا قمر أنبت على وادي أيا لون ! فوقف الشمس ، وثبت القمر ، إلى أن اتقمت الشعب من أعدائهم ، وذلك مكتوب في (سفر المستقيم) . فوقف الشمس في كبد السماء ولم تمل للمغيب مدة يوم كامل . ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده ، سمع فيه الرب لصوت إنسان ، حيث قاتل الرب عن إسرائيل ، » (١) .

وهو نفسه الذي أمر العبريين أثناء حصار أريحا أن يطوفوا بأسوار المدينة وهم يهتفون وأممامهم سبعة من الكهنة ينفخون في الأبواق . فأكلوا الطواف سبع مرات « وهتف الشعب ونفخوا في الأبواق ، فكان عند سماع الشعب صوت البوق أن هذا الشعب هتف هتافاً شديداً ، فسقط السور في مكانه ، فصعد الشعب إلى المدينة ، كل واحد من وجهته ، وأخذوا المدينة ، » (٢) .

وبعد سلسلة من مثل هذه المغامرات يموت يوشع في « تمئة » من بلدان فلسطين .

٢ - القضاة :

يستمر هذا السفر في سرد أحداث عملية اغتصاب العبريين الأولى لفلسطين . والقضاة هم سلسلة من الزعماء الدينيين والعسكريين حاولوا على مدى أكثر من قرنين من الزمان أن يمنعوا العبريين من الكفر ، والفجور ، وأن يواصلوا إعدادهم إعداداً قتالياً للاستقرار بالقوة في هذه الأرض .

واقترضى هذا منهم جهد الجبارة ، إذ تبدأ أحداث هذا السفر بقوله في الإصحاح الثاني : « وتوفي يوشع بن نون ، عبد الرب ، وهو ابن مائة وعشر سنين . ودفن في أرض حوزته في « تمئة حارس » بجبل أفرايم ، إلى شمال جبل

(١) سفر يوشع .

(٢) نفس المرجع .

« جاعش » . ولحق كل ذلك الجيل أيضاً بأبائهم ، ونشأ من بعدهم جيل آخر لا يعرف الرب ، ولا ماصنع إسرائيل . ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا الأصنام ، وتركوا الرب إله آبائهم ، الذي أخرجهم من أرض مصر ، وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حولهم ، وسجدوا لها ، وأغضبوا الرب . وتركوا الرب وعبدوا بعل وعشتروت .

وهذا الميل إلى الانحراف من جانب العبريين ، يقابله من جانب الشعب الفلسطيني الأصلي بشتى قبائله تحفز ضد هذا العدو ، ومحاولات مستمرة في منعه من اجتياح البلاد . وهنا تبدو الصفة العسكرية واضحة في الوقائع والغزوات والمغامرات القتالية لهؤلاء القضاة ، بحيث ترفعهم إلى مصاف البطولة الأسطورية ، وفي مقدمتهم إهود وباراق بن أبي نوعم وعثينيل وجعدون ويفتاح وشمشون الجبار ونبية كانت على عهد باراق هي دبوره .
ويحتوى هذا السفر على واحد وعشرين إصحاحاً .

٣ - صمويل :

وبه تبدأ فكرة النبوة في بني إسرائيل في التبلور بشكل واضح ، كما تتحدد صفات النبي في مفهومهم ، وهي صفات زعامة سياسية ودينية تعتبر امتداداً للقضاة ، وإن كانت لا تسعى إلى تسلم مقاليد الحكم رسمياً ، ولكن تبقى لتدير هذا الحكم من وراء ستار ، بينما الحاكم المتصرف ملك يجلس على عرش ، ويبايعه رعاياه بأمر من هذا النبي .

وسفر صمويل ينقسم إلى جزأين ، أولهما يروى انتقال صمويل من صفة القاضى إلى صفة النبي ، ونضاله من أجل توحيد كلمة العبريين بكافة أسباطهم تحت تاج واحد ، ثم اختيار شاول ليكون ملكاً ، وانتهاء أمر هذا الملك بالانتحار على أثر موقعة حربية فاشلة ضد الفلسطينيين .

أما الجزء الثاني فإنه يحكى جهود صمويل فى تولية داود العرش ، وما كان من استيلاء داود على أورشليم ، مدينة اليوسيين ، وهم من قبائل الفلسطينيين الأصليين ، وإقامته قلعة حربية على جبل صهيون جنوب غربى هذه المدينة ، وهو الملك الذى حاولت الصهيونية أن تجعله شعاراً لها هو وقلعة صهيون ، كما أن سبط يهوذا الذى تنتمى إليه أسرة داود هو الذى انتسب له كل العبريين منذ ذلك الوقت ، وأصبحوا يسمون « اليهود » .

ويتهى هذا الجزء بشيخوخة داود وتفكيره فى تعيين ابنه سليمان خليفة له .

وسفر صمويل ، فى جزئه الأول يحتوى على واحد وثلاثين إصحاحاً ، وفى جزئه الثانى على أربعة وعشرين .

٤ - الملوك :

وهو مكون أيضاً من جزأين : الملوك الأول ، والملوك الثانى .

والجزء الأول يحتوى على اثنين وعشرين إصحاحاً ، خصصت الأحد عشر الأولى منها لذكر ملكة سليمان ، وبنائه الهيكل ومظاهر الأبهة التى أحاط بها نفسه فى أورشليم ثم وفاته .

وابتداء من الإصحاح الثانى عشر تأتى هذه النصوص على ذكر تصدع ملكة سليمان بعد موته وانقسامها إلى قسمين : أحدهما فى الجنوب وعاصمته أورشليم ، ويجلس على عرشها رحبعام بن سليمان ، والثانى فى الشمال وعاصمته السامرة - فى منطقة نابلس - وقد جلس على العرش فيها ضابط يهودى متمرد على سليمان كان قد هرب منه ولجأ إلى مصر ، اسمه باربعام بن نباط .

ويستمر ذكر الملكتين وماتوا إلى عليهما من ملوك وأنبيا ، وأحداث إلى سقوط المملكة الشمالية - إسرائيل - أمام الجيش الأشورى بقيادة

الإمبراطور شلمانصر ، حيث تروى تلك الأحداث في الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني ، الذي يحتوي كاه على خمسة وعشرين إصحاحاً .

أما بقية هذا القسم الثاني من الملوك فإنها مخصصة لمملكة يهوذا ، الجنوبية ، في أورشليم إلى تدميرها على يد بختنصر كما قلنا .

(ب) الأنبياء الآخر :

وهو يحتوي على تراث القادة الروحانيين الذين حاولوا ، بطرق شتى ، الأخذ بيد اليهود نحو بر السلامة في ظروف حالكة أحاط بهم فيها الأعداء من كل جانب ، وإذا كانت هذه النبوات في معظمها لم تجد كثيراً في حياة أصحابها ، إلا أن هذا التراث قد بقي مصدر أمل لليهود . يشكونه بحسب الظروف ، فهو أمل في مغفرة الله حيناً ، وأمل في الخلاص أحياناً ، وأمل في العودة إلى فلسطين عند الكثيرين منهم ، بل أمل في السيطرة على الإنسانية كلها لدى جماعات من أولوا هذه النصوص وحملوها ماشاء لهم الخيال .

وقدرنا أن الأنبياء الأول يحتوي على أربعة أقسام : يوشع ، والقضاة ، وصمويل ، والملوك . وهذا القسم بدوره يحتوي على أربعة أيضاً هي : أشعيا ، وأرميا ، وحزقيال ، والاثنتي عشرة محلة ، التي تكون مجموعة واحدة تعرف أيضاً باسم « الأنبياء الصغار » أو الاثني عشر نبيا . وقد رتب لوسيان جوتيه « الأنبياء الآخر » تاريخياً على النحو التالي ، مفصلاً تاريخ الإثني عشر نبياً الصغار في نفس القائمة ، وهؤلاء الأنبياء الصغار هم حسب ترتيبهم في الكتاب المقدس :

هوشع ، يوثيل ، عاموس ، عوباديا ، يونس ، ميخا ، ناحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجاي ، زكريا ، ملاخي .

والترتيب التاريخي هو (١) :

عاموس	٧٦٠ ق. م.	هوشع	٧٥٠ ق. م.
اشعيا (أ)	٧٤٠ ق. م.	مينا	٧٢٥ ق. م.
ناحوم	٦٥٠ ، ٦٢٥	أرميا	٦٢٦
صفنيا	٦٢٥	حبقوق	٦٠٨ (القرن السادس)
حزقيال	٥٩٢ ق. م.	عوباديا	القرن ٦ أو ٥
حجاي	٥٢٠	زكريا (ب)	٥٢٠
ملاخي	القرن ٥ ق. م.	يوئيل	القرن ٥ أو ٤
يونس	القرن ٤ ق. م.		

ملاحظات :

(١) تعرض سفر أشعيا لكثير من التحوير على مر العصور ، والتاريخ المذكور في هذه القائمة هو التاريخ العام للسفر من الإصحاح الأول حتى الإصحاح التاسع والثلاثين ، فيما عدا الإصحاحات الأربعة من ٢٤ إلى ٢٧ التي أرجعها جوتيه إلى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد . ومن الإصحاح ٤٠ إلى ٥٥ يسمى « أشعيا الثاني » ، ويرجع إلى حوالي ٥٤٠ ق. م. ومن الإصحاح ٥٦ إلى ٦٦ وهو آخر السفر يسمى « أشعيا الثالث » ، ويرجع إلى القرن الخامس ق. م.

(ب) يرى العلماء أن سفر زكريا الذي ورد تاريخه هنا يشغل الإصحاحات الثمانية الأولى فقط ، وابتداء من إصحاح ٩ إلى ١٤ ، وهو آخر هذا السفر ، يؤرخ بحوالي سنة ٣٠٠ ق. م.

٣ - الكتب :

وتسمى كتب الحكمة ، أو الهاجيوغرافيا ، وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي ، وتتصل بالسكان الاجتماعى والروحى والدينى لليهود كما تمجد بعض بطولاتهم فى الرجوع إلى فلسطين بعد السبى البابلى على يد الإمبراطورية الفارسية ، وتحت سيادتها وهذه الأسفار هى :

(أ) مزامير داود .

(ب) أمثال سليمان .

(ج) أيوب : وهناك أكثر من دليل علمى على أن النص الأصيل عربى .

(د) نشيد الأناشيد : وأصله قطعة غنائية من الفولكلور اليهودى

فى مناسبات الزواج .

(هـ) روث : وهى قصة بطلة عبرية ترجع إلى عهد القضاة .

(و) المراثى : وهى مجموعة قصائد تنسب لأرميا فى البكاء على أورشليم .

(ز) الجامعة : أو قوهيلت ، وينسب إلى أحد أبناء سليمان ، وهو

خواطر فلسفية .

(ح) استير : وفيه قصة حصول اليهود بفضلاها على وعد من إمبراطور

فارس بالعودة من السبى البابلى إلى فلسطين .

(ط) دنيال : وليس النبي دانيال هو مؤلف هذا السفر بل هو قصة

مغامرات هذا النبي أثناء حكم بختنصر .

(ي) عزرا : وإليه ينسب جمع العهد القديم ولذلك يسمى عزرا الكاتب

ولسكن شهرته كانت فى قيادة اليهود فى العودة من السبى لإقامة صهيونية جديدة

فى فلسطين يعاونه فى ذلك أحد الشخصيات اليهودية الكبيرة المدعو زروبابل .

(ك) نحميا: وهو الذى أعاد بناء أسوار أورشليم والهيكل بعد العودة من السبي . وسفره (كتابه) يحتوى على معلومات هامة عن التنظيم العسكرى للدفاع اليهودى وللتنظيم السياسى فى المناطق المحيطة بفلسطين فى عصره .

(ل) أخبار الأيام : وهو تلخيص للوقائع اليهودية التاريخية الواردة فى الكتاب المقدس منذ بدء الخليقة إلى عودة اليهود من السبي فى أيام كورش ملك الفرس وهذا السفر يحتوى قسمين ، الأول : ينتهى بشولى سليمان ويحتوى على تسعة وعشرين إصحاحاً بينما يشتمل الثانى على بقية التاريخ حتى عهد كورش وفيه ستة وثلاثون إصحاحاً .

ملحوظة :

لم يعمل اليهود بهذه الوصايا فلم يحفظوا التوراة بل أضعواها وقالوا لانهم وجدوها ثانية فى عهد الملك بوشيا سنة ٦٢٦ ق . م أى بعد موسى بحوالى ثمانمائة سنة تقريباً (انظر تفصيل ذلك فى سفر الملوك الثانى الإصحاح اثنان والعشرين) . وانظر أيضاً لوسيان جوتبير فى كتابه العهد القديم .

الباب الثاني

الفصل الأول

الحرب

« شر لا بد منه »

الحرب ضرورة اجتماعية ، وطالما أن الإنسان مدني بطبعه فهو يكون مجتمعات هنا وهناك ، وتظل هذه المجتمعات تعيش في سلام ووثام مادامت مصالحها متماثلة ومتكاملة ، فإذا تضاربت هذه المصالح واستحال التوفيق بينها انتهى الأمر إلى نشوب الحرب بين الفريقين .

فالحرب صراع دموي بين إرادتين تبغى كل منهما التفوق على الأخرى والتغلب عليها وتحطيم مقاومتها وحملها على التسليم لها بما تريد وبما تمليه عليها لتحقيق مصلحتها^(١) . وعرفها القائد الألماني الشهير (جنرال كارل فون كلوزفيتز) بأنها نزاع على المصالح لا يحسم إلا بالحرب^(٢) .

والأسباب التي تؤدي إلى الحرب متعددة ومتنوعة : فمنها :

(أ) أسباب سياسية - عندما تطمع دولة ما في التسلط على دولة أخرى أو في ضم جزء من أراضيها نظراً لمزاياه المختلفة أو بحجة أنه كان من قبل جزء من الدولة فهي تعمل على استرداده .

(ب) أسباب اقتصادية - وكانت في الزمن السابق تنشب بين الدول أو القبائل للحصول على المراعي اللازمة لقطعان الماشية ، أو للاستيلاء على

(١) كتاب في عالم الحرب - تأليف محمد عبد العزيز منصور (ص ٢٠) .

مناجم المعادن النفيسة أو موارد المياه وغيرها. واتخذت الحرب الاقتصادية في العصر الحديث صورة الاستعمار ، وهو سيطرة دولة قوية على أراضي دولة ضعيفة طمعاً في استغلال مواردها الغنية وثرواتها الطبيعية .

(ج) أسباب دينية - وتبدأ مثل هذه الحروب عادة في صورة نشر الدين والتبشير به في البلاد المغزوة ، أو في صورة حماية لدعوة جديدة . . ومع ذلك فكلها ستر للاستعمار الذي يتخفي في مختلف الصور والأشكال .

ومنذ خلق الله آدم وسمات إرادته عز وجل أن يتخذ من آدم خليفة في هذه الأرض ، فقد أهبط آدم وزوجه من الجنة إلى الأرض ، ويقول عز وجل في محكم كتابه (١) « فأنزلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » . ولقد بدأت هذه العداوة بين ولدي آدم قابيل وهابيل ، عندما تقبل قربان الأخير ولم يقبل قربان الأول ، فقتل قابيل أخاه ، وكانت أول قتلة في تاريخ البشرية ، ترتب عليها صدور التشريع الإلهي « أنه من قتل نفساً بخير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » (٢) ، ومن أجل ذلك كان القصاص لمنع الشر داخل الأمة وصوناً لحياة كل فرد كما قال عز وجل . « ولكم في القصاص حياة » (٣) .

على أن سنة الله في خلقه أن يظل الصراع والتنافس بين الأفراد والجماعات بما يؤدي إلى قيام الحروب بين حين وآخر ، لسبب من الأسباب التي ذكرناها من قبل « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٤) .

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٣٢ من سورة المائدة .

(٣) الآية رقم ١٠٦ من سورة البقرة .

(٤) الآية رقم ٢٥٠ من سورة البقرة .

وليس أشرف ولا أعظم من القتال في سبيل الله ، وفي سبيل دعوته ،
واستجابة لأوامره . فهو سبحانه الذي يرث الأرض ومن عليها ، ويديه
ملكوت السماوات والأرض ، وهو صاحب الأمر كله ، من قبل ومن بعد
ومع ذلك نرى بنى إسرائيل عندما يدعوم نبيهم موسى عليه السلام إلى دخول
الأرض المقدسة ، يعتذرون بأن فيها قوماً جبارين . . . ثم يرفضون القتال
رفضاً تاماً قائلين لنبيهم « فاذهب أنت وربك فقَاتلنا إنا هنا قاعدون ، »^(١)
وما كان ذلك إلا لضعف إيمانهم ، وشدة تعلقهم بالحياة ، وجبنهم عن لقاء
عدوهم وجهاً لوجه وغير ذلك من المثالب التي وضحها القرآن الكريم في حقهم ،
وأتى ما زالت ، وستظل تطبع بنى إسرائيل إلى يوم القيامة ، فهم يدبرون
الحروب بين الأمم ولكن لا يخوضونها ، وإن خاضوها مرة فلن يكرروها ،
لما طبعوا عليه من شدة التعلق بالحياة ، يقول رب العزة في سورة البقرة
(آية ٩٦) « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، كما يصفهم سبحانه في الآية
٦٤ من سورة المائدة بقوله عز من قائل « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء
إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض
فساداً والله لا يحب المفسدين . »

وليس الحروب مقصورة على بنى البشر دون غيرهم من المخلوقات ،
فإن الحيوانات بأنواعها ، والطيور ، والحشرات ، تتقاتل أفراداً وجماعات ،
وهي في حروبها تتبع من رسائل والطرق مثلما يبتدع الإنسان من وسائل
وطرق ، فهذه عوالم من مخلوقات الله عز وجل تخضع لسنة الله في خلقه ،
ويثور بينها الصراع الدائم على الحياة ، « ولن تجد لسنة الله تبديلاً . »

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة المائدة .

جنود العسكرية الإسرائيلية

في ديانة اليهود وتاريخهم

الحرب في النصوص الدينية اليهودية :

عندما يقبل الإنسان على قراءة العهد القديم وهو كتاب اليهود السماوي المقدس يدهشه أن هذا الكتاب يختلف عن أسفار العهد الجديد المسيحية وعن القرآن الكريم ، يكون فكرة الصراع في ثناياه ، ثابتة مستمرة متصلة ، تسكاد تشمله من أوله إلى آخره . وتسكاد أسفار هذا الكتاب تشبه فصول ملحمة طويلة دامية في كثير من الأحيان ، تتضمن أخباراً مجملّة حيناً ومفصلة أحياناً ، عن صدام بالقوة بين الأفراد أو بين جموع من البشر ، لأن طبيعة العنصرية الإسرائيلية لا يمكن أن تتبلور في نفس اليهودي إلا مسبوكه بنيران الحروب ، فإذا ما انتهت إقامة هذه الأمة الغربية في فلسطين وتحطمت المملكة التي كانوا قد أقاموها هناك - في أعقاب حرب دامية أدار الآشوريون ثم الكلدانيون رجاها عليهم - لم ينقطع بذلك تفكيرهم في استعمال قوة السلاح في تنفيذ مخططات مرسوم هو أن تكون فلسطين ركيزة لهم . ثم منطلقاً يمارسون منه السيطرة على مقدرات الشرق على نحو يريديون في النهاية أن يلقوا به هيبتهم في قلوب البشر فيذعن لإرادتهم الشرق والرب معاً .

من ناحية الوجوب :

الحرب الهجومية والدفاعية في نظر اليهود :

تنقسم الحروب عند اليهود إلى نوعين أحدهما فريضة واجبة على الجميع والأخرى سنة مستحبة .

أما النوع الأول فهو الحرب الدفاعية وحكمها في الشريعة الإسرائيلية

أن الملك أو من يقوم مقامه يشرع فيها بدون الحاجة إلى أخذ موافقة المجمع السكهنوتي الشرعي (السهندرين) ولعل ذلك هو ما يفسر لنا أن اليهود على مدى تاريخهم كانوا يحاولون وحتى العصر الحديث والمعارك الدائرة بينهم ومن جيرانهم العرب أن يجدوا لحروبهم العدوانية التوسعية شكلاً دفاعياً ليضمنوا بذلك ثلاثة أشياء :

١ - عدم معارضة رجال الدين وقادة الأحزاب الذين يقومون الآن بمقام السهندرين .

٢ - التمكن من التعبئة العادية للعمل العسكري إلى درجة التعبئة الكاملة إذا لزم الأمر مادامت الحرب الدفاعية فريضة على الجميع .

٣ - كسب عطف الرأي العام عليهم في الداخل والخارج إذ أن الحرب الدفاعية تظهر من يخوضها على أنه مظلوم ومعتدى عليه وفي حالة انتصاره تجعل استرداد ما أخذه أمراً صعباً معقداً .

أما النوع الثاني وهو الذي يسمى بالحروب الهجومية فقد حدد الغرض منه لتوسيع رقعة الدولة باحتلال أرض جديدة وإتزانها بالقوة . وفي هذا النوع من الحروب يجب على من يرأس دولة اليهود أن يحصل على موافقة السهندرين وعندئذ يمكنه أن يجند من يشاء .

وقد حرمت التوراة المعروفة أن يقوم اليهود في أيام موسى بحرب توسعية ضد الأردنيين (أهل مؤاب وعمون) كما جاء في سفر التثنية « أتم مارون بحدود إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير وسيخافون منكم فاحترسوا أشد الاحتراس لاتهجموا عليهم لأني لأعطيكم من أرضهم ولاوطاة قدم لأنني قد أعطيت جبل سعير ميراثاً لعيسو » (٢/٤ - ٥) .

وفي نفس الإصحاح « فقال لي الرب لاتعد مؤاب ولا تثن عليهم حرباً » (٢/٩) (٢ - التوراة)

وقد علل المفسرون اليهود لهذه النصوص الخاصة بتحريم احتلال الأردن كله أو جزء منه من قبل موسى بأن الله سيخرج من هذا الشعب امرأتين صالحتين هما روث ونعمى اللتين اشتهرتا في عهد القضاة (١).

إلا أن الملك داود كسر هذا التحريم كما كسره من قبل بعض القضاة ويبرر اليهود هذا النقض في العهد بإدعائهم أن الأردن هو الذي بدأ بالعدوان .

وقد ورد في (المشنا) وهي مجموعة الشرائع الفقهية الشفوية لليهود وأيضاً في التلمود وهو التفسير المطول المشهور للمشنا أحكام خاصة بإسقاط بعض الأوامر والنواهي عن اليهودى في حالة الحرب فقد أبيع للجنود الإسرائيليين أن يسرقوا وينهبوا ويأخذوا بالقوة الحطب اليابس اللازم للوقود حتى من المدنيين المسلمين .

وبالطبع هناك بعض فتاوى تتوسع في ذلك وتتعدى مجرد الحطب اليابس إلى غيره من العروض كذلك أسقطت عنهم هذه الشرائع الفقهية ضرورة الوضوء في بعض الأحيان وأباحت لهم الأكل من الطعام المشتبه في كونه حلالاً . (المشنا - باب عيروين / ١٧)

كذلك أباحت المشنا والتلمود الحرب الدفاعية حتى في يوم السبت .

أما الحرب الهجومية وحرب الحصار فإن الحرب تبدأ قبل السبت بثلاثة أيام وأن تستمر في السبت وما بعده من السبوت بحسب طبيعة المعركة (باب السبت / ١٩)

وقد حدث هذا بالفعل عند مناقشة هذا المبدأ عند قيام الحرب بين طائفة

(١) روث : امرأة من مؤاب تعد الجدة الأولى لسيدنا داود ولم تكن يهودية الأصل . وأما نعمى فهي أم زوج روث .

المكابين وهي فرقة يهودية قامت بالحرب ضد الحكام اليونان في القرن الثاني قبل الميلاد .

وفي الحرب الهجومية أباح الشرائع اليهودية قتل الذكور البالغين فقط من العدو وسلب أموالهم .

أما فيما يسمونه بالحرب الدفاعية فقد أباح لهم شريعتهم إبادة العدو كله أى قتل جميع النفوس البشرية المعادية والاستيلاء على جميع ممتلكات العدو . كذلك أوصت شريعتهم بأنه يمكن عقد معاهدة سلام في حالة الحرب الدفاعية وهذا هو رأى العلامة اليهودى موسى بن ميمون^(١) .

الحرب الوقائية

ظهرت نظرية (الحرب الوقائية) بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية منفردة بامتلاك السلاح النووى . والحرب الوقائية هي الهجوم المدبر من دولة على دولة أخرى دون مبرر واضح ، أى أنه اعتداء مباغت وليس صدى لعدوان ما . والهدف الرئيسى لهذا الهجوم الذى ينطلق من طرف واحد هو تدمير القوة العسكرية المسلحة للطرف الآخر ، حتى تستطيع الدولة المهاجمة أن تفرض إرادتها وشروطها على الآخرين .. ولاشك أن الطرف الذى يوجه الضربة الأولى في مثل هذه الحرب هو الذى يتم له النصر والتفوق .

وتعتمد الحرب الوقائية أولاً وأخيراً على عنصر المفاجأة^(٢) .

أما بعد أن تعددت الدول التى تمتلك أسلحة نووية فقد تعقدت الأمور

(١) انظر كتاب الربا تأليف السيد محمد عاشور .

(٢) العقلية الصهيونية - للعقيد ا . ح إبراهيم سالم شكيب .

بحيث أصبحت الحرب النووية شبه مستحيلة بحكم ميزان الرعب النووي ، وحلت محلها مفاوضات الحد من الأسلحة ، الاستراتيجية والنوية معاً ، وكذلك استخدام الأقمار الصناعية ووسائل الإنذار المبكر للمراقبة المتبادلة .. وغير ذلك من الوسائل الذرية التي تجوب السماء فوقنا وأجهزة الرصد والتصوير من قبل الدولتين الأعظم .. والله وحده يعلم ما ستنتهي إليه هذه الحال التي جعلت السماء ميداناً عسكرياً مشحوناً بفيض من كل أسباب الهلاك ، تنذر بأن (الساعة قريب) وربما تعود بالعالم إلى الحرب الباردة مرة أخرى بعد أن ظهرت بوادر الوفاق بين الدولتين الأعظم .

بعض مظاهر الحرب الوقائية :

أهم هذه المظاهر هي :

(أ) تسعى الدولة التي تقوم بالتدبير للقيام بالحرب الوقائية إلى خلق المشكلة وإثارتها استعداداً للهجوم .

(ب) تقوم الدولة المذكورة باختلاق الحوادث مع الدول المقصودة من الهجوم لإجبارها على اتخاذ إجراءات يكون من شأنها أن تضع قواتها في متناول الهجوم المبيت .

(ج) تقوم الدولة المذكورة ببناء قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليحها على أسس هجومية تمنحها القدرة على التفوق لتوجيه الضربة الأولى وبسرعة خاطفة .

(د) قبل بدء الهجوم تحاول هذه الدولة أن تضلل الرأي العام العالمي بالقيام بحملة دعائية لتبرير عدوانها على الدول الأخرى هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تحاول كسب الوقت عن طريق إثارة الغموض حول بدء العمليات العسكرية وذلك لمنع المجتمع الدولي وخاصة الأمم المتحدة من اتخاذ

الإجراءات القانونية الضرورية لمقاومة العدوان ومنعه من تحقيق أغراضه .. (١)

حرب العصابات

عرفت اليهود حرب العصابات ومارستها في بعض حروبها مع أعدائها إذ عندما أراد الحكام اليونانيون في فلسطين نشر المبادئ اليونانية على اليهود وفرض طقوسهم الدينية من الطوائف المختلفة والتي كان من ضمنها طوائف اليهود . إذا ببعض اليهود يرفضون هذه الطقوس اليونانية معتبرين أنها طقوس وثنية تخالف الديانة اليهودية . واشتد النزاع بين هؤلاء اليهود والحكام اليونانيين وأدى ذلك إلى قيام حرب بينهما في عام ١٦٥ ق . م .

واتخذت الطائفة اليهودية المعارضة لإسم المكابيين أو الحشمونائيم كما اتخذت من الجبال معسكراً لها ولم تقف أمام الجيش اليوناني في ساحة حرب بل أخذت تحارب حرباً غير نظامية ، واستمرت الحرب سجالاتاً بينهما مدة طويلة إلى أن تغلب اليونان على هذه الطائفة اليهودية وانهمزم اليهود شر هزيمة .

وبشيء من التفصيل نقول إن هذه الحرب بدأت سنة ١٦٧ ق . م من السلوقين (حكام فلسطين بعد موت الإسكندر الأكبر) وبين اليهود وكانت استراتيجية اليهود هي عزل الحامية السلوقية في أورشليم وذلك بالقبض على مفاتيح الطرق المؤدية إلى المدينة .

(١) انظر الحرب الوقائية في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية رسالة ماجستير

مقدمة من الأستاذ جميل عائد على الجبوري إلى معهد الدراسات العربية سنة ١٩٧٦

وكانت حرب عصابات من اليهود ضد الجيوش المنظمة السلوقية وكان أغلب هذه الحروب في بلدة مودين والتي تقع الآن بالقرب من مدينة اللد الحالية وقد حولت هذه العصابات بعد ذلك إلى جيش نظامي .

ولعل هذه الحالة تشبه ما شاهدناه في العصر الحالي عندما قام اليهود منذ عام ١٩٢٠ ميلادية بتسكين عصابات مثل الأرجون وشرن وغيرها من العصابات اليهودية وكان الغرض من إنشائها أولا القيام ببعض الغارات على السكان العرب الآمنين ونشر الذعر بينهم واستمرت هذه العصابات على شكلها القائم التي تحولت إلى جيش نظامي منذ سنة ١٩٤٨ وأصبحت هذه العصابات نواة الجيش الإسرائيلي الحالي فما أشبه الليلة بالأمس .

ولعل فرق الفدائيين في منظمة التحرير الفلسطينية تحقق في وقت قريب نواة الجيش الفلسطيني المنظم واللازم لحماية أرض فلسطين من هزلة الغزاة .

ومن أسباب الحرب بين اليهود والسلوقيين عوامل كثيرة منها :

١- تغيير اسم أورشليم (القدس) إلى اسم الهيلىنه إذ أراد الحكام السلوقيون محو اسم أورشليم واستبدال اسم يونانى بدلها ، وقد فعل ذلك الحاكم الرومانى هدرىان بعد ذلك كإسنيينه فيما بعد .

٢- إطلاق اسم زيوس على معبد أورشليم ويكون معبد زيوس بدلا من معبد أورشليم .

٣- ممارسة الفرق الهيلىنية (اليونانية) طقوسها في هذا المعبد .

٤- إدخال تمثال زيوس في معبد أورشليم .

٥- تقديم لحم الخنزير على مائدة القربان في المعبد .

- ٦ - مزقت الصحف التي كان مكتوباً عليها الشريعة اليهودية .
- ٧ - يقدم كل من يمارس الطقوس اليهودية مثل العطلة يوم السبت والأعياد التقليدية والطهارة والختان وغير ذلك .
- ٨ - محاكمة كل من لا يسجد لتمثال اليونان .

الحرب النفسية

الحرب النفسية أحد أنواع الحروب التي لا تستعمل فيها أسلحة القتال المعروفة مثل الطائرات والسيوف والدبابات والمدافع وغيرها بل إنها الحرب التي تستخدم وسائل غير الوسائل المعروفة بل وسائل يقصد منها التأثير على الروح المعنوية والكفاءة القتالية للدولة المعادية ومن أمثلة هذه الوسائل ما يأتي :

- ١ - نشر الإشاعات والأكاذيب .
 - ٢ - توزيع المنشورات مبيناً فيها قوة الدولة المحاربة ومركز الدولة المعادية وما عليه من ضعف .
 - ٣ - استعمال الأسلحة عن طريق عرضها وإقامة المناورات لفقد ثقة الدولة المعادية بجيشها .
- وقد استعملت إسرائيل بعض هذه الأسلحة فنقص علينا التوراة أنه عندما قام يوشع بحرب مع سكان أريحا اتبع أسلوب المناورات لبث الرعب في شعب أريحا - تقول التوراة :

« كانت أريحا مغلقة - مقفلة - بسبب بني إسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل فقال الرب ليشوع انظر قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس

تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة هكذا
تفعلون ستة أيام وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التايوت
وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والسكينة يضربون
بالأبواق ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت
البوق أن جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً فيسقط سور المدينة^(١) ..

(١) سفر يوشع لإصحاح ٦ .

عقيدة الحرب عند اليهود

أول حرب يرد ذكرها في أسفار العهد القديم تعزى لابراهيم الخليل وهي موقعة أسطورية لم يرد لها ذكر في الوثائق التاريخية وإن كان هناك أصداء للقبائل المشتركة في هذه الحرب تتردد في ملاحم رأس الشمرة السكنازية التي ترجع نصوصها إلى حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد. بدأت هذه الحرب في إقليم غور الأردن حيث كان هناك ملك تسميه التوراة كدر لا عومر^(١) ملك عيلام يبسط سلطانه كحاكم طاغية مطلق في هذه الناحية يخضع له أمراؤها جميعا استمر خضوعهم له اثنتي عشرة سنة. وفي السنة الثالثة عشرة ثاروا عليه وفي السنة الرابعة عشرة أقبل كدر لا عومر والملوك الذين معه فضربوا الروفائيم في عشتروت وقرنائيم.

والزوزيين في هام والأيميين في سواء قريتايم والخوريين في جبلهم سعير إلى سهل فاران الذي عند الصحراء ثم رجعوا واتجهوا إلى عين مشباط وهي قادش فضربوا كل أرض العالقة وأيضاً الأموريين المقيمين في حصاصون تامار.

وهكذا يبدو لنا هذا العمل العسكري الأول في التوراة حركة واسعة النطاق تغطي جزءاً كبيراً من فلسطين والأردن. كما يتبين فيها أن الفكر الحربي كان أساسه الخدعة وإلجاء الجزء الأكبر من قوة العدو إلى مناطق طبيعية يصعب تجنب أخطارها.

(١) كدر لا عومر = يعتقد العلامة سايكس أن هذا الاسم هندي

وليس ساميا.

ذلك أن الأمراء الثائرين عندما نزوا بغور الأردن انضم إليهم ملوك سدوم وعمورة وأدمة وصبوئيم وبالغ وهي صوعر وكلها من البلدان التي كانت قائمة حول البحر الميت فجاء كدرلاعومر ومعه حلفاؤه تدعال وامرافال وأريوك وفكروا في إلقاء الثوار إلى منطقة من الغور تنتشر فيها مستنقعات الوحل وهكذا سدوا عليهم بقية الطرق والمسالك . وشنوا عليهم هجوماً انتهى بفرق قوات سدوم وعمورة في الوحل وهروب الفلول الأخرى إلى المرتفعات القريبة . وغنم الملك الطاغية وحلفاؤه جميع المأون الأموال التي خلفتها هذه القوات . وفي هذه المعركة أخذ لوط ابن أخى إبراهيم أسيراً ونهب ماله لأنه كان من سكان سدوم ، فجاء من نجا وأخبر إبراهيم العبرى وهو مقيم عند أشجار السنديان التي لمرا الامورى أخى أشكول وعازر وهم حلفاء لإبراهيم . وما أن سمع إبراهيم بأسر لوط حتى جرد من أتباعه أبناء ثلثمائة وثمانية عشر رجلاً وأسرع وراء كدرلاعومر ، ويبدو من سياق هذه القصة أيضاً أن خبطة إبراهيم كانت الإيقاع بالعدو في كمين ومباغتة قواته في الوقت الذي لا يتوقعون فيه القتال ، إذ أنه نشر هذا العدد القليل من رجاله ثم هجم على مجمع العدو ليلاً وهذا أمر شاذ في حروب العالم القديم التي كانت تتوقف الحرب مع غروب الشمس وهذا ما سنراه في حروب يوشع إذ هناك أسطورة أو معجزة تقول بأن يوشع عندما أراد أن يستمر القتال أمر الشمس ألا تغرب . وعلى كل حال فإن القصة تقول إن إبراهيم قد انتصر وخلص الأسرى واسترد المأون والأموال . وبعد هذه الموقعة اجتمع إبراهيم بملك سدوم الذي عرض عليه تسوية يقصد مكافأته على تدخله لصالح المنهزمين فقال له أعطى النفوس أما المال فخذ لك فقال له إبراهيم إنه كان قد عاهد الرب الإله العلي مالك السموات والأرض ألا يأخذ من هذا المال خيطاً ولا رباط نعل حتى لا يقول ملك سدوم إنه أغنى إبراهيم .

وهكذا يرفض إبراهيم أية شبهة تجعله في عمله العسكري من المرتزقة ولكنه يطلب من ملك سدوم اعتبار ما أكله الرجال أثناء المعركة من المؤمنة ملكا لهم. كما طالب من هذا الملك أن يعطى عازر وأشكول وعمرا نصيبهم من الغنائم.

ونود أن نلفت النظر إلى أن كلمة عبري التي وصف بها إبراهيم هنا تستعمل لأول مرة في الكتاب المقدس كله وأن استعمالها جاء في سياق عمل عسكري ناجح قام به إبراهيم.

وبالطبع ينبع مثل ذلك من رغبة عند الراوية اليهودي لتلك النصوص في اغتصاب الانتصارات وادعائها لبني جنسه حفزاً لهممهم وغرساً للتقاليد القتالية في نفوسهم منذ البداية.

عقيدة إسرائيل وارتباطها بالحرب :

إن أبرز طابع يطبع العقيدة الإسرائيلية، قديماً وحديثاً، هو ذلك الرباط الوثيق بين «حرب إسرائيل» و«رب إسرائيل». فالحرب في عقيدة بني إسرائيل عمل مقدس، فقايد هذه الحرب، في زعمهم، هو «رب إسرائيل» وجنودها هم جنود هذا الرب. ويظهر ذلك في كثير من نصوص التوراة المعروفة.

ومن أقوال (بن جوريون) : إن يهوه إله إسرائيل هو أيضاً إله الجنود. وتأسيساً على ذلك تكون حروب إسرائيل القديمة والحديثة حروباً مقدسة في نظرهم.

ولقد أعلن حاخام الجيش الإسرائيلي (موسى جوريون) إن الحروب الثلاثة التي جرت بين العرب وإسرائيل في سنوات ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧

هي في منزلة (الحرب المقدسة) ، فأولها حرب لتحرير أرض إسرائيل . .
والثانية كانت لضمان استمرار دولة إسرائيل . . . أما الثالثة فقد كانت
تحقيقاً لنبوءات أنبياء إسرائيل . . هكذا صرح الحاخام المذكور عن الحروب
الثلاثة . . ولكنه لم يفصح لنا عن رأيه في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، حربنا
الرضائية المجيدة ، وماذا تعتبر نتيجتها بالنسبة لإسرائيل . . !!

ويكفيها أن نشير إلى تلك الاعترافات العديدة الصادرة عن قادة الجيش
الإسرائيلي أنفسهم ، من أن تلك الحرب هي (بداية النهاية) لإسرائيل .

وليس هناك أدنى شك في أن (إسرائيل) كانت وما زالت وستظل -
« دولة حرب » ليس فقط بحكم عقيدتها الدينية وارتباطها التاريخي بفكرة
تفوق الجنس الإسرائيلي على كافة ما عداه من أجناس البشر . . بل وبحكم واقع
وجودها بين مجموعة من الدول تنكرها أشد الإنكار وتعتبرها دخيلاً ثقيلًا
على المنطقة كلها ، حتى ولو قامت عقيدتها الدينية على السيف والفتح
والتوسع والغزو . . .

تقول التوراة المعروفة بين أيدينا « لأن الرب إلهكم سائر معكم لكي
يحارب عنكم أعدائكم ليخلصكم . . . ولتكن حربكم مقدسة » (١) .

وكانوا في حروبهم القديمة يحملون التابوت معهم إلى أرض المعركة ،
رمزاً لوجود رب إسرائيل مع جنوده : « وعلموا أن تابوت الرب جاء
المحلة نخاف الفاسطييون لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة » (٢)

واليوم تسير إسرائيل على نفس تقليدها القديم ، فكل وحدة من الجيش
الإسرائيلي اليوم يسبقه (الصندوق المقدس) الذي توضع فيه التوراة ،

(١) سفر التثنية لإصحاح ٢٠ آية ٤

(٢) صمويل - أول لإصحاح ٤ آية ٧

وذلك عوضاً عما كان يحدث تديماً حين كان (تابوت الله) يتقدم شعب إسرائيل^(١).

أما الصندوق المقدس فقد نقش عليه شعار يقول «انهض يا الله ودع أعداءك يتشتتون، واجعل الذين يكرهونك يهربون أمامك»^(٢).

الوصية الإلهية تدعو الإسرائيليين للحرب :

دعت التوراة الإسرائيليين إلى دخول فلسطين لأن الله وعدهم بأن تكون فلسطين لهم، فدخول فلسطين مهمة إلهية في نظر إسرائيل، وعلى أساسها يجب على الإسرائيليين أن يستولوا على الأراضي، وينتزعونها من أصحابها الأصليين...

وتقول التوراة إن الله أمر موسى بأن ينتقم ويحارب الشعوب السبعة التي تسكن أرض فلسطين، وأن يبيدهم، ويستولى على أراضيهم. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث في حياة موسى... وبعد موته كلم الرب (يوشع بن نون) خادم موسى قائلاً: «موسى عبدى قدمات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وهذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل». وتعليقاً على ذلك يقول (بن جوربون) إن البلدان التي لم يستطع (يوشع) أن يحررها، قد حررها جيش الدفاع الإسرائيلي!

«إله إسرائيل، هو المحارب :

لا تختلف عقيدة اليهود عن عقيدة بعض الشعوب القديمة حول فكرة أن

(١) كان كثير من الأمم المعاصرة لبني إسرائيل يحملون مع جيوشهم أيضاً رمزاً لهم فكان المزابيون يحملون رمزاً لهم (كيموش) مع جيوشهم، كان الآشوريون يحملون مع جنودهم رمزاً لهم (اشور).

(٢) رسالة ماجستير بعنوان (العقيدة الصهيونية وأثرها على الجولات العربية

الإسرائيلية) للعقيد أ. ح. إبراهيم سالم شكيب

(الله) هو المحارب ، وأنه قائد الجيوش ، ورب الجنود ، وبالتالي فهو معرض للهزيمة أحياناً كما ينتصر أحياناً أخرى ..

وقد استقر في النفسية اليهودية أن إلههم هو قبل كل شيء (قائد عسكري) يحارب مع الشعب ، وله النصر في النهاية.. وإن كانت هذه النهاية ربما تكون نهاية العالم كله ولقد تغنى شعراؤهم قديماً بهذه المعاني .

وجاء في سفر المزامير (٢٤/١٠-١٦) « حتى متى يا الله يستهزئ المهاجم ويهين العدو اسمك للغاية .. لماذا تقبض يدك ويمينك أخرجها من وسط صدرك وأفهم فأنه ملكي منذ الأزل مهياً الخلاص في وسط الأرض أنت شققت البحر بقوتك حطمت روس التناين على الماء أنت هشمت روس الوحش لوياتان جعلته طعاماً للخلق من أهل البرية ، .

كذلك ورد في سفر حزقيال ذكر حرب إله إسرائيل ضد يأجوج ومأجوج حرباً نهائية ينتصر فيها هو وشعبه المختار (١) .

ومن أمثال تلك الحروب الخيالية ما جاء في سفر زكريا (١٤/٣-٥) كما يلي :
« فيخرج الرب ويحارب تلك الأمم في يوم حربه يوم القتال . وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه نحو الشرق ونحو الغرب وادياً عظيماً جداً وينتقل نصف الجبل نحو الشمال ونصفه نحو الجنوب ، .

كتب اليهود تدعو إلى الحرب العدوانية:

هذا الطابع العدوانى يظهر بأوضح الصور في النصوص الآتية من توراتهم :
(١) في سفر العدد ٣٣ / ٥٥ : « إن لم تطردوا سكان الأرض .. التي أتم ساكنون فيها .

(ب) في سفر التثنية ٢١/٧: «ولا ترهب وجوههم فتمحوا اسمهم من تحت السماء» .
(ج) في سفر التثنية ٢ / ١٠ : « حين تقترب من مدينة لكي تحاربها .. فلا تستبق منها نسمة واحدة » .

(د) في سفر يوشع ١/٣ ؛ : « إن الرب كلم يوشع بن نون خادم موسي قائلاً : كل موضع تدوسه أقدامكم .. مغرب الشمس يكون » .

(هـ) في سفر العدد ٣١ / ١ : « وكلم الرب موسى انتقم ليني إسرائيل من المديانيين ثم انضم إلى قومك . فكلّم موسى الشعب قائلاً - جردوا منكم رجالاً للجدد فيكونون على مديان . فتجدوا على مديان كما أمر الرب واقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلهم فوق قتلاهم وسبي بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا كل مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم .

« فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أثنى حية . فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت بمضاجعة ذكر اقتلوها » .

كذلك يظهر الطابع العدواني في تصرفات اليهود المعارضة لكتابتهم التوراة، فهذه التوراة لم يرد فيها ما يشير إلى أن سكان كنعان قد اعتدوا على اليهود منذ دخولهم الأرض ، ومع ذلك حاربهم اليهود عدواناً منهم ابتداء وليس صدأ لعدوان كنعاني ، لأن ذلك لم يحدث قط .

ونعود مرة أخرى إلى النصوص اليهودية المقدسة لنجد أنها تحرم في (الوصايا العشر) الاعتداء على أحد، ففي إحدى الوصايا «لا تقتل» ومع ذلك نجد اليهود يقتل بعضهم بعضاً عند ما قامت الحرب بين المملكتين ، الشمالية والمسماة (إسرائيل) والجنوبية التي تسمى (يهوذا) .. وكتاهما يهودية وقد نعى عليهم نبيهم (عوديد) ذلك العدوان المتبادل .

ولقد تشبع اليهود بأنهم (شعب الله المختار) دون قيد أو شرط ورتبوا على ذلك تفوقهم على غيرهم من أجناس البشر الأخرى (الجويم) وأن كل حرب يشنونها على تلك الشعوب هي حرب دينية وليست عدوانية ، فآله هو إلههم فقط كما يعتقدون ، وهم إذا حاربوا الآخرين فإنما يقومون برسالة سماوية . ولكن ظهر بينهم نبي يدعى «عاموس» عارض هذه الفسكرة الخيالية ، وأكد لهم أن الله تعالى هو إله جميع العالم . حتى أهل كوش (يعنى حتى أقل الناس مدنية) ، ولم يكن لديهم ما يدحضون به هذه العقيدة الواضحة ، فآله إله إسرائيل هو إله كل حى آخر . وزاد من ضعف دعواهم وبطلان فلسفتهم أنه عندما جاء الإسكندر المقدوني إلى مصر قال له كاهن آمون « إن الرب هو أب لكل الرجال» ويعاق (وليام بادن) على هذه العبارة بقوله : «كانت هذه الكلمات أول تأكيد في العالم الغربي لمبدأ أخوية البشر ، ولقد كان على اليهود بعد كل هذه الأقوال والأدلة أن يقلعوا عما كانوا يشنونه من حروب على الدول الآمنة ، وأن يسلكوا الطريق إلى السلام ، .

التملود وأناره

على العقليّة اليهودية

يعرف اليهود^(١) كتاب « التلمود ، بأنه : (المؤلف الذى يتضمن القانون المدنى والدينى للشعب اليهودى ، فهو إذن عبارة عن ملحق لأسفار التوراة الخمسة الأولى وقد استغرق وضع هذا الكتاب ألف سنة من حياة شعب .. ليس التلمود مجرد أبحاث عقيمة ، بل هو يتحدث إلى الخيال والشعور وإلى كل ما هو عظيم وواضح . فبين حصى القانون الوعرة المشورة فى طريق التلمود ، تبتت زهور زرقاء ، هى زهور الأغنية الشجية المؤثرة .. من حكايات مجازية ، وقصص ، وأساطير عن الجن ، وأقصص خرافية .. إن عناصرها مأخوذة من السماء ومن الأرض ... الخ) .

هذا يا أخى القارىء العربى هو تعريف الحاخام الأكبر لليهود البريطانيين لكتاب « التلمود » ومنه تستطيع أن تقدر القيمة العلية والتاريخية والدينية للكتاب .

على أننا من ناحيتنا سنتناول التلمود من عدة زوايا أخرى غير تلك الزاوية البراقة الذهبية التى نظر إليه منها الحاخام الأكبر ..

فالمبادئ العدوانية التى اشتمل عليها التلمود عديدة ومن أبرزها :

١ - القول بأن الدين اليهودى أفضل الأديان : هذه الفكرة الأولى

التي يحاول التلمود أن يفرسها فى عقليّة كل يهودى ، حتى ينتقل منها إلى أن

(١) من كتاب « فى الفكر اليهودى » تأليف دكتور ج . ه . هرتس الحاخام الأكبر للإمبراطورية البريطانية وعربه الدكتور الفريد يلوز رئيس قسم الترجمة بوزارة الزراعة المصرية .

الجنس اليهودى هو أفضل أجناس البشر ، وبالتالي فهو صاحب الحق فى التسلط على العالم كله ، وبمختلف الطرق والوسائل . وقد أكد هذا المعنى الحاخام (فايوس) فى إحدى خطبه بمدينة ليون بفرنسا فى عيد رأس السنة اليهودية عام ١٨٤٣ حين قال : أن الدين اليهودى أفضل من جميع الأديان ، لأنه لا يحتوى على أسرار (١٤) وكل تعاليمه معقولة بخلاف الدين المسيحى فإن قواعده مبنية على الجنون (١٤) . هكذا قال الحاخام

٢ — الجثة لليهود فقط :

رغم أن كتاب العهد القديم يكاد يكون خلواً تماماً من ذكر (العالم الآخر) أو يوم البعث والنشور ، إلا أن «التلود» يأتى فيقرر أن اللجنة مقصورة على اليهود فقط . . أما النار فهى مأوى الكفار ، ويقصد بهم غير اليهود من أى دين آخر . . .

٣ — السيادة لليهود فقط :

بناء على ما يقرره التلود من أفضلية اليهود على باقى البشر، فإنه يجب عليهم العمل بأقصى الجهود للسيطرة على العالم ، والاحتفاظ بهذه السيطرة بكافة الوسائل والأساليب .

ويوحى «التلود» إليهم بأنه قبل أن يصل اليهود إلى حكم العالم بالكامل يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، حتى يهلك ثلثا هذا العالم ، ثم يبقى اليهود سبع سنوات متتاليات يحرقون الأسلحة التى كسبوها بعد انتصارهم .

٤ — ويرتبط بالمبدأ السابق أن الجنس الإسرائيلى هو أفضل الأجناس البشرية فيقول التلود أن الإسرائيلى معتبر عند الله أفضل من الملائكة . . وأن الفرق بينه وبين باقى الناس كالفرق بين الإنسان والحيوان . . وأن الله خلق

الأجنبي (غير اليهودي) على هيئة إنسان ليكون لائقاً وقادراً على خدمة اليهود الذي خلقت الدنيا من أجلهم .

ه — العدل هو قتل الشعوب الأخرى :

لم ينس التلود أن يوصى بقتل باقي الشعوب (غير اليهودية) فقد جاء فيه :
ومن العدل قتل الكافر، لأن من يسفك دم كافر يقدم قرباناً لله ، (١) .

كذلك حرم الشفقة والرحمة بالنسبة للوثني (ويقصد به كل من ليس يهودياً) ويقول .. فإذا رأيتته واقفاً في النهر أو مهدداً بخطر فحظور عليك أن تنقذه منه . لأن الشعوب السبعة التي كانت في أرض كنعان (فلسطين) والواجب على اليهود قتلها لم تقتل عن آخرها ، بل هرب بعض أفرادها واختلطوا بباقي أمم الارض . ومن المحتمل أن يكون هذا الوثني .. من نسل هذه الشعوب ، (٢) .

كذلك يدعو التلود إلى تقديس مبدأ الغزو والتوسع للعودة إلى فلسطين ثم إلى السيطرة على العالم أجمع .

(١) يقصد بالكافر كل شخص غير يهودي ، فالمسلم والمسيحي يعتبران في نظر التلود كفاراً .

(٢) كتاب موضوعات التوجيه المعنوي ص ١٤٢

الفصل الثالث

الطوائف اليهودية وموقفها من الحرب

حدث التوراة والتلمود اليهود على شن الحرب على البلاد المجاورة لهم بسبب وبغير سبب وهذا ما نقرأه في التوراة من أن على اليهود محاربة الكنعانيين واليبوسيين والفلسطينيين وغيرهم من سكان أرض فلسطين .

ولم يقتصر الأمر على ما جاء في التوراة من هذه العقيدة السرية بل كان التلمود سبباً في إثارة الحقد في قلوب اليهود ضد الشعوب الآمنة المجاورة .

ونشأ عن ذلك كاه قيام بعض الطوائف اليهودية التي تحمل في قلوبها الضغينة للسكان الأبرياء من الشعوب الأخرى نشأت هذه الطوائف بعد موت موسى عليه السلام وأخذت تأخذ أسماء مختلفة وأشكالا متعددة .

كانت هذه الطوائف تنتمي إلى عقائد مختلفة تنتهي كلها إلى فكرة شن الحرب على الدول المجاورة أحيانا وإلى الثورة ضد الحكام الأجانب أحيانا أخرى أو إلى شن الحرب ضد بعضها البعض في فترات عدة .

وسيتبين لنا من دراستنا ما هي هذه الطوائف - وما هي فكرة كل منها عن الحرب وموقفها من ذلك .

السامريون

طائفة يهودية تؤمن بأسفار موسى الخمسة فقط ولا تؤمن بأقوال الأنبياء ولا بكتبهم وهذه الطائفة تتخذ جبل جرزيم محلا لقيادتهم بدلا من جبل صهيون ويقع جبل جرزيم بالقرب من مدينة نابلس وتسكن هذه الطائفة الآن مدينة نابلس بفلسطين ويبلغ عددهم حوالي مائتي نسمة .

ولا تؤمن هذه الطائفة بالصهيونية ولا بقيام الحرب فالصهيونية في نظرهم تمثل الكفر لأنها (أى الصهيونية) تطلب إرجاع هيكل سليمان وجبل صهيون وهذان المطالبان لا يتفقان وما جاء في أسفار موسى الخمسة .

كما إنه من حيث أن موسى عليه السلام لم يدخل فلسطين فان الحرب التي يقوم بها اليهود والصهيونيون الآن للاستيلاء على فلسطين تكون حراً سياسية وليست دينية لأن الكتاب المقدس وهو التوراة لا يؤكد بأن موسى عليه السلام دخل فلسطين إذ مات قبل أن يدخلها .

ومن كل هذا يرى السامريون أن الصهيونية فرقة إستعمارية لا تتبع ما جاء في التوراة وأن ما تدعيه من حق الاستيلاء على فلسطين إنما هو مخالطة إذ لم يرد في أسفار موسى ما يثبت أن موسى دخل فلسطين وما دام لم يدخلها فليس من حق الصهيونية المطالبة بها^(١) .

الفريسيون

طائفة يهودية اعتبرت نفسها الممثلة للشريعة اليهودية والمدافعة عن الطقوس الدينية وتنفيذها .

كانت هذه الطائفة أهم الطوائف اليهودية زمن المسيح عليه السلام .

وأصل هذه الطائفة غير معروف بالضبط فليس هناك مصادر صحيحة تحدد لنا وقت ظهورها ولسكنته من باب الحدس والتخمين وكل ما يمكن أن نقوله هو أن هذه الطائفة تعتبر خليفة ووريثة طائفة الحسيديم التي ظهرت أيام المكابيين في القرن الثاني قبل الميلاد .

(١) يرى بعض المؤلفين أن السامريين يؤمنون أيضاً بسفر يشوع .

وتميل هذه الطائفة إلى شن الحروب ضد الفرق اليهودية الأخرى وضد الحكام الأجانب والعمل على إيقاع الفتن بين هؤلاء الحكام وسبب ميل هذه الطائفة إلى شن الحروب هي أنها ورثة طائفة الحسيديم التي كانت كثيراً ما تشترك في حروب ضد الحكام اليونان فلا غرو أن تكون طائفة الفريسين قد ورثت حب شن الحروب عن طائفة الحسيديم^(١) وقد انتهت فرقة الحسيديم بعد المكابيين .

وقد اعتبرت طائفة الفريسين النواة الأولى للصهيونية إذ كانت تفرس في عوام الشعب بذور الحقد للشعوب الأخرى وتوجيهه إلى احتقار تلك الشعوب والأجناس والأديان غير اليهودية جهاراً أحياناً وسراً أحياناً أخرى .

وكانت ترفض أية حكومة أجنبية وقد انتهى أمر هذه الطائفة سنة ٧٠ م بعد هدم هيكل سليمان .

القانون

شعبية من الفريسيين أطلقوا على أنفسهم القنانيين أو الغيورين .

اتخذت هذه الطائفة العنف والقسوة دستوراً لها ، يقول المؤرخ اليهودي يوسفوس « إن هذه الجماعة كانت تمتاز بتمسكها لفكرة الوطن اليهودي الحر وكانوا لا يعترفون برئيس أو سيد غير الله .

وكانوا يفضلون الخروج على القانون بل يفضلون الموت لهم ولذويهم على أن يبايعوا حاكماً أجنبياً كما تعتبر تنظيمها صهيونياً سياسياً وعسكرياً وكانت تلجأ إلى استعمال القوة والإرهاب والقتل والاختيال لتحقيق مآربها وهو

انتزاع فلسطين من الرومان وبسط السيطرة اليهودية عليها بصورة
دكتاتورية .

الأشكناز

هم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وكلمة اشكناز كانت تدل في
الفكر اليهودي في العصور الوسطى على الأراضى الأوربية التي يسكنها الجنس
الجرماني ثم أصبحت تعني يهود أوروبا .

علاقة هذه الطائفة بالحروب : فإن هذه الطائفة تعتبر من أقطاب الصهيونية
فهى تميل إلى شن الحروب وذلك لأن معظم رؤساء هذه الطائفة وزعماءها
هاجروا إلى فلسطين وكانوا من مؤسسى الأحزاب السياسية الصهيونية فيها .

السفرد

هم طائفة اليهود الذين سكنوا حوض البحر الأبيض المتوسط وكلمة سفرد
تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على شبه جزيرة أسبانيا، ويعتبر
يهود العالم العربى من السفرد، ولغة هذه الطائفة هى فى الغالب العربية أو الفارسية
أو التركية .

وتتفق هذه الطائفة أيضاً مع الصهيونية حيث أن معظم أهلها يعتبرون
القدس وحائط المبكى مكان حجهم .

وقد استغلت الصهيونية هذه الطائفة واستخدمتهم كجواسيس على الدول
العربية لأنهم يعرفون لغة البلاد العربية وتقاليدها، وكذلك الأماكن الهامة بها .

ولما كانت هذه الطائفة تتفق والصهيونية فى الحصول على القدس وحائط
المبكى، فعنى ذلك أن هذه الطائفة تميل إلى شن الحرب على جيرانها .

الصدوقيون

الصدوقيون فرقة تؤمن بما جاء في الكتاب المقدس ولا تؤمن بالتلمود، ولذلك فهم لا يتفقون مع الصهيونية التي تتخذ التلمود دستوراً لها، وهي لا تميل إلى الحرب، وكانت تميل إلى مهادنة الحكام الأجانب ولها عقائدها الخاصة في المعيشة عيشة الحياة المترفة - وقد انقرضت هذه الطائفة .

الأسينيون

كانت هذه الطائفة موجودة أيام المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ولم يكن يعرف الكثير عنها حتى سنة ١٩٤٧ ميلادية وحتى اكتشافت مخطوطات البحر الميت سنة ١٩٤٧ فعرف الكثير عن تاريخها .

وكلمة (أسينين) معناها الطيب أو المداوى والكلمة أصلها آرامي .
وهي كلمة آسيا بمعنى طيب ويجوز أن يكون من العربية آسى ويواسى
وأهم ما تتميز به هذه الطائفة :

- (١) الإعتزال عن الناس .
- (٢) يلبسون الثياب البيضاء .
- (٣) المعيشة الجماعية .
- (٤) كانوا يجرمون في عبادتهم الذبيحة ويرون فيها نوعاً من أنواع القسوة وسفك الدماء .
- (٥) كانوا يجرمون الاستعباد والرق .
- (٦) العمل على إلغاء الحروب وأن يعيش العالم في سلام دائم ومجانبة الإضرار بالخلق وعدم استعمال الأسلحة وآلات الحرب وعدم إيذاء الناس .

(٧) تحريم الملكية الفردية .

(٨) • الاشتغال بالتجارة .

ومن هنا يتضح أن هذه الطائفة لا تميل إلى شن الحروب ولا إلى استعمال الأسلحة أو صناعة الآلات الحربية ، ونادوا بأن يعيش الناس مع بعضهم في وئام وسلام .

القرؤون

ترجع تسمية القرابين بهذا الاسم إلى أن كتب العهد القديم (الأسفار الخمسة والأنبياء والكتب) تسمى المقرأ أو المقروء ، وسميت الطائفة التي تملك الأسفار فقط باسم القرابين . وهذه الفرقة لا تؤمن بالتلود ولذا فهم ضد الصهيونية بل وقفت هذه الطائفة موقف المعادين للصهيونية . ويعتبر القرؤون فرقة الربانيين الموالين للصهيونية كفرة ..

الربانيون

هي أكبر الطوائف اليهودية في العصر الحديث عدداً، وأكثرها انتشاراً، وهي تؤمن بالتوراة والتلود وتعتبر هذه الطائفة وريثة لفرقة الفريسين ولذا فهي تميل إلى الاستيلاء على بيت المقدس بل وفلسطين كلها وهي متفقة تماماً مع الصهيونية ولذا فهي تميل إلى استعمال القوة والعنف وشن الحرب .

جماعة أبناء النور وأبناء الظلام

ظهر خبر هذه الجماعة نتيجة لأعمال التنقيب التي جرت في عام ١٩١٧ بمنطقة خرابة قران على الضفة الغربية للبحر الميت بفلسطين .

وقد ظهرت مجموعات عديدة من نصوص دينية وسلوكية يستدل فيها على أن شعار هذه الجماعة هو « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » وكانت تعتبر نفسها القوة المختارة لمطاردة باقي الشعوب من غير اليهود . فأبناء الظلام في عرفهم هم الشعوب الأخرى غير اليهودية . وكان الشعب اليهودي هو « الشعب المختار » في عقيدتهم فهم يتخذون طرقاً سرية ويقومون بأعمال العنف ضد الشعوب الأخرى كلما سنحت لهم الفرصة لذلك .

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الجماعة السرية قد استوحت كثيراً من نظمها العسكرية من الجيش الروماني .

ولاشك أن جذورها قد امتدت إلى تأسيس حركة (الماسونية) أو البنائين الأحرار ، وهي حركة سرية للدرجة القصوى ، وتعتمد على السيطرة الكاملة على أعضائها وتحريك كل واحد منهم لخدمة أغراضها في السيطرة على العالم .

مراجع هذا الفصل

- ١ - كتاب الفكر الديني الإسرائيلي ، للدكتور حسن ظاظا .
- ٢ - الربا عند اليهود ، الأستاذ السيد محمد عاشور .
- ٣ - القراؤن والربانيون ، الأستاذ مراد فرج .
- ٤ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، للدكتور علي عبد الواحد وافي .
- ٥ - من الأدب العبري ، للدكتور فؤاد حسنين علي .
- ٦ - Ju Judaism By George Foot Moor .

الفصل الثالث

المسيحانية وموقفها من الحرب

كانت المسيحانية مظهرآ من مظاهر الفكر اليهودى الذى دعا إلى مقاومة الحكم الأجنبي بالقوة والعمل على تخليص اليهود من السبي والعبودية مما أدى إلى ظهور كثير من المسحاء وسهولة تقبل الفكر اليهود لادعاء هؤلاء المسحاء فى الأزمنة المختلفة- وقد أتينا بأصل تلك الفكرة عند الدول غير اليهودية فيما يلى يقول الأستاذ عباس العقاد :

• يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص وظهور الرسول المخلص فى زمن مقبل وظهر على عقائد القبائل الحمر فى القارة الأمريكية أن القبائل التى تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة فى الأمريكين وليس فى هذا عجب لأن الرجاء فى الخير أصل من أصول الديانة والأمل فى الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية يشها الخالق فى ضمير لقيه ويفتح لهم بها سبيل الاجتهاد فى طلب الكمال والخلاص من العيوب وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه فكان المصريون الأوائل يترقبون المخلص المنقذ بعد زوال الدولة القديمة .

وروى برستد عن الحكيم أبيور أن المخلص الموعود يلقى بردآ على اللبيب ويتكفل برعاية جميع الناس ويقضى يومه وهو يلم شمل قطعانه .

وقد كان البابليون يؤمنون بعودة مردخ إلى الأرض فترة بعد فترة لقمع

الفتنة وتطهيرها من الفساد وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل أتب سنة ينبعث في جسد إنسان .

أما الإيمان بظهور رسول إلهي يسمى المسيح خاصة فلم يعرف بهذه الصيغة قبل كتب التوراة وتفسيراتها أو تعليقات عليها في التلمود والهجادا وما إليها .

ومرجع التسمية نفسها إلى الشعائر التي وردت في سفر التكوين وسفر الخروج وما يليهما من أسفار الأنبياء فإن المسح بالزيت المبارك من شعائر التقديس والتكريم . وأول ماورد ذلك في الإصحاح ٢٨ من سفر التكوين حيث روى عن يعقوب أنه بكر الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه .

وجاء في الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج أن الرب كلم موسى قائلاً : وأنت تأخذ أغصان الأطياب دهناً مقدساً للمسحة وتمسح به خيمة الاجتماع ،^{١١} .

ويرى مؤرخو اليهود أن المسيحية تعني رجوع المسيح إلى هذا العالم لتخليص الشعب اليهودي مما هم فيه من سوء الحال وذل الاستعمار .

وقد تولدت تلك الفكرة عند اليهود منذ السبي البابلي فقد وجدوا أنفسهم تحت سيطرة البابليين وفي نير العمودية ، فكانوا يطلبون من الله أن يرسل لهم من يخلصهم من هذا الذل وتلك العبودية التي يقاسونها في المنفى في بابل .

وكان من شدة تعلق اليهود بتلك الفكرة واعتمادهم على هذا الأمل أنهم كانوا كثيراً ما يصدون كل من كان يدعى أنه المسيح المنتظر، أو المسيح المخلص .

وقد ظهر كثيرون منهم كان بعضهم يشير الحماس في نفوس الشعب اليهودي ويقاوم الحكم الأجنبي وكان ينتهي عمل هؤلاء المسحاء بالفشل والهزيمة .

بعض المسحاء

(أ) باركوخيا :

ظهر هذا المدعى في أوائل القرن الثامن الميلادي حوالي (عام ١٣٠ م)
وادعى أنه المسيح المخلص الذي جاء ليخلص الشعب اليهودي من حكم الرومان
ويحقق استقلال اليهود بفلسطين فأعلن الجهاد المقدس لطرده الرومان والشعوب
الأخرى من فلسطين وجعلها وطناً خالصاً لليهود دون غيرهم . ولو أنه اقتصر
على ذلك لسكانت حركته هذه حركة عسكرية صهيونية مثل كثير غيرها في
تاريخ اليهود واسكنه زاد فادعى لاتباعه أنه المسيح المخلص أو المسيح المنتظر
حتى تمكن من جمع جيش ضخم بلغ نصف مليون مقاتل تقريباً ولسكن
الامبراطور الروماني هادريان لم يهله وسار إليه فهزمه شرهزيمة وقتل من
جيوشه مقتلة عظيمة وأباد معظم يهود فلسطين وقام بتغيير معالمها وآثارها
وأسمائها وتشريد الباقي منهم بحيث لا تقوم لهم قائمة بعدها .

وهنا فقط تبين لليهود أن هذا الرجل (باركوخيا) ما هو إلا رجل كذاب
دجال فغيروا اسمه إلى د بركوزيا . فبعد أن كان اسمه ابن الكوكب أصبح
اسمه ابن الكذاب (١) .

(ب) داؤد الرائي :

اسمه داؤد بن سايان من مواليد بعض أقاليم كردستان عام ١١٣٥ وقد
درس في شبابه التوراة والتلمود . وفي سنة ١١٦٣ ادعى أنه المسيح المخلص

() الفكر الديني الإسرائيلي للدكتور حسن ظاظا .

وجاء ليخلص اليهود من الظلم الواقع عليهم وحال انتزاع فلسطين من يد العرب
وليعلن فيها الحكم اليهودى فى عودة اليهود المشتتين فى العالم وإعادة ملك سليمان
وتحمس اليهود لهذه الفكرة الذهبية وكونوا جيشا وضعوه تحت أمر هذه
المسيح المنتظر وحاول هذا المسيح إنتهاز فرصة انشغال العرب فى الحرب
الصليبية إلا أن العرب هزموه شر هزيمة وقتلوه سنة ١١٦٣ .

الفصل الرابع

أنبياء اليهود وموقفهم من الحرب

يفيض التاريخ اليهودى بعدد كبير من الأنبياء . منهم من كانوا أنبياء فعلا ، ومنهم من جعلهم اليهود أنبياء ... ويلسب اليهود إلى بعض هؤلاء الذى (نبأؤهم) أنهم كانوا دعاة حرب ، بينما أن الأنبياء جميعاً يدعون إلى السلام . فرسل الله سبحانه وتعالى إنما بعثوا إلى البشر ليحققوا السلام بينهم ، وما لم يكن هناك عدوان يتحتم صده حفاظاً على حياة الشعب وأمنه فإنه لا يوجد رسول أو نبي من عند الله يمارس الحرت العدوانية على الشعوب الأمانة الأخرى .

ومن أمثال الشخصيات التي وضعها اليهود في مصاف (الأنبياء) ووصفهم بأنهم كانوا يدعون إلى الحرب : عزرا ونحميا والمكابيين . أما الأنبياء الحقيقيين الذين وقفوا ضد الحرب وعدم شنها على باقى الشعوب فإن التاريخ اليهودى يفيض بالكثير منهم ، مثل :

(ا) النبي أشعيا :

قال هذا النبي : «سيكون السلام عمل الإنصاف ، وسيكون الهدوء والطمأنينة الدائمين أثراً من آثار العدالة ، وسيأتى عهد يصطنع الناس فيه من سيوفهم - محارث - ومن سهامهم - مناجل - وتصد الأمم فيه من أن تتخذ من الحرب مهنتها» (١) .

(ب) النبي أرميا :

عاصر هذا النبي غزو البابليين لأورشليم على يد نبوخذنصر وقد قام

(١) سفر أشعيا .

(: - التوراة)

هذا النبي ينصح الشعب ألا يقف في وجه الغزاة، لأن الحرب ستدمر أورشليم وأن السلام هو الطريق الصحيح،^(١).

(ج) النبي زكريا :

جاء في خطاب للنبي زكريا إلى الشعب :

« وسيعلمن ملكك السلام للأمم »،^(٢).

(د) النبي ميخا :

يقول هذا النبي :

« وسيصنعون من سيوفهم حاصدات، ومن نشاباتهم دراسات ولن تمثق أمة بعد اليوم حسامها ضد أمة، ولن يتعلم الإنسان فن الحرب أبداً،^(٣)»

أنبياء يدعون إلى الحرب

إذا نظرنا نظرة فاحصة إلى ما جاء في أقوال الأنبياء والتي دونت في التوراة نجد أن كثيراً منهم دعا إلى الحرب فمنهم يشوع الذي دخل كنعان بالقوة وحارب أهلها وقتل سكانها كما رأينا بعض الأنبياء يتكلمون تارة عن السلم ويدعون إلى الحرب تارة أخرى وها هو النبي زكريا^(٤) يدعو تارة إلى السلم ويدعو تارة أخرى إلى الحرب ثم نرى أيضاً تحمياً وعزراً يدعو إلى الحرب. والتوراة مهيئة بالدعوة إلى الحرب وأسفار الأنبياء احتوت على الكثير من هذه الدعوات بما كان أساساً لما جاء في التلمود من أحقاد نحو الدول الأخرى.

(١) سفر أرميا. (٢) سفر زكريا. (٣) سفر ميخا.

(٤) تتكلم التوراة عن زكريا النبي غير سيدنا زكريا المذكور في القرآن

إذ زكريا الذي تكلمت عنه التوراة جاء في زمن قبل سيدنا زكريا بما يقرب من ثلثمائة سنة تقريباً.

الباب الثالث

الفصل الأول

قواعد التنظيم العسكري لدى اليهود

تعتبر اتورا المعروفة بالخدمة العسكرية فرضاً على كل شاب يهودى بلغ العشرين من عمره فقد جاء في سفر العدد « وكلم الرب موسى في صحراء سيناء في خيمة الاجتماع في اليوم الأول من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً احصوا جماعة بني إسرائيل لعشائرتهم ويوت آبائهم بعدد أسمائهم كل ذكر بذاته من ابن عشرين سنة فصاعداً كل من يخرج إلى الحرب في إسرائيل تحصيلهم أنت وهارون بحسب جيوشهم. وفي موضع آخر من نقر السفر يقول « وكان بعد المعركة أن كلم الرب موسى واليعازر بن هارون الكاهن قائلاً احصوا جماعة بني إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعداً على حسب بيوت آبائهم كل خارج في الجيش من إسرائيل ، فكلهم عيسى واليعازر الكاهن في صحراء مؤاب على أردن أريحا قائلين ليحصى من ابن عشرين فصاعداً كما أقر الرب موسى وبني إسرائيل الخارجين من أرض مصر. »

وكان لفريضة الخدمة العسكرية سنناً تبدأ به وهو سن العشرين وكان لها سن تنتهى به وهو سن الخمسين ، وواضح من خلال اتورا أن الخدمة العسكرية لا يعادها في نظرهم إلا خدمة إله إسرائيل والقيام بالكهنوت والدليل على ذلك هو أن سبط اللاويين وهم الكهنة لم يكونوا خاضعين للخدمة العسكرية الاجبارية وأنهم أيضاً كانوا يدخلون سالك الكهنوت حتى سن الخمسين وإن كانت بداية انخراطهم في سالك الكهنوت تبدأ من سن الثلاثين لأن منظر النصح والوقار لازم

لممارسة الخدمة الدينية (١) .

تنظيم الجيش :

وكان التجنيد يتم قديماً في بني إسرائيل بحسب أسباطهم بحيث يكون المجندون من كل سبط على حدة . ولعل من المفيد هنا أن نذكر أن كل من اجتاز عملية الفرز العسكري وأدخل في الجندية كان يسمى « حلو اللص » ، وهي نفس الكلمة التي تطلق في العبرية الحديثة على الصهيوني الذي يهاجر إلى فلسطين لاحتلال أرض واستعمارها كما ورد ذلك في سفر العدد ٣١/٥ ، وكيف يأخذ موسى جنداً من كل سبط من أسباط بني إسرائيل يسيرون للحرب من كل سبط ألف ، إثنا عشر ألفاً متجردون للحرب فسيرهم موسى من كل سبط ألفاً للحرب ، ويفهم من بعض النصوص العبرية أن العبريين القدماء كانوا إذا أرسلوا في غزوة اكتفوا في البداية بعشر المجندين بحيث تبقى معظم القوة في الجانب الاحتياطي وتصدر لها الأوامر من بعد حسب ظروف المعركة . حدث ذلك مثلاً في حملة لتأديب بلدة جبعة التي تقع على مقربة من القدس . قال المجتمعون من بني إسرائيل نأخذ من كل مائة رجل عشرة من كل أسباط بني إسرائيل ومن الألف مائة ومن العشرة آلاف ألفاً . وكان هذا الاختيار يتم بالقرعة والذين لا يسرون للقتال يقومون بأعمال الإنتاج المدني اللازمة للشعب (سفر القضاة ٢٠/١٠) .

وكان أمر التجنيد موكولاً في أيام المملكة إلى موظف تابع للقصر ليس من العسكريين وقد يكون أحياناً من الحصيان فقد جاء في سفر النبي أرميا عند ذكر سقوط مملكة يهوذا ووقوع كبار رجالها في يد الجيش الأشوري

(١) أساس إعفاء الكهنة واللاويين ما جاء في سفر العدد الإصحاح الأول

قوله (٢٥/٥٢) : «وأخذ من المدينة خصياً واحداً كان يتولى رجال الحرب، وكان هذا الموظف يستعين في مهمة التجنيد بكتاب من قبل القيادة العسكرية قيل عنه في نفس الآية السابقة ... وكان رئيس الجيش الذي كان يجمع شعب الأرض، وجاء أيضاً بنفس الموضوع في سفر الملوك الثاني (١٩/٢٥).

وكانت التعبئة العسكرية ^(١) تتم عند العبريين القداماء في الظروف التي يقررون فيها الحرب أو يهاجمهم فيها العدو وليست هناك دلالة على وجود جيش عامل دائم منظم إلا بعد نهاية عصر القضاة وتولى شاؤل الملك في أيام صمويل فقد اختار هذا الملك من رعيته ثلاثة آلاف محارب جعل ألفين منهم تحت قيادته في معسكر يقع في الشطر الشمالي من فلسطين عند مكباش وجبل بيت إيل بمنطقة نابلس أما الألف الأخرى فقد وضعها تحت قيادة ابنه يوناتان الذي عسكر بها في الشطر الجنوبي من البلاد في جبعة بنيامين بالقرب من القدس ولكن نفس هذا الملك مع ظروف القتال والمعارك المتلاحقة كان لا يكف عن زيادة قواته العسكرية إذ يروى في سفر صمويل الأول (٥٢/١٤) أنه كانت حرب شديدة على الفلسطينيين كل أيام شاؤل وكان شاؤل كلما رأى رجلاً مقاتلاً أو ذا قوة ضمه إليه .

أما في أيام داؤد فإن العناية وجهت أكثر فأكثر إلى تقوية الجيش وتنظيمه إذ قسمه إلى فئتين مختلفتين إحداهما للأمن الداخلي ورد ذكرها في سفر صمويل الثاني (٧ / ٢٠) باسم الجلادين ورجال الدورية أو السعاة كما يسمونهم المقاتلين والأخرى هي جيش الدفاع الوطني المنوط به العمل العسكري ضد

(١) كانت التعبئة العامة للغزو تتم عن طريق تجميع العشيرة حول فارسها وإذا كان العدو أشد مراساً استعدت القبيلة حلفاءها وهاجموا العدو مجتمعين ومن يكتب له النصر يقتسم الأسلاب ويعود أدراجه (عن كتاب المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده ص ٨٠ د . للدكتور فؤاد حنين علي)

العدو وكانت مقسمة إلى فرق كل واحدة منها تتكون من أربعة وعشرين ألف مقاتل (أخبار الأيام الأول ١/٢٧) وعليهم قواد على رأسهم جميعاً القائد العام للقوات المسلحة وكان اسمه إذ ذاك يوأب وبليه مجموعة من القواد يظهر من النص السابق أنهم يكونون قيادة الأركان العامة ريسونهم رؤوس الآباء ويليهم فئة من الضباط يسمى الواحد منهم قائد ألف ثم قائد مائة ويأتي بعد ذلك العرفاء وكانت الخدمة العسكرية في قوات داوود في وقت السلم تتناوبها فرق من الإثني عشر سبطاً على مدار السنة كل فرقة تخدم شهراً . وعندما تكتمل السنة فإنه يحدث استنفار عام لجميع المجندين وهذا يفسر ما سبق ذكره من كون الحرب التي كانت تقوم بها إسرائيل قديماً كانت تبدأ في فصل الربيع مع بداية السنة في تقويمهم القديم .

نظافة المعسكر :

تشددت الشرائع الموسوية في نظافة المعسكرات وما حولها وأجبرت الجنود على أن يتجنبوا استعمال المعسكر وما حوله كدورات مياه إلا في أماكن محددة بينما يبقى المعسكر نفسه طاهراً ويكون حكمه كحكم المعبد . واعتمدوا على قول التوراة وإذا خرجت في جيش ضد أعدائك فتجنب كل شيء دنس . إن كان معك رجل غير طاهر مما عرض له ليلاً فليخرج إلى خارج المعسكر ولا يدخل إليه وعند إقبال الماء يغتسل بماء ومع غروب الشمس يدخل إلى داخل المعسكر ويكون لك موضع خارج المعسكر لتخرج إليه عند الحاجة ويكون معك وتد مع سلاحك لتحفر به عندما تجلس خارجاً ثم تعود وتردم غائطك . لأن الرب إلهك في وسط معسكرك لكي ينقذك ويرد أعداءك عن وجهك فليكن معسكرك مقدساً حتى لا يرى لديك شيئاً دنساً فيرجع عنك، (تثنية ٢٣/٩ - ١٤) .

بعض مستلزمات الجيش

هناك بعض مستلزمات لا بد من وجودها لحاجة الجيش إليها ومن أمثلة ذلك :

١ - المعسكر :

كان اليهود في بادىء الأمر يقيمون خيمة متنقلة بمثابة معسكر يجتمع فيها القادة ليدروا عملياتهم الحربية ويصدروا منها أوامره وكانوا يضعون في هذه الخيمة تابوت العهد اعتقاداً منهم بأن هذا التابوت هو ممثل إلههم وأنه هو الذى سيقودهم نحو النصر كما أن حمله من وصايا التوراة ، كما كان أيضاً من مستلزمات المعسكر وجود شعارات وعلامات ورايات وأبواق وأعلام.

٢ - المظلة Booth :

كان الجيش في بعض الأحيان - يحتاج إلى إقامة بعض المظلات في بعض الأماكن للوقاية من الطقس .

وهذه المظلات تشبه الأكشاك .

٣ - حارس الخيمة Picket :

هو الجندى المكاف بحراسة الخيمة وكانت الحراسة تتبدل ثلاث مرات في الليلة الواحدة .

٤ - الحامية Gariison :

كانت هناك حصون وكان لها حاميات تقوم بحراسة المدن وقت الخطر وكانت هذه الحاميات تراقب العدو قبل دخوله وتعطي الإشارات كما أنها

كانت تقوم بمفاوضة العدو في حالة الصلح وقد حدث ذلك عند غزو الملك
سنجارب الآشوري مملكة يهوذا في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد .

٥ - الفرق والألوية :

منذ بداية التجمع العسكري للعبريين في أيام موسى ظهرت الرايات
والأعلام المميزة لفرقهم العسكرية بحسب أسباطهم، في بداية الأمر جاء في
سفر العدد في الإصحاح الأول وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لينزل بنو
إسرائيل كل عند راتبه تحت أعلامهم على حسب بيوت آبائهم بخذاء خيمة
الاجتماع من حولها ينزلون فتنزل شرقاً راية معسكر يهوذا بحسب جيوشهم
والرئيس على بني يهوذا يخشون ابن عميناداب وعدد جيشه أربعة وسبعون
ألفاً وستمائة وينزل إلى جانبه سبط يساكر والرئيس على بني يساكر ثنائيل
ابن صوغر وعدد جيشه أربعة وخمسون ألفاً وأربعمائة .

ثم سبط زبولون والرئيس على بني زبولون إلياس بن حبلون وعدد
جيشه سبعة وخمسون ألفاً وأربعمائة جميع المعدودين لمعسكر يهوذا مائة وستة
وثمانون ألفاً وأربعمائة بحسب جيوشهم وهم يتحركون أولاً .

وفي الجنوب راية معسكر رؤبين بحسب جيوشهم والرئيس على بني
رؤب اليصور بن شداى أور وعدد جيشه ستة وأربعون ألفاً وخمسون
وينزل إلى جواره سبط شمعون والرئيس على بني شمعون سلو مثيل بن صور
يشداى وعدد جيشه تسعة وخمسون ألفاً وثلاثمائة .

ثم سبط حاد والرئيس على بني حاد الياساف بن رعوثيل وعدد جيشه
خمسة وأربعون ألفاً وستمائة وخمسون جميع المعدودين لمعسكر رؤبين مائة
وواحد وخمسون ألفاً وأربعمائة وخمسون بحسب جيوشهم وهم
يتحركون ثانياً .

ثم تتحرك خيمة الاجتماع وهي معسكر اللاويين في وسط المعسكرات.
وكا ينزلون يكون ارتحالهم كل في موضعه على حسب راياتهم . وفي القرب
راية معسكر أفرايم بحسب جيوشهم والرئيس على بني أفرايم اليشاماع بن
عميهود وعدد جيشه أربعون ألفاً وخمسمائة وإلى جانبه سبط منسى والرئيس
على بني منس جملئيل بن فدهصور وعدد جيشه اثنان وثلاثون ألفاً وماتان
ثم سبط بنيامين والرئيس على بنيامين ابيدان بن جدعوني وعدد جيشه خمسة
وثلاثون ألفاً وأربعمائة جميع المعدودين لمعسكر أفرايم مائة وثمانية آلاف
ومائة بحسب جيوشهم وهم يتحركون ثالثاً .

وفي الشمال راية معسكر دان حسب جيوشهم والرئيس على بني دادان
أخيعازر بن عميشداي وعدد جيشه اثنان وستون ألفاً وسبعمائة وينزل إلى
جانبه سبط آشر والرئيس على بني آشر فجعايل بن عكران وعدد جيشه واحد
وأربعون ألفاً وخمسمائة ثم سبط نفتالي والرئيس على بني نفتالي أخيرع
ابن عينان وعدد جيشه ثلاثة وخمسون ألفاً وأربعمائة جميع المعدودين
لمعسكر دان مائة وسبعة وخمسون ألفاً وستمائة .

وهم يتحركون أخيراً بحسب راياتهم . هؤلاء هم المعدودون من بني
إسرائيل بحسب بيوت آبائهم جملة عدد المعسكرات بحسب جيوشهم ستماية
وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون .

أما اللاويون فلم يمحوا في جملة بني إسرائيل . كما أمر الرب موسى ففعل
بنو إسرائيل بحسب كل ما أمر الرب به موسى هكذا نزلوا بحسب راياتهم

وهكذا تحركوا كل بحسب عشائره وبيت آباءه^(١).

وقد استمر استعمال الرايات عند اليهود إلى آخر أيام ملوكهم حتى أننا نرى النبي أرميا يقول «ارفعوا الراية نحو صهيون»، ٦/٤ وكذلك يفهم من بعض نصوص العهد القديم أن الرايات كانت ترفع على السفن في البحار والأنهار (أشعيا ٢٣/٣٣ وحزقيال ٧/١٧).

(١) الأعداد المذكورة عن عدد الجيوش مستقاة من التوراة المتداولة وهي في الحقيقة لا تمثل الواقع لسبب بسيط هو أن جيشاً قوامه أكثر من ستمائة ألف مقاتل كان كفيلاً بفتح روما نفسها في ذلك الوقت . بينما لا تحدثنا التوراة عما حققه من انتصارات حتى ولو كانت محلية ...

اختيار الجندي

كانت هناك شروط متعددة لاختيار الجندي ومن أهمها :

- ١ - أن يكون قوى البنية كما كان يفعل شاول في اختيار جنده .
- ٢ - أن يكون سليماً من الأمراض كمرض البرص وأن يكون طاهراً وغير متنجس بميعة .

جاء في سفر العدد الإصحاح / ٥

« وكلم الرب موسى قائلاً من بني إسرائيل أن ينحوعن المسكر كل أربص وكل من به صديد سائل وكل متجلس بميعة ذكراً أو أنثى ينحون خارجياً عن المسكر حتى لا ينجسوا محلاتهم حيث أنا مقيم فيما بينهم . »

٢ - كيفية اغتراف الماء :

اتبع جدعون أحد قضاة إسرائيل طريقة في اختيار الجندي ألا وهي أن يأمرهم باغتراف الماء من النهر ومن طريقة اغترافهم للماء يختار جنوده . وقد بينت التوراة هذه الطريقة فقالت « وقال الرب لجدعون أحد قضاة إسرائيل لم يزل الشعب كثيراً انزل بهم إلى الماء وألقيهم لك هناك ويكون أن الذي أقول لك عنه هذا يذهب معك فهو يذهب معك وكل من أقول لك عنه هذا لا يذهب معك فهو لا يذهب فنزل بالشعب إلى الماء وقال الرب لجدعون كل من يبلغ بلسانه من الماء كما يبلغ الكلب فأوقفه وحده وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب وكان عدد الذين ولغوا أيديهم إلى فمهم ثلاثمائة رجل وأما باقي الشعب جميعاً فجلسوا على ركبهم لشرب الماء فقال الرب لجدعون بالثلاثمائة رجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانين ليديك وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه » (١)

(١) هذه الحادثة ذكرها القرآن على أنها حدثت أيام شاول الملك أي بعد عصر جدعون بما يقرب من مائة سنة .

فكرة الاعتراف

وعلاقتها بالدين الإسلامى

يقول الله تعالى فى سورة البقرة (الآية ٢٤٩) :

« فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . »

ويفسر الإمام محمد عبده هذه الآية بقوله (١) .

لما كان بنو إسرائيل من قبل كارهين لملك طالوت عليهم ثم أذعنوا من بعد وكان إذعان الجميع ورضاهم بما لا يمكن العلم به إلا بالاختبار والابتلاء ، أراد الله أن يتبلى هذا القائد جنده ليعلم المطيع والعاصى ، والراضى والساخط ، فيختار المطيع الذى يرجى بلاؤه فى القتال وثبات معه فى النزال ، وينقى من يظهر عصيانه ويخشى فى الوعى خذلانه ، فإن طاعة الجيش القائد وثقته به من شروط الظفر . وأحوج القواد إلى اختبار الجيش من ولى على قوم وهم له كارهون ، أو كان فيهم من يكرهه . فإذا وجد فى الجيش من ليس متحداً معه يخشى أن يوضعوا خلاله يبعونه الفتنة ويسومونه الفشل ، أخبر طالوت جنوده بأن سيمرون على نهر يمتحنهم به بإذن الله ، فمن شرب منه فلا يعد من أشياعه المتحدين معه فى أمر القتال إلا أن يكون ما يشر به قليلا وهو غرفة تؤخذ

(١) تفسير المنار الجزء الثانى طبعة ١٣٥٠ هـ .

باليد ، فإن هذا مما يتسامح فيه ولا يراه مانعاً من الانحدار به والاعتصام بجبله ، ومن لم يطعمه أى لم يذقه بالمرّة وهو الذى يركن إليه ويوثق به تمام الثقة ، فالابتلاء سيكون على ثلاث مراتب . مرتبة من يشرب فيروى لا يبالي بالأمر وحكمه أن يتبرأ منه . . . ومرتبة من يأخذ بيده غرفة ييل بها ريقه وهو مقبول في الجملة . . . ومرتبة من لا يذوقه البتة وهو الولي النصير الذى يوثق باتحاده ويعول على جهاده . . .

وهكذا كانت تجربة المرور بالنهر وعدم السماح للجيش بالشرب منه ، إلا من اعترف غرفة بيده . . . كانت هذه التجربة إمتحاناً لإخلاص الجنود وطاعتهم للقائد الذى كان معظمهم لا يحبونه . وقد أظهرت التجربة معدن هذا الجيش الذى شرب من النهر ولم ينصاع للأوامر — إلا قليلاً منهم — فإنه عند لقائهم للجالوت في المعركة « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، ولا عجب في ذلك فقد خالفوا أوامر القائد من قبل وشربوا من النهر رغم أوامره لهم بعدم الشرب من النهر . . .

ثم يقول الإمام محمد عبده (١) :

« وفي كتب اليهود أن الابتلاء بترك شرب الماء كان على يد جودون قبل قصة طالوت ، ويوردون في ذلك بما لا يليق بالله تعالى ولكنه يوافق ما بنيت عليه حوادث تاريخهم من كونها كلها عجاب وخوارق عادات لا شئ منها مبنى على سنن الله تعالى في الاجتماع البشرى . . .

ثم أورد نص ما روته التواراة في الفصل السابع من سفر اتضاة . وهو ما سبق لنا الإشارة إليه من قبل ، وقال : (وقد علمت أن القوم خلطوا في

(١) تفسير المنار الجزء الثاني طبعة ١٣٥٠ هـ .

تاريخهم ، وأن أكثره لا يعرفه كاتبوه ، ومنه سفر صموئيل الذي فيه قصة طالوت. وعبارته تدل على أنه كتب بعد حدوث وقائعه ، فإن الكاتب يذكر بعض الأشياء ويقول إنها لا تزال إلى الآن كان الزمن كان كافياً لأن تدرس فيه جميع الرسوم والمعالم التي عهدت عند وقوع تلك الوقائع وهم لا يعرفون كتابة وإننا نرى المؤرخين في زماننا يغلطون بما يقع في عهدهم غلطاً أبعد من هذا الغلط ، في إسناد الشيء إلى غير فاعله ، وتقديمه أو تأخيره عن زمنه ، وكما فات مؤرخو بني إسرائيل تحديد الوقائع والحوادث بالتدقيق ، فاتهم ما فيها من العبر والحكم ، فأين ما نقلناه في تفسير هذه القصة عنهم بما تجده في عبارة للقرآن من صفوف العبرة ؟ فالحق ما قاله الله تعالى في مسألة النهر وغيرها ، ولا يعتبر ما خلفه : أقوال سائر الكتبة (١٠٠ هـ .

دراسة الاعتراف على ضوء

الانتقادات الموجهة إلى التوراة

جاءت فكرة الاعتراف في التوراة والقرآن الكريم وجاءت فكرة الاعتراف في التوراة على أنها حدثت في عهد جدعون بينما قمنا علينا القرآن الكريم هذه الحادثة على أنها وقعت في عهد طالوت والآن نود أن نبين أنها حدثت في عهد طالوت كما قصها القرآن الكريم للأسباب الآتية :

١ - الانتقادات الكثيرة التي وجهها علماء التاريخ والشريعة إلى التوراة وأن بعض آيات من التوراة نزلت بعد موت موسى (١) مما يجعل النوراة التي بين أيدينا ضعيفة كاستند تاريخي .

٢ - ظلت التوراة مفقودة زمناً طويلاً يقرب من ستمائة سنة بعد موت موسى حتى وجدها المالك لوشيا سنة ١٢٦ ق م .

(١) سفر التثنية الإصحاح ٣٤ الآية ٥ ، ٦ .

- ٣ - كثرة النساخ الذين كتبوا التوراة .
 - ٤ - كثرة المصادر التي استقت منها التوراة مثل كتاب ياشر وكتاب سيراخ وغيرهما مما لا نبعده للآن .
 - ٥ - كثرة الترجمة مما أفقد النص الأصلي للتوراة .
 - ٦ - هناك بعض أسفار محذوفة والتي أطلق عليها الأيوكريفا فهل هذا أصلا من التوراة .
 - ٧ - هناك أسفار منسوبة إلى شخص واحد ولكن بعد الدراسة والبحث وجد أنها من وضع أشخاص كثيرين مثل سفر أشعيا إذ ظهر أن هناك أشعيا الأول وأشعيا الثاني وأشعيا الثالث .
- ومن هذه الانتقادات لا يمكن الاعتماد على ما جاء في التوراة عن أكبر حادثه الاغتراف وقعت في عهد جدعون والصحيح أنها وقعت في عهد طالوت كما قصها علينا القرآن الكريم .

ملابس الجندي

لم يكن هناك ملابس عسكرية خاصة يلبسها جميع الجنود ولكن كان كل جندي يلبس ما يجده أو ما يروق له .

فلم تكن الملابس لتدل على أن هذا جندي أو من رجال الجيش وإنما كانت الأسلحة التي يحملها هي التي تدل على أنه من رجال الجيش .

كانت الملابس عادة بسيطة وخفيفة وهي ما يلبسها عادة رجال القبائل الرحل أو المزارعين إلا أنه في بعض الأحيان كان الجندي يلبس نسيجاً يسمى بالعبرية « مد » ويضع على صدره قطعة من الجلد كدليل على أنه خارج للقتال .

وفي أيام الملك داود ظهرت عادة تغطية الرأس بخوذة من النحاس ومعروف أن داود عندما خرج لمحاربة جليات أعطاه شاول الملك - الخوذة والذنين لبسهما^(١) ، وكان المد معروفاً أيضاً على عهد القضاة^(٢) .

واجبات الجندي اليهودي

يجب على الجندي أن يكون :

- ١ - معتقداً أنه يحارب من أجل عقيدة ومن أجل وطنه ودينه .
- ٢ - مطيعاً لأوامر رؤسائه .
- ٣ - متعاوناً مع زملائه .

(١) سفر صمويل الأول لإصحاح ١٧/٢٨

(٢) سفر القضاة ٢/١٦

- ٤ - شجاعاً غير متقهقر من خوف .
- ٥ - طاهراً مراعياً قواعد النظافة .
- ٦ - أن يجانب المرأة حتى لا يتنجس وهو في ساحة القتال .
- ٧ - ألا يتشبه بالنساء ملبساً واستعمالاً لأدواتها .
- ٨ - لا يحلق شعره حتى انتهاء الحرب .
- ٩ - أن يترك عمله وعاملته إذا ما كانت هناك حرب دفاعية .

حقوق الجندي

- ١ - أن يأخذ راحة عند انتهاء الحرب .
- ٢ - أن يحصل على حقه من غنائم الحرب إذا كانت هناك غنائم .
- ٣ - أن يأخذ إجازة عند زواجه أو بناءه لمنزل .

إعفاء الجندي

أنت التوراة ببعض الأسباب التي يمكن أن تعفي الجندي من الانخراط في
الجنديّة إعفاءً مؤقتاً أو إعفاءً دائماً .

أعفت التوراة اللاويين من الخدمة العسكرية إعفاءً دائماً فقالت : « وكلم
الرب موسى وهارون قائلاً : أحصيا مجموع بني قهات من أبناء لاوي بحسب
عشارهم وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة كل
من يصلح للجيش لكي يقوم بعمل في خيمة الاجتماع ، ثم يحدد نوع الخدمة
الدينية البدئية ويدها بأنها تحول دون تعريض هؤلاء اللاويين للفناء .

(. - التوراة)

ثم يقول الإصحاح : « فجميع معدودي اللاويين الذين عدتم موسى وهرون ورؤساء إسرائيل بحسب عشائرهم وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة كل الداخلين ليباشروا خدمة العمل ومهمة الحمل في خيمة الاجتماع ».

وجاء أيضاً في سفر العدد في الإصحاح الأول في الآية ٤٧ :

« وأما اللاويون حسب سبط آبائهم فلم يعدوا بينهم أما سبط لاوى فلا تحسبه ولا تعده من بني إسرائيل ، وعلى هذا الأساس أعفى سبط لاوى من التجنيد .

كذلك نصت التوراة على إعفاء غير اللاويين من الخدمة العسكرية في أحوال معينة فجاء في سفر التثنية (١) « ثم يكلم النقباء الشعب قائلين : أى رجل بني ييتا جديداً ولم يدشنه فليمض ويرجع إلى بيته لئلا يقتل في الحرب فيدشنه رجل آخر ، وأى رجل غرس كرماً ولم يقطع بواكيره فليمض ويرجع إلى بيته لئلا يقتل في الحرب فيقطعها رجل آخر وأى رجل خطب امرأة ولم تزف إليه فليمض ويرجع إلى بيته لئلا يقتل في الحرب فيأخذها رجل آخر ، بل كان هناك أمر بإبعاد الخائفين المدعورين من القتال حتى لا يفسدوا الروح المعنوية للمحاربين حيث يقول في نفس الإصحاح « ثم يعود العرفاء فيخطبون الشعب قائلين :

أى رجل خائف ضعيف القلب فليمض ويرجع إلى بيته لئلا تنوب قلوب إخوانه مثل قلبه ، وفي رفع الروح المعنوية والقتالية عند المحاربين كانت هناك أوامر للمكهنه بأن يخطبوا في الجنود ليحمومهم ويطمئنوهم ويؤكدوا

لهم النصر إذ جاء في نفس الإصحاح (إذا خرجت الحرب على أعدائك
فرأيت خيلا وعربات مع جيش أكثر منك فلا تخفهم) .

وقرر علماء التلمود أن الابن الوحيد يعني من التجنيد إذا كانت الحرب
هجومية بينما لا يعني في حالة الحرب الدفاعية .

وكذلك فإن الرجل الذي اتخذ له امرأة جديدة فإن إعفائه من الجندية
يكون إعفاء مؤقتاً وهذا الإعفاء يكون لمدة عام فقط .

ويرى الأستاذ برثولت في كتابه « حضارة إسرائيل » أن الإعفاءات
التي تكلمت عنها التوراة إنما ترجع إلى أصول ما كان عند الجماعات الأجنبية
التي كانت موجودة في الجيش إذ كانت الخرافات منتشرة في بعض الدول
القديمة وهي أن هزيمة الجيش ترجع إلى أن من يتزوج ويذهب للحرب
ستصيبه الهزيمة ونحن نقرأ في الياذة هو ميروس عن هذه الإعفاءات ومن هنا
يرجع هذا المؤلف إلى ما كتب في التوراة بصدد الاعفاءات إنما نقل عن نظم
كانت متبعة في دول أخرى ، (١)

وقرر بعض العلماء أن الطلبة الذين يدرسون التلمود يمكن إعفاؤهم من
الجندية .

وقد كانت عقيدة عدم انضمام طلبة التلمود إلى الجيش مثار جدل بين
رجال الدين والعلمانيين وقد أدلى كل من الفريقين سواء المؤيد والمعارض
بآرائه التي تلخصها فيما يأتي :

(١) La Civilisation d Israel
حضارة إسرائيل للعلامة برثولت . Par Berthotet.

المعارضون للتجنيد :

- ١ - قضت الفرائض اليهودية بإعفاء رجال الدين .
- ٢ - دراسة التلمود أفضل من الانضمام للجيش .
- ٣ - الجيش يحتاج إلى رجال دين ليقوموا بتعليم الجيش واجباتهم الدينية .

أما المؤيدون فيقولون :

- ١ - ليس هناك ما يمنع من انضمام طلبة التلمود إلى الجيش فالتوراة والتلمود لا يحتويان على نص يمنع طلبة التلمود من الانضمام إلى الجيش أو حمل السلاح .
- ٢ - جاء في المآثورات اليهودية إنه يجب انضمام طلبة التوراة والتلمود إلى الجيش خصوصاً إذا كانت الحرب دفاعية .

الحرب من الحرب

والتراجع أثناء القتال

هناك مثل منتشر بين اليهود ومذكور في أكثر من موضع من نصوص التلمود والمدراش يقول «التراجع هو بداية الهزيمة» (باب سوطا ٦/٨) ولذلك فقد جرت عاداتهم على أن يضعوا في مؤخرة الجيش جنوداً مساحين عندهم أسر بقتل كل جندي يهودي يفر من المعركة. وهذا الأمر يدخل في حيز النفاذ منذ اللحظة التي يفرغ فيها المشرف الديني على الفرقة من خطبته وذهب موسى بن ميمون إلى أن حرب اليهود تقتضي من كل يهودي أن يخوضها بدون أن يتلجج أو يفكر، وأن الذي يمتنع عنها أو يحارب فيها بلاهمة فحكمه حكم الكافر ودم اليهود جميعاً ومسؤولية الهزيمة هما في عنقه وقد اعتمد في ذلك على قول النبي أرميا (١٠/٤٨) «ملعون من يؤدي خدمة الرب بتهاون ويمنع من يمنع سيفه عن الدم».

ومن هنا قررت التواراة أن يكون مع الجيش كامن يقوى قلب الجندي ويشير فيه الشجاعة حتى لا توسوس له نفسه بالهرب أو التراجع.

وقد كان الكهنة يلقون الخطب الحماسية بين الجنود وأول من قام بهذه الوظيفة بنحاس أثناء الحرب بين الإسرائيليين والمديانيين وكان في بعض الأحيان يقوم رئيس الكهنة بحمل تابوت العهد ليلقي في روع الجنود أن الله معهم ومن يتهاون في مهمته القتالية فإن مصيره الهزيمة وغضب الرب عليه كما أن الكهنة كانت تستفتح الحرب بطقوس دينية لتكون الحرب في نظر الجنود حرباً مقدسة دينية (تثنية ١/٢٠ - ٤).

وفاة الجندي

للدفن عند اليهود طقوس خاصة يجب اتباعها حتى لا تنزل اللعنة على الميت وعائلته .

فإذا ما حدث ومات الجندي وهو في ساحة الوغى فإنه من الواجب دفنه بأسرع ما يمكن .

وأنة من الواجب دفنه في أرض تكون ملكا للدولة اليهودية كما أمكن ذلك .

فمثلا لو سقط الجندي ميتاً في أرض غير يهودية فإن الدولة تحاول بذل أقصى جهدها لتسترد قتلاها وأمواتها لتدفنهم في أرضها وفي مقابرها . فإذا لم تتمكن من إسترداد قتلاها فإن الدفن لا تعتبر على طريقة شرعية في نظر الشريعة اليهودية .

وإنه لمن المحزن حقاً عند اليهود عدم دفن موتاهم في أرضهم أو تركها للطيور الجارحة تنهش عظامهم وفي نظر الديانة اليهودية تبقى روح الميت هائمة على وجه الأرض .

كذلك تمنع الديانة اليهودية إقامة تماثيل أو متاحف فاخرة في ساحة القتال حيث أن إقامة التماثيل للأشخاص مكروهة في الديانة اليهودية عملاً بالوصية الأولى من الوصايا العشر ، لانصنع لك تماثلاً من حوتاً ، (سفر الخروج ٤/٢٠) ويكتفى بوضع حجر بسيط كشاهد على أن في هذا المكان سقط جندي قتل في سبيل القانون والعقيدة والوطن .

كذلك فإن لمس الجندي الميت يؤدي إلى النجاسة فعلي من مس جثمان الميت أن يتطهر كما جاء في سفر العدد ٢٠/٣١ الذي يقول « وتطهروا كل من قتل نفسا وكل من مس قتيلا في اليوم الثالث وفي السابع أنتم وبيوتكم ،
واسكن هل يترك الميت دون أن يحمله أحد مادام لمسه يؤدي إلى النجاسة؟
هذا يكون من شأن السكا من المرافق للجيش .

الفصل الثاني

المرأة اليهودية والحرب

لا تجيز التواراة دخول المرأة الحرب أو مشاركتها فيها ، ففي الإصحاح الأول من سفر يوشع : « نساؤكم وأطفالكم ومواشيكم تلبث في الأرض التي أعطاكم موسى في عبر الأردن وأتمّ تعبرون متجهزين أمام إخوتكم كل الأبطال ذوى البأس وتعينونهم » .

ومع وضوح هذا الأمر في النص المتقدم فقد تغيرت نظرة اليهود إلى مشاركة المرأة في الحرب ، وتعددت آراء فقهاءهم ومجتهدتهم ، فأباح بعضهم مشاركة المرأة اليهودية مع الرجل في الحرب ، بتحفظ معتمدين على ما حدث مع أحد قضاة إسرائيل وهو (باراق) فإنه التقى بأمرأة عبرية تدعى (دبورا) كانت من أنبياتهم وقضاتهم في الشمال ، وكانت قد استدعت باراق هذا لتشجعه على مهاجمة الفلسطينيين ومنازلة قائدهم (سيسيرا) في منطقة نهر قيشون ، فقال لها باراق إن جئت معي أذهب معك ، غير أنه إن يكون لك فخر في الطريق التي تسلكها لأن الرب سيسلم سيسيرا بيد امرأة . . وقامت دبورا وذهبت مع باراق إلى قادش (١)

ويشير التلمود إلى أن الاسكندر المقدوني لقي في مسيرته جمهوراً من النساء ، فاستعد لقتلهن فقلن له إذا حاربنا فقتلتنا فسيقال عنك أنك تقتل

النساء .. وإذا قتلناك فسيقال عنك قتلته امرأة .. فتك فكرة
مخاربتهم^(١) .

وقد استند على هذه القصة من يعارضون تجنيد المرأة اليهودية كأنما
نص التوراة المتقدم لا يكفيهم !!

وأما الذين حرموا تجنيد النساء دون تردد فقد استندوا على عبارة في
توراة موسى^(٢) ولا يكن متاع رجل على امرأة ، كما لا يلبس رجل ثوب امرأة
لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك .

وعلى هذه العبارة اعتمد التلمود مبدأ تحريم تجنيد المرأة (باب نازير ٥٩) .
وقد فسر العلماء الذين عارضوا تجنيد النساء آراءهم بما يأتي :

١ - إن المرأة تلبس وهي مجندة ملابس الرجال وهذا محرم وذلك لأن
جميع الجنود يلبسون زياً موحداً ولا فرق بين الرجل والمرأة في هذه الحالة
وهذا يؤدي إلى أن يتشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل .

٢ - هناك ملابس خاصة يلبسها الرجل وقت الصلاة مثل الطليت وكذلك
الملابس ذات الأهداب (الفرنشة) وهذه لا تلبسها النساء ماذا يكون الحال
وكلمهم في حالة تجنيد ، هل يفرق بين النساء والرجال في الجيش .

٣ - إذا لبس الرجل ملابس تشبه ملابس النساء فإن هذا يعتبر تخفي
deguise وفي هذا التخفي إنكار لشخصية الإنسان .

٤ - تشبه الرجال بالنساء في ملبسهم يؤدي بهم إلى الخجل والحياء الذي
هو من شأن النساء .

٥ - كان من عادة بعض الدول الشرقية في الزمن القديم تشبه الرجال

(١) التلمود باب تأميد ٣٢

(٢) سفر التثنية ٢٢/٥

بالنساء والنساء بالرجال إلا أن سيدنا موسى عليه السلام حارب هذه العادة فمنع تشبه الرجال بالنساء حتى ولو عن طريق الزنى.

٦ - كانت هناك خرافات منتشرة من الوثنية وكان من هذه الخرافات وجوب لبس الرجال ملابس النساء أثناء الاحتفال بإلههم اسمه باخوس وكانت هذه العادة تمارس أيضاً عند الاحتفال بالزهراء .

٧ - كان الشرقيون يحتفلون بالقمر بلبسهم ملابس النساء كما تلبس النساء أيضاً ملابس الرجال وهذا من عمل الوثنيين وهذا مخالف الدين اليهودى .

٨ - راعى النبي موسى ألا تكون هناك نساء فى الجيش اليهودى حتى لا تحدث فتنة مثل انتشار الفحشاء بين الجنود كما حدث أثناء محاربة موسى للديانيين .

٩ - يوصى كل من التوراة والتلمود باستخدام خاص لبعض الأدوات والأواني فبعضها لا يستعملها المرأة فى حالات خاصة فالدين اليهودى ينص على « لا يكون أدوات رجل لامرأة ولا أدوات امرأة لرجل » فهل يمكن تطبيق ذلك إذا دخلت المرأة الجيش ؟

١٠ - هناك بعض حالات يحرم على الرجل لمس المرأة فتلا إذا كانت المرأة طامشاً فكل ما تلمسه يعتبر نجساً وأن من لمس هذه المرأة يعتبر نجساً فهل هذا يمكن تجنبه وقت الحرب ؟ كلا لأن الحرب توجب التعاون بين الجنود من كلا الجنسين .

١١ - قرر الدين اليهودى أن تبقى المرأة حبيسة فى حجرة خاصة أثناء مدة الحيض فلا تلمس شيئاً ولا يمسها أحد حتى لا يتنجس فإذا يكون الحال لو أنها كانت مجنونة ؟

من كل هذا يميل أكثر الفقهاء اليهود إلى تحريم تجنيد المرأة فى الحرب .

إلا أن هناك فريق يرى أنه يمكن إعفاء النساء اللاتي لا يرغبن في تأدية الخدمة في الجيش لأسباب دينية بالإضافة إلى الأمهات الحوامل ، كما تعفى كذلك النساء المتزوجات من الخدمة الإلزامية دون الاحتياطية (١) .

١٢ - أن التلود منع انضمام المرأة إلى الجيش .

١٣ - أنه ليس من الدين أن يجتمع الفتى الأعزب بالمرأة في مكان

واحد وخاصة ليلا .

تجنيد النساء

بين رأى رجال الدين والعلمانيين
والمناقشة التي دارت حول هذا الموضوع

ثار حديثاً في إسرائيل جدل حول تجنيد المرأة وأخذ هذا الجدل يزداد بين مؤيد ومعارض حتى أدى إلى تهديد رجال الدين بانفصالهم عن دولة إسرائيل .

وقد وصف الأستاذ ادوارد برنارد جيليك هذه المناقشة وتلخصها كما أوردتها في كتابه كما يأتي :

المؤيدون لتجنيد النساء :

١ - ليس هناك أى نص صريح في التوراة أو التلمود يشير إلى منع المرأة من التجنيد أو حمل السلاح .

٢ - تنص المسأثورات اليهودية : إنه في الحرب الدفاعية على المرأة المتزوجة حديثاً أن تنضم للجيش للقيام بواجب الدفاع عن بلدها .

٣ - السلام الدائم ليس من عقيدة اليهود . وعلى هذا الأساس فالمرأة كالرجل عليها أن تكون على استعداد دائم للتجنيد .

٤ - تشترك المرأة والرجل في التعليم الحربي وهذا اعتراف صريح بأن الفتاة تجهز للعمل الحربي وإلا كان تعليمها ضياعاً في المال والوقت .

٥ - تعتبر المرأة أو الفتاة عاقبة وضالة إذا تركت والديها بدون إذنهما أما إذا تركتهما بدون إذنهما انتصم إلى الجيش للحرب فلا تعتبر ضالة .

٦ - ليس من المعقول أن تكون هناك ٤٠٪ من تعداد السكان غير منضمين للجيش بينما يتحمل الرجال خدمة الجيش وحدهم .

١ - يمكن للمرأة أن تؤدي خدمات اجتماعية في الجيش وهذه الخدمات مثل التمريض والقيام بغسل الملابس وتجهيز المأكل وغير ذلك .

بعض النساء اشترك في الحرب

رأينا أنه من الأفضل أن نذكر أسماء بعض النساء اللائي اشتركن في الحروب معتمدين على ما جاء في التوراة بشأنهن .

كما أوردنا شيئاً عن جولدا مائير لبنين كيف أنها خالفت رأى رجال الدين من جهة وأنها لم تنتحر بعد أن خسرت الحرب عملاً بما قام به أسلافها من انتحارهم عند فشلهم الحربى
وسنتكلم عن :

١ - دبورة ٢ - ليزابيل

٣ - جولدا مائير

دبورة (١)

تعتبر دبورة في نظر الإسرائيليين نبية من بين أنبياء بنى إسرائيل وكانت فورة كونها نبية (٢) قاضية من قضاة بنى إسرائيل أى أنها حاكمة في يدها مقاليد الحكم كما أنها قاضية بالمعنى المعروف أى أنها تقوم بوظيفة القضاة (٣) .

وكانت الرابعة في ترتيب من حكموا إسرائيل من القضاة أى منذ حكم يوشع الذى حكم اليهود بعد موسى عليه السلام أرادت أن تستولى على أرض كنعان

(١) دبورة يعنى نحلة وفى اللغة العربية تعرف كلمة دهور وهو ذكر النحلة .

(٢) انظر كتاب أنبياء إسرائيل للدكتور حسن ظاظا

(٣) انظر الفصل الخامس بكلمة القضاة من هذا الكتاب

فاستدعت رئيس جيشها المدعو ياراق ورافقته في الحملة ضد جيش كنعان الذي كان يرأسه سبيرا وتقول التوراة أن دبورة هزمت جيش كنعان وقتل سبيرا قائد الجيش في جهة تسمى برزاعيل .
كانت هذه الحوادث معاصرة للأسرة العشرين التي كانت تحكم مصر في هذا الوقت (١) .

والغرض من سرد هذا الموضوع هو تبين أن النساء كانت تقوم بالحرب مخالفة أوامر الدين اليهودي إذ يمنع النساء من الانضمام إلى الجيش وخاصة إذا كانت الحرب هجومية كما أن الدين اليهودي يمنع النساء من القيام بالحكم وإدارة مقاليد السلطة لأنها تعتبر في مركز لا يعادل مركز العبد حيث أن شهادتها لا يعتد بها فكيف يكون قاضية وحاكمة .
تقول التوراة :

ودبورة امرأة نبية زوجة ليفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل إفرايم وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء فأرسلت ودعت ياراق بن إينيوعم من قادش نفتالي وقالت له أم يأمر الرب إله إسرائيل لأذهب وأزحف إلى جبل نابور وأخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زيواون فأجذب إليك إلى نهر قيشون سبيرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وأدفعه إليك فقال لها ياراق إن ذهبت معي أذهب معك وإن لم تذهب معي فلا أذهب فقالت إنني أذهب معك غير أنه لا يكون لك غفر في الطريق التي أنت سائر فيها . لأن الرب يبيع سبيرا بيد امرأة (٢) .

ويلاحظ مما روته التوراة أن دبورة قادت الجيش باشتراكها مع ياراق وهذا كما قلنا يخالف أوامر التوراة التي لا تجيز انضمام المرأة إلى الجيش .

إيزابيل

ابنة اتبعيل ملك الصيدونيين وكاهن عشترتي وكانت إيزابيل تدين بالوثنية .
تزوجت آخاب ملك إسرائيل وكان لها السيطرة حتى تمكنت من أن تدير
دفة الحكم بحيث أصبح زوجها وابنه من بعده يحكان اسمياً بينما تقبض هي على
مقاليد الحكم . وقد تمكنت بسيطرتها هذه من إدخال عبادة البعل (الوثنية)
في إسرائيل التي كانت تعبد الإله وتدين بوحدانية الله .

كذلك تمكنت من قتل أنبياء الرب ومن النبي إيليا ، كما أنها تمكنت من
الاستيلاء على مزارع نابوت لتضم أملاكه إلى أملاك زوجها مخالفة بذلك
الشريعة اليهودية .

وقد قاومت الملك ياهو الذي استولى على الحكم من عائلة آخاب ولما لم
تتمكن من إر قوف ضده أرادت أن تغريه ولسكنه لم يعبأ بما قدمته من
وسائل دينية وقتلها شر قتلة (١) .

(١) تقول التوراة : « وآخاب بن عمري ملك على إسرائيل .. اتخذ إزابيل
ابنة اتبعيل ملك صيدون امرأة وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحاً للبعل في بيت
البعل الذي بناه في السامرة » .

جولدا ماير

كانت رئيسة وزراء إسرائيل وقت اندلاع حرب رمضان عام ١٩٧٣ م ولدت في كييف في روسيا عام ١٨٩٨ وكان اسمها جولدا مايرسون ما يوفيتش وقد رحلت مع أسرته إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٦ والتحقّت بحزب عمال صهيون سنة ١٩١٥ مع بن جوريون وتسفي وغيرهما من زعماء الحركة الصهيونية هناك.

وفي عام ١٩٢١ هاجرت إلى فلسطين وانضمت إلى أحدمزارع الكيبوتس وفي عام ١٩٣٤ انتخبت عضواً في اللجنة التنفيذية للهستدروت والقسم السياسي فيه.

عارضت موقف وايزمان في قبول خطة التقسيم سنة ١٩٣٧ وتدرجت في مناصب وكالة اليهودية حتى أصبحت رئيسة الدائرة السياسية فيها.

وكانت تقوم بجمع الأموال من الأمريكيين لشراء الأسلحة ثم تدرجت في المناصب الوزارية بعد الإعلان عن دولة إسرائيل فعملت سفيرة في موسكو ثم وزيرة عمل فوزيرة للخارجية.

وكان لها موقف معارض لبن جوريون اسباب فضيحة لافون

وبعد موت أشكول رئيس وزراء إسرائيل سنة ١٩٦٩ تولت رئاسة الوزارة إلى أن استقالت سنة ١٩٧٤ بسبب فقد شعبيتها نتيجة انتصار الجيش المصري على الجيش الإسرائيلي سنة ١٩٧٣.

أضف إلى ذلك معارضة الأحزاب الدينية لها بسبب تعريف من هو اليهودي كما كان تمسكها بموسى ديان سبباً في تعجيل نهايتها السياسية وفشلها.

هل يخرج رئيس الدولة إلى الحرب

كانت التقاليد العبرية تمنح رئيس الدولة من قيادة الجيش في بعض الأحيان وتسمح به في بعض الأحيان الأخرى .

وقد رأينا كيف أن موسى كان يقود الجيش كما رأينا أيضاً كيف كان يوشع يرأس الجيوش عندما يجارب أعداءه إلا أن هذه العادة أصبحت لا تطبق في أوقات متأخرة عن زمن موسى ويوشع فترى في عصر داود أن الشعب يمنح الملك داود من الخروج للحرب بل يمكث في المدينة ويعين رئيساً للجيش بدلاً عنه.

تقول التوراة : « وأحصى داود الشعب الذى معه وجعل عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات وأرسل داود الشعب ثلثا بيد يوباب وثلثا بيد ابشاي ابن صرويه أخى يوباب وثلثا بيد إتاي الحيتى وقال الملك للشعب إني أنا أيضاً أخرج معكم فقال الشعب لا تخرج لأننا إذا مر بنا لايبالون بنا وإذا مات نصفنا لايباكون منا والآن أنت كعشرة آلاف منا والآن الأصح أن يكون لنا نجدة من المدينة فقال لهم الملك ما يحسن في أعينكم أفعله . »

وجاء أيضاً « وكانت أيضاً حرب بين الفلسطينيين وإسرائيل فانحدر داود وعبيده معه وحاربوا الفلسطينيين فأعيا داود ويشي بنوب الذى من أولاد رافاوزن رحه ثلثمائة شاقل نحاس وقد تقلد حديداً افكر أن يقتل داود حينئذ حلف رجال داود له قائلين لا يخرج أيضاً معنا إلى الحرب ولا تطفى سراج إسرائيل . »

القضاة

الحكام وقواد الجيوش

عهد القضاة :

تطلق كلمة القاضي على الحاكم وقائد الجيش في نفس الوقت . وكان القاضي يقوم بمهمته عندما يحل بالإسرائيليين الهزائم من الدول الأعداء .

كان القاضي يقوم بمهمة رئيس الجيش وقائده ويشن الحرب ضد الدول الأخرى وكان منهم من يلتصر ومنهم من يهزم . وقد حكم إسرائيل عدد من القضاة يبلغ عددهم حوالي سبعة عشر قاضياً وأطلق على زمنهم اسم « عهد القضاة » .

ومن أهم هؤلاء القضاة جدعون ويفتاح والنبية دبورة . والغرض من دراسة هذا الموضوع هو تبيان أن الحاكم كان يقوم أيضاً بقيادة الجيوش بخلاف ما كان عليه الحال في زمن الملك داود .

ويطلق اليهود كلمة « شوفيط » على القاضي وهذا اللفظ نقله اليهود من القرطاجنيين إذ كان معروفاً عند قرطاجنة بمعنى القاضي وقائد الجيش في آن واحد وكان اللفظ في اللغة القرطاجنية سوفيت Suffete .

الفصل الثالث

عادات اليهود وتقاليدهم

كان لدى اليهود بعض عادات وتقاليدهم نشأت إما عن الأساطير التي ملئت بها كتبهم أو بما استخرجوه من أسفارهم المقدسة حتى لو أننا تصفحنا التلمود فإننا نرى كثيراً من هذه الأساطير التي أصبحت عندهم عادات راسخة في أذهانهم وتقاليدهم ثابتة تكاد تستولى عليهم في أعمالهم وأقوالهم .

على أن اليهود إذ يتمسكون بهذه العادات والتقاليدهم إنما يتمسكون بها إذا كانت في مصلحتهم ثم إنهم يتجاهلون أو يتناسونها إذا كان التمسك بها في غير صالحهم .

وأصبح لدى اليهود عادات متنوعة منها ما يتعلق بالنواحي الدينية ومنها ما يتعلق بالنواحي الاجتماعية ومنها ما يتعلق بالمعاملات إلى غير ذلك من العادات والتقاليدهم .

وكان للجنديّة عندهم قواعد وقوانين ذكر الكثير منها في أسفار العهد القديم فقد جرت العادة أن يقوم اليهود بأعمالهم العسكرية الهجومية في فصل الربيع . وعند بداية السنة اليهودية القديمة وبالتحديد في شهر نيسان الذي يقابل شهر أبريل في التقويم العام هكذا صنع داود عندما أرسل قائده يوآب على رأس جيشه لمهاجمة الأردن وحصار عمان . (صمويل الثاني ١١/١ ، و ٢٢/٢) .

كذلك جرت عادتهم - خاصة في الحروب الانتقامية والتوسعية - أن يخترعوا لها أسباباً ، وأن يرسلوا مندوبين إلى العدو لاطلاعه على هذه

الأسباب وإنذاره بالحرب . وكان على العدو أن يرد على ذلك برسالة من قبله أيضاً .

ففي أيام القضاة حدث ذلك في حرب العبريين ضد الأردنيين أيضاً ، ولم يكن العبريون يجمعون عن أى عمل من شأنه كسب المعركة ، حتى ولو كان القائد المكلف بالعمليات من غير ذوى الصدارة والوجهة في قومه .

فن بين أبطال القضاة الذين نعرفهم يفتاح : « وكان يفتاح الجلعاى قائداً مغواراً ، وهو ابن امرأة عاهرة ، ولدته لجلعاد . ثم ولدت زوجة لجلعاد له أبناء ، فلما كبر أبناء الزوجة طردوا يفتاح ، وقالوا له : ليس لك ميراث في بيت أبينا ، لأنك ابن امرأة غريبة ، فهرب يفتاح من وجه إخوته ، وأقام في أرض طوب ، فاجتمع إليه قوم من السفلة وكانوا يخرجون معه .

« وكان بعد أيام أن بنى عمون (الأردنيين) حاربوا إسرائيل ... فانطلق شيوخ جلعاد أياًتوا بيفتاح من أرض طوب ، وقالوا ليفتاح تعال وكن لنا قائداً فنحارب بنى عمون . فقال يفتاح لشيوخ جلعاد : ألم يكن أنكم أتمم كرهتموني وطردتموني من بيت أبى . فكيف أتيتموني الآن في محنتكم ؟ فقال شيوخ جلعاد ليفتاح : لهذا جئناك نحن الآن حتى تسير معنا وتحارب بنى عمون ، وتكون رئيساً علينا ، وعلى جميع سكان جلعاد .

« فضى يفتاح مع شيوخ جلعاد ، وأقامه الشعب رئيساً عليهم وقائداً .

« وأنفذ يفتاح رسلاً إلى ملك بنى عمون قائلاً : مالى ولك ، إنك جئتني للحرب

في أرضى .

فقال له ملك بنى عمون لرسلى يفتاح : لأن إسرائيل حين صدعوا من مصر

أخذوا أرضى ، من أرنون إلى البيوق والأردن ، فردوها الآن سلباً .^{١٣}

فعاد يفتاح أيضاً وأنفذ رسلاً إلى ملك بنى عمون وقال له : هكذا يقول

يفتاح ، إن إسرائيل لم يأخذوا أرض مؤاب ، ولا أرض بني عمون . لأنهم حين صعدوا من مصر ساروا في الصحراء إلى بحر القلزم وانتهوا إلى قادش . فبعث إسرائيل رسلا إلى ملك أدوم يقولون : دعنا نعبث في أرضك . فلم يرض ملك أدوم . فأرسلوا إلى ملك مؤاب أيضاً فلم يرض . فأقام إسرائيل في قادش .

ثم ساروا في الصحراء ، وداروا حول أرض أدوم وأرض مؤاب ، وأتوا أرض مؤاب من جهة الشرق . ونزلوا على شط الأرنون ، ولم يقتحموا حدود مؤاب ، فإن الأرنون هو حد مؤاب .

ثم بعث إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الأموريين ، ملك حشبون ، وقالوا له : دعنا نعبث في أرضك إلى موضعنا . فلم يأمن سيحون لإسرائيل ولم يدعهم يعبرون حدوده ، وجمع سيحون كل شعبه ورابطوا في ياهص وحاربوا إسرائيل . فسلم الرب إله إسرائيل سيحون وكل شعبه إلى أيدي إسرائيل ، فهزموهم . وامتلك إسرائيل كل أرض الأموريين سكان تلك الأرض . وامتلكوا جميع تخوم الأموريين من الأرنون إلى اليبوق ، ومن الصحراء إلى الأردن .

والآن فإن الرب إله إسرائيل قد طرد الأموريين من وجه شعبه إسرائيل أفأنت تملكهم ؟ أليس أن ما يملكك إياه إلهك كما موش تملكه ، وجميع الذين طردهم الرب إلهنا من أمامنا تملكهم ؟ لعلك خير من بالاق بن صفور ملك مؤاب فهل خاصم بني إسرائيل ، أو أثار عايهم حرباً ؟

وعندما أقام بنو إسرائيل بحشبون وتوابعه ، وعروعر وتوابعا ، وجميع المدن التي عند أرنون مدة ثلاثمائة سنة ، لماذا لم تسترجعوها في تلك المدة ؟ إنني لم أسئ إليك ، وإنما أنت تناصبتني الشر بمحاربتك لي ، فليقض

اليوم الرب الديان بين بنى إسرائيل وبنى عمون،^(١)

وهذا النمى الذى سقناه يبين بوضوح الطريقة التقليدية التى ما يزال قادة اليهود يتبعونها حتى اليوم . فرسالة يفتاح هى مذكرة يحاول فيها أن يبرر عدوانه الميت ، بمبررات تاريخية قديمة لا تخرج كلها عن أن تكون مجرد ادعاءات ، ويكفى مثلاً لذلك ادعاؤه فى خلالها أن اليهود يحتلون هذه الأرض منذ ثلاثمائة سنة . وهو عدد من السنين أطول بكثير جداً من الفترة التى اتصل بين موسى ويفتاح . هذا إلى ما نعلمه من أن القوم الخارجين مع موسى من مصر لم يدخلوا صحراء مؤاب غزاة ، ولا محتلين ، وإنما على شكل عشائر من الفجر أو النور تخيم على هامش التجمعات السكانية الكبرى فى المنطقة .

بل نحن نعلم أن يوشع خليفة موسى لم يستول عسكرياً إلا على بعض البلدان الصغيرة المنظر القليلة السكان .

ولكن يفتاح ، وقد عرفنا مولده أولاً وعرفنا نشأته بعد ذلك ، لا يدهشنا بهذه المذكرة التى وجهها إلى بنى عمون .

أما من الناحية الدينية فإننا نقف وقفة عند قوله فى نهاية هذه المذكرة أنه يطلب من الرب الديان أن يقضى بينهما . وتروى القصة بعد ذلك أن هذا الرب قضى لصالح العبريين ضد الأردنيين « فذل بنو عمون أمام بنى إسرائيل » .

كل هذا لا غبار عليه ، ولكن يفتاح القائد الذى يحارب باسم الرب ، ويحتل مكان موسى فى قيادة العبريين ، يفاجئنا بنذر بشع مخالف لتعاليم موسى نذره للرب إذا انتصر ، فقد نذر له ضحية بشرية تكون من أهل بيته هو ، بقوله : « فأى خارج يخرج من باب بيتى للقائى حين إيابى سالماً من عند بنى عمون يكون قرباناً للرب أحرقه له » . فكان أول خارج هو ابنته الوحيدة . فأملها شهرين تبكى فيهما حظها العاثر ، ثم نفذ ما قطعه على نفسه .

ومن الغريب أن هذا التصرف الهمجي الوحشي يصبح مقبولاً عند اليهود ، وتولد منه عادة فولكلورية ، فسار رسماً بين بني إسرائيل في كل سنة أن تذهب بنات إسرائيل للبكاء على ابنة يفتاح الجلعادى أربعة أيام في السنة .

وعلى نفس هذا العرف جرت المراسلات بين ناحاش الأردني وبين اليهود على عهد الملك شاول عندما نزل على « يابيش جلعاد » وقضى على أهلها أن يقلع لكل واحد منهم عينه اليمنى ليجعل ذلك عاراً على كل إسرائيل ، لأن أهل يابيش كانوا حلفاء لشاول . فقال شيوخ يابيش : أمهلتنا سبعة أيام ، حتى ننفذ رسالاً إلى جميع تخوم إسرائيل ، فإن لم يكن لنا منقذ خرجنا إليك . ووصلت رسالهم إلى جبعة شاول ، وتكلموا بهذا الكلام على مسامع الشعب فرفع الشعب أصواتهم بالبكاء .

فإذا بشاول مقبل وراء البقر من الحقل ، فقال شاول مالى أرى الشعب سيكون ؟ فأخبروه بكلام أهل يابيش .

وحل روح الله على شاول عند سماعه هذا الكلام ، وغضب جداً . وأخذ ثورين فقطعهما ، وأنفذ الرسل إلى جميع تخوم إسرائيل يقولون : كل من لا يخرج وراء شاول وصمويل هكذا يصنع ببقره ! فوقع رعب الرب على الشعب ، فخرجوا كرجل واحد . فعدم في بازاق ، فكان بنو إسرائيل ثلاثمائة ألف رجل ، ورجال يهوذا ثلاثين ألفاً . فقال للرسل الذين أتوهم هكذا تقولون لأهل يابيش جلعاد ، غداً يكون لكم خلاص عندما تحمى الشمس ! فراجع الرسل وأخبروا أهل يابيش ففرحوا .. (١) .

كذلك نلاحظ عادة توجيه الرسل قبل القتال في قصة الحرب بين بنهد

ملك الآراميين وآخاب ملك إسرائيل ، فقد جمع بهدد ملك آرام كل عسكره ،
ومعه اثنان وثلاثون ملكا وخيل ومراكب ، وصعد وحاصر السامرة
وحاربها .

ووجه رسلا إلى آخاب ملك إسرائيل في المدينة ، وقال له :

« هكذا يقول بهدد : فضتك وذهبك هما لي ، وأزواجك وأبنائك الحسان
هم لي ! فأجاب ملك إسرائيل وقال : كما قلت ياسيدي الملك ، أنا وجميع
ما هو لي لك ، .

فرجع الرسل وقالوا : هكذا تكلم بهدد وقال : إني قد أرسلت إليك
قائلا : فضتك وذهبك وأزواجك وأبنائك تعطىها لي ، وإني في مثل الساعة
من غد أبعث إليك عبيدي ليفتشوا بيتك وبيوت عبيدك ، فكل ما هو شهى
في عينك يضعون أيديهم عليه ويأخذونه .

فدعى ملك إسرائيل جميع شيوخ الأرض وقال : اعلما وانظروا ! إن
هذا يطالب الشر ، لأنه بعث إلى في أمر نسائي وأبنائي وفضتي وذهبي فلم أمنعها
منه . فقال له كل الشيوخ وجميع الشعب : لا تسمع ، ولا تقبل ! فقال لرسل
بهدد : قولوا لسيدي الملك ، كل ما أرسلت به إلى عبدك أولا أفعله ، وأما
هذا الأمر فلا طاقة لي به . فضى الرسل وردوا الجواب . . (١) .

وكان إذا حدث نزاع سياسى أو عسكرى بين العبريين بعضهم وبعض أثناء
انقسام فلسطين إلى مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب ، جرى
إرسال المندوبين للتفاوض أو للتهديد بالحرب ، من ذلك ما حدث بين يوش
ملك إسرائيل وأمصيا ملك يهوذا . فإن أمصيا كان قد أفلح في تقوية المملكة
الجنوبية بقتل المتآمرين على الملك ثم مهاجمة الأدوميين في منطقة البحر الميت

حيث كبدهم حسب هذه الرواية عشرة آلاف قتيل واحتل منهم صخرة تعتبر موقعاً استراتيجياً هاماً ويبدو أنه بعد ذلك أصابه الغرور فطمع في ضم ملكة إسرائيل إلى ملكه وإعادة عهد سليمان .

حينئذ بعث أمصيا رسلا إلى يواش بن يهوآحاز بن باهو ملك إسرائيل قائلاً: هلم نلتق وجهاً لوجه فبعث يواش ملك إسرائيل إلى أمصيا ملك يهوذا قائلاً: إن الشوك الذي في لبنان . قال زوج بنتك لابني فمرت وحوش البرية أتت بلبنان . وداست الشوك، إنك قد ضربت آدوم فطمح بك قلبك فانخر وأبق في بيتك إذ لماذا تتعرض للشر فتسقط أنت ويهوذا معك فلم يسمع أمصيا فصعد يواش ملك إسرائيل والتقيا وجهاً لوجه هو وأمصيا ملك يهوذا في بيت شمس الذي ليهوذا فانكسرت يهوذا من وجه إسرائيل .

الحرب في الأعياد الدينية

كان من تقاليد اليهود أيضاً أن حرموا شن الحرب على أعدائهم أو رد العدوان الواقع عليهم من أعدائهم أيام السبت وأيام الأعياد الأخرى مثل عيد رأس السنة وعيد السكبور (الغفران) وعيد الحج وغيرها من الأعياد . إلا أن هذا التقليد لم يكن ليراعى في كل وقت بل كان يطبق في بعض الأحيان ولا يطبق في بعض الأحيان الأخرى ومثال ذلك أنه عند ما حدث نزاع بين المكابيين^(١) وبين حكام فلسطين اليونانيين وبدأت الحرب بينهما يوم السبت أقتى الحاخام متاتيا اليهودى بأنه يجوز قيام اليهود برد العدوان وامتشاق الحسام يوم السبت وكان ذلك عام ١٦٧ ق م^(٢) .

وقد طبق اليهود التقليد في بعض الأحيان كما حدث في حرب بني قريظة وقريش ضد المسلمين في غزوة الخندق .

وكذلك كان من تقاليد اليهود إعفاء الجندي اليهودى من النصوص الخاصة بالمحرمات في الطعام مثل أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وأكل اللحم باللبن^(٣) هذا ما قرره مجلس السنهدين .

(١) المكابيون طائفة يهودية كانت تتولى الزعامة الدينية في فلسطين ووقفت في وجه المستعمر اليونانى الذى أراد أن يدخل الطقوس الدينية الوثنية فى المعبد وينشرها بين اليهود وسكان فلسطين بدلا من الديانة اليهودية فأدى ذلك إلى قيام الحرب بين المكابيين وبين اليونان وانتهت بانتصار اليونان .

(٢) هذه النصوص أقتى بها رجال السنهدين فى أيام المكابيين سنة ١٦٧ ق م وفى سنة ١٨٠٧ ميلادية أيام حرب نابليون وانظر فى ذلك كتاب :

Intitutions de Moise por salvador Tome II. p. 43

(٣) السنهدين هو المجلس الدينى الأعلى عند اليهود وهو يشبه مجلس الإفتاء عند المسلمين أو المحكمة الشرعية العليا .

الفصل الرابع

اليهود يشتغلون جنوداً مرتزقة

لدى الدول الأجنبية

يرى بعض المؤرخين أن اليهود كانوا لا يحاربون على طيلة تاريخهم إلا تحت رايتهم وفي سبيل مآربهم أى أنهم لم ينخرطوا فى سلك الجندية التابع لأى دولة أخرى أى أنهم لم يخدموا فى جيوش الدول الأجنبية ولكن المعلومات التى ذكرها المؤرخ لوسيفوس فى كتبه تؤكد أن اليهود اشتروا فى جيش الإسكندر المقدونى وذكر أيضاً أن بطليموس فىلومتر عين قائداً يهودياً فى جيشه .

ويقول الدكتور مصطفى عبدالحليم : تكاد تتفق الآراء على أن يهود جزيرة الفنتين كانوا من سلالة الجند المرتزقة الذين عملوا فى جيش أسباتيك الثانى أو من سلالة الذين نجوا من السبي البابلى بعد تدمير هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق.م ويضيف قوله بأن اليهود الذين كانوا يؤلفون جانباً من الجامعة العسكرية التى أقيمت فى الفنتين لم يكونوا إلا جزءاً من الجالية اليهودية التى استقرت فى تلك المنطقة .

وقد استخدم الملك أسباتيك الأول (٦٦٤ - ٦٠٩ ق.م) كثيراً من اليهود جنوداً مرتزقة^(١) .

كما اشتغل اليهود جنوداً مرتزقة فى الجيش الفارسى أثناء حرب الفرس مع اليونان فى واقعة ماراثون .

وفى عهد الاحتلال الرومانى دخل كثير من اليهود فى فرق الجيش القيصرى فقد كان فى جيش يوليوس قيصر ما يقرب من ألف وخمسة مائة جندي يهودى .

(١) اليهود فى مصر فى عهد البطالسة والرومان للدكتور مصطفى عبدالمليم ص ٧٠

ويرجح المؤرخ الفرنسي جوستيه Justet أن اليهود خدموا في الجيش الروماني ويستدل على ذلك بأن المؤرخ اليهودي يوسيفوس ذكر أن الحكومة الرومانية سمحت لليهود بالاستمرار في عملهم في حراسة النهر وبأنه لم يكن في وسع أغسطس تسريح الجند اليهود نظراً لاختصاصهم عددهم ولأن الكثير منهم كانوا من أرباب الاقطاعات العسكرية.

واستمرت خدمتهم في الجيش حتى عهد هادريان الذي أنهى حياتهم في فلسطين بعد أن هدم أورشليم وأقام مكانها مدينة إيليا كابوثلينا سنة ١٣٥ م . وما يؤكد خدمتهم في الجيش الروماني ذلك الالتباس الذي رفعه الحبر الأعظم هيركانوس الثاني سنة ٤٣ ق . م إلى دولا بلا حاكم ولاية آسيا يطلب فيه إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية لأنهم لا يستطيعون أن يطعموا من طعام الجند الرومان ولا أن يقاتلوا يوم السبت وأكد ذلك الحاكم دولا بلا في القرار الذي أصدره بإعفاء اليهود من الخدمة العسكرية بآسيا بقوله إن الجندي اليهودي لا ينبغي له السير إلى القتال يوم السبت وهذا يتماشى مع تعاليم الربانيين من أن اليهودي لا يستطيع أن يبعد عن مدينته أو قريته أكثر من ألفي خطوة يوم السبت^(١).

فكيف ينضم إلى جيوش الدول الأخرى ؟

إلا أن هذا القرار يعني ويؤكد اشتغال اليهود جنوداً مرتزقة في الدول الأخرى.

(١) اليهود في مصر للدكتور مصطفى عبد العليم ص ١٩٨، ٢٠٣

جنود مرتزقة في جيش إسرائيل

بيننا كيف أن الإسرائيليين خدموا كجنود مرتزقة في جيوش الدول الأجنبية ونود أيضاً أن نقول إن اليهود استخدموا جانباً في جيوشهم جنوداً مرتزقة وتقص علينا التوراة أنه كان يوجد جنود مرتزقة في الجيش الإسرائيلي - تقول التوراة :

١ - وقام الملك أماصيا بحرب ضد الأدوميين وكان جيشه يبلغ ثلثمائة ألف كما أنه استأجر مائة ألف أخرى غير الإسرائيليين .

٢ - عندما خرج اليهود من مصر خرج معهم بعض المصريين وبعض الأجانب وكان من هؤلاء جنود مرتزقة خدمت مع اليهود واعتبروا جنوداً مرتزقة .

٣ - يقول بعض المؤرخين إن الملك آسا استخدم جنوداً مرتزقة والدليل على ذلك أن عدد جيشه كان كبيراً إذا قيس بنسبة مساحة يهوذا ذلك أن مساحته يهوذا لا تتسع لأكثر من أربعة ملايين نسمة بينما كان عدد جيشه يزيد على ذلك فهل يستوعب يهوذا هذا العدد بالإضافة إلى سكانها^(١) .

٤ - وقد استخدم المكابي اسكندرينا المرتزقة من السيليزيا (فيلغته) والنيرديا (شعوب من آسيا الصغرى)^(٢) .

(١) سفر اخبار الأيام الثاني : ١٤/٨

(٢) حرب اليهود مع الرومان تأليف يوسيفوس ص ٢٤ الترجمة الإنجليزية .

اليهودى غير آمين

أثبت التاريخ أن اليهود لا يؤتمنون على أسرار الدولة التي يخدمونها وادلت الوقائع على أنهم خانوا تلك البلاد التي استخدمتهم جنودا مرتزقة .

وترجع أسباب خيانتهم إلى قسمين رئيسيين :
أسباب دينية ، وأسباب غير دينية .

أما الأسباب الدينية :

١ - يرى اليهود أنهم شعب الله المختار وأنهم أعلى مرتبة من باقي الدول الأخرى وعلى هذا الأساس فليس من الواجب أن يخدم السيد خادمه .

٢ - تدعو التوراة إلى عدم الاختلاط مع الشعوب الأخرى وهذا يمنعهم من الانخراط في سلك الجندية التابع للدول الأخرى .

٣ - إن انضمام اليهود إلى جيوش الدول الأجنبية يمنعهم من تأدية بعض الطقوس الدينية لأن لليهود طقوس خاصة في الأكل والراحة الأسبوعية والطهارة والصلاة الخ فمثلا تحرم الشريعة اليهودية العمل يوم السبت كما تحرم أكل الخنزير وكذلك تمنع أكل اللبن مع اللحم - وهذا يتعارض مع ديانة بعض الدول التي يخدم لها الجنود اليهود فمثلا نرى الدول المسيحية تجعل الراحة الأسبوعية يوم الأحد بينما نجد يوم السبت هو يوم الراحة عند اليهود فكيف يكون الحال .

٤ - لا تتفق أوقات الصلاة عند اليهود مع أوقات الصلاة في الديانة المسيحية أو الديانة الوثنية - فكيف يكون التوفيق بينهما .

أسباب غير دينية:

إن صفة اليهود المتأصلة فيهم هي الخيانة؛ وإذا استعرضنا تاريخهم وعلاقاتهم بالجيوش التي انضموا إليها نجد أنه سلسلة من الخيانات بما أدى في كثير من الأوقات إلى تشريدهم أو إلى قتلهم في بعض الأحيان وإليك بعض الأمثلة على ما نقوله:

١ - خان اليهود مصر بعد أن آوتهم أيام الفراعنة إذ أسكنهم فرعون في الجهة الواقعة الآن مكان محافظة الشرقية وخرجوا منها سراً بعد أن سرقوا كثير أمن أمتعة المصريين .

٢ - خان اليهود مصر وقت أن انضموا إلى جيش مصر أيام حكم اليونان لها إذ انسحبت حامية يلوزيوم اليهودية من الطريق أمام الجيش الروماني إطاعة لأوامر اثنياتر (والدهيرود) حاكم اليهود واستطاع جيش الرومان أن ينجح في مهمته بكل سهولة بسبب خيانة اليهود .

وفي سنة ٤٧ ق . م عندما كان يوايوس قيصر محاصراً في الأسكندرية جاءت إلى نجدته حملة رومانية وكان في إمكان حامية لبتوبوليس اليهودية أن تقف في وجه الجيش الروماني المحاصر وتوقف تقدمه ولم ينس أهل الأسكندرية ومصر لليهود هذا الصنيع السيء وتلك الخيانة البشعة ولم يغفروا لهم هذه الخيانة المتعمدة .

ويستفاد أيضاً من مصادر كثيرة متصلة بتاريخ الرومان أن اليهود اختلطوا بالجيش الروماني وكان لهم فرص لتلقي الأسلحة والتدريبات العسكرية بحيث كانت منهم فرق سرية مستعدة للقيام بالفتن والثورات وأعمال التخريب والانتقام من أعدائهم فمثلاً نجد أن اليهود في مدينة القدس كانوا لا يكفون عن مضايقة القوة الرومانية المعسكرة في حصن أنطونيو الذي

بناه هيرودس وسماه بهذا الاسم تخليداً لذكرى صديقه أنطونيو الروماني صاحب كايوباترا. وجاء القيصر اجريا الأول فوكل بعض الموظفين الرومان بأمر اليهود وطلب منهم لإحكام الرقابة عليهم والدقة الشديدة في معاملتهم واستمر تحرش اليهود بالرومان حتى اصطدم بهم القيصر كلوديوس وأمر بإقامة تمثال له في الهيكل اليهودي مبالغه في النكايه بهم واستمرت أعمال المقاومة حتى عهد الإمبراطور فازناسيان فقضى على اليهود قضاء مبرماً سنة ٧٠ م.

الجيش الاسرائيلي

يعرف الجيش الإسرائيلي باسم «تسهل»، والكلمة اختصار للعبارة العبرية «تصبا هجنه اسرائيل»، أي جيش الدفاع الإسرائيلي أنشئ هذا الجيش رسمياً مع قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ غير أن جذوره تعود إلى المنظمات العسكرية التي شكلتها الحركة الصهيونية في فلسطين وهذه المنظمات هي الهاجاناه والبالاخ والأرجون وتشيترن ولازمت بدء الهجرة الصهيونية إلى فلسطين .

ويجسد جيش إسرائيل الصبغة العسكرية للحركة الصهيونية والبناء الاستيطاني في فلسطين .

وما يلفت النظر أن هناك فئات وأجناس لا تقبل انضمامها إلى الجيش فمثلاً :

- ١ - أن العرب غير مسموح لهم بالخدمة العسكرية .
- ٢ - مسموح للدروز أن ينضموا إلى الجيش الإسرائيلي ولكن في أسلحة معينة وذلك منذ سنة ١٩٥٦ .
- ٣ - لا يوجد في قيادات الجيش الإسرائيلي يهودى شرقى واحداً^(١) .
- ٤ - يعفى من الخدمة النساء اللاتي لا يرغبن في تأديتها .
- ٥ - لوزير الدفاع سلطة إعفاء طلبة المدارس التلمودية من الخدمة ،

(١) الموسوعة ص ١٥٧

ولكن هل هذا التخصيص وإبعاد بعض الفئات والأجناس له شبهة في التوراة، نعم حدث مثل ذلك في عصر سليمان وقد ذكرت التوراة ما يأتي :

د أما جميع الشعب الباقي من الحِيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من إسرائيل من بينهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يفهم بنو إسرائيل فجعل عليهم سليمان سخرة إلى هذا اليوم وأما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيداً لشغله لأنهم رجال قتال ورؤساء قواده ورؤساء مركبانه وفرسانه^(١).

وبذلك نرى سليمان أبعد غير الإسرائيليين من الانضمام إلى الجيش كما هو الحال اليوم ظاهرياً فقط وإن كان الإسرائيليون يضمون أجناساً أخرى بصفة غير رسمية .

(١) سفر أخبار الأيام الثاني: اصحاح ٨

هل تحتاج إسرائيل إلى جيش دائم

نعم إن إسرائيل في حاجة دائمة إلى جيش .

أقول هذا والتاريخ يؤيد ذلك وأقول هذا لكي تعرف الدول العربية أن عليها واجباً وهو أن تكون دائماً يقظة ولا تعتز بعودة إسرائيل .

إن من يتتبع تاريخ إسرائيل يجد أنها دائماً في حاجة إلى جيش وذلك لأنها دولة مغتصبة دخلت منذ التاريخ القديم - أرض كنعان لتغتصب أرضها من أهلها الأصليين .

كان لزاماً على سكان كنعان وفلسطين وغيرهم من سكان هذه المنطقة أن يدافعوا عن أرضهم وعليهم أن يحاربوا هذه القبائل الإسرائيلية المغتصبة - وقامت الحروب بين سكان منطقة فلسطين وبين الإسرائيليين مدة من الزمن بدأت بعصر موسى وامتدت حتى عصر داود وسليمان .

كانت الغلبة في معظم الأحيان للكنعانيين والفلسطينيين كما بينا ذلك في فصول كثيرة من هذا الكتاب .

وبعد عهد سليمان وانقسام الدولة إلى مملكتين - قامت الحرب بين هاتين المملكتين المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية واستمرت الحرب بينهما مدة تبلغ مائة عام ثم قامت الحروب أيضاً بين الإسرائيليين وبين الدول المجاورة مثل مصر وآشور وبابل والفرس إلى أن انتهى الأمر بهزيمة الإسرائيليين وأصبحت مستعمرة تابعة للفرس ثم تابعة للإسكندر الأكبر المقدوني ثم البطالسة ثم الرومان .

إلا أنه كان يتخلل هذه الأزمنة بعض ثورات وحروب كان الإسراييليون يقومون بها في وجه الحكام وكان الحكام بدورهم يقمعون هذه الثورات بما يتناسب وخبث اليهود ومكرهم فنجد مثلاً عند ما قام المكاييون بثورة ضد الحكام اليونان ونشبت الحرب المسكائية تمكن اليونان من أن يهزموا الجيش الإسراييلي بعد فترة من الزمن وأجبروا اليهود على قبول القوانين اليونانية .

وفي عهد الرومان قام اليهود أيضاً بثورات وحروب متتالية مما أدى بالقائد الروماني تيتوس إلى هدم الهيكل وتشديد اليهود سنة ٧٠م ثم تلاه الإمبراطور هادريان فهدم أورشليم ودمرها تدميراً تاماً حتى لم يبق فيها حجر على حجر ولم يبق يهودياً واحداً في المدينة .

كل هذه الحروب جعلت العالم سواء العصور القديمة أو العصور الوسطى - تقف في يقظة من هؤلاء الدخلاء فلا يطمثون إليهم أضف إلى ذلك أن اليهود يعتبرون أنفسهم دخلاء مكروهين منبوذين من جميع الدول فعملوا على أن يقووا أنفسهم ضد هذه البلاد وأصبحوا كما يعتقدون هم أنهم في حاجة إلى جيش دائم يدافع عنهم - تلك عقيدتهم وهي عقيدة المغتصب .

أما في العصور الإسلامية فكثيراً ما رأينا من يدعون أنهم المسيح المنتظر وكيف كان كل مسيح منهم يدعى أنه المخلص ورأينا كيف كان يجرد الجيوش لمحاربة الساطات الحاكمة ورأينا كيف انتصر المسلمون عليهم وكيف أخذوا تلك الحركات .

أما في العصور الحديثة فقد رأينا كيف تسال اليهود إلى فلسطين وكيف حاولوا انتزاع الأراضي إهن أصحابها العرب وكيف قامت الحروب

بينهم وبين العرب إلى أن انتصر العرب على هؤلاء المعتصبين في حرب
أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وبعد فإن العرب يعتبرون إسرائيل جسماً غريباً في قلب دولها وأنها
مغتصبة لكن إسرائيل تحاول أن تثبت أقدامها .

من هنا كان واجباً على الدول العربية أن تتعاون ضد هذه الدولة
المغتصبة والتي تحاول أن تثبت أقدامها بكل الطرق والتي من أهمها الاعتماد
على جيش قوى يقف أمام جيوش الدول العربية فيا أيها العرب استيقظوا
ولا تعتمدوا على كلام ظاهره الرحمة وباطنه السم الزعاف .

الحدود الآمنة

ومعناها من وجهة النظر الإسرائيلية

هى الحدود التى بطبيعتها تقلل من خطر وتهديد الحرب وبالتالى تزيد من التغييرات التى تؤدى إلى السلام الدائم .

لم تتوفر لإسرائيل حدود آمنة منذ نشأتها ، وإن حاجة إسرائيل لحدود آمنة تملئها عليها العوامل الآتية :

- (أ) إحاطتها بدول معادية .
- (ب) عدم توفر العمق الاستراتيجى وعمق الإنذار .
- (ج) قلة السكان .

خصائص الحدود الآمنة :

(أ) الحدود الغير آمنة هى تلك الحدود التى توفر إغراء مستمر لشن الأعمال العسكرية السريعة والسهلة الإغراء الذى يهدد بالتدمير أو الحصول على إنجازات جزئية تؤدى إلى نتائج وآثار كبيرة تؤثر على النواحي الاستراتيجية أو السياسية أو الحربية مثل غلق مضائق تيران .

(ب) الحدود الغير آمنة هى تلك الحدود التى تترك مناطق الاحتكاك والنزاع دون حل مثل مصادر المياه والطاقة والمناطق ذات الأهمية التكتيكية أى أن تحديد الحدود يجب أن يكون واضحاً ومبسطاً .

(ج) الحدود الغير آمنة هى الحدود التى تفتقر إلى مناطق عازلة بين جيوش الجانبين فى الظروف السياسية المعقدة فى نزاع الشرق الأوسط ومن المرغوب أن تتوفر على قدر الإمكان مواقع طبيعية بين الطرفين ؛ أراض صحراوية أو مواقع مائية حيث أنها توفر فاصلاً بين الجيوش يخلق ضماناً جيداً .

(د) تسوية الحدود التي تضمن أمن إسرائيل يجب أن تشمل على ضمان بعدم قيام هجوم عربي مفاجيء، وأن توفر الإنذار الكافي لإسرائيل عند الهجمات الجوية وضربات الصواريخ قبل أن تصل الطائرات والصواريخ إلى الأهداف الحيوية لإسرائيل .

(هـ) الحدود الغير آمنة هي الحدود التي تسمح وتشجع تنظيم وإجراء نشاط التخريبين، والحدود الآمنة هي الحدود التي توفر حلول فعالة لهذه المشكلة^(١) .

(١) رسالة ماجستير مقدمة من عادل رياض ص ٦٣٦ .

مفهوم الحدود والأمن الإسرائيلي

من المعروف أن أية دولة كانت تشتمل على ثلاثة ركائز أساسية هي :

- ١ - شعب .
- ٢ - إقليم .
- ٣ - نظام سياسي

وأن مهمة الأمن القومي هي تأمين وحماية هذه الركائز الثلاثة .

كذلك فإن مهمة الأمن القومي هو حماية ودفاع ضد الأخطار الداخلية والخارجية ، لكن نظرية الأمن الإسرائيلية تتخطى مثل هذه التعريفات ، والحدود كما يقول بن جوريون : « إن أمن الدولة ليس حماية قضية الاستقلال أو الأراضى أو الحدود أو السيادة إنما هي قضية البقاء على قيد الحياة ، أى أن المفهوم الإسرائيلي الأمن يعنى بقاء إسرائيل والشعب اليهودى ككل .

ومن هنا نجد أن تعبير الأمن يشكل محوراً ومبرراً لكثير من المبادئ والأنشطة الإسرائيلية ويرجع هذا المفهوم الإسرائيلي إلى عاملين :

١ - العامل الأول :

وهو نابع من العقلية الإسرائيلية التى تشكلت داخل دائرتين الأولى عبارة عن الدائرة الدينية التى تستمد مقوماتها من التوراة والتلمود وكلاهما مليء بأمانى الأمن سواء فى شكل عقيدة الخلاص أو فى شكل قصص تحكى عن سيادة بنى إسرائيل وتحطيم غيرهم من الشعوب .

أما الدائرة الثانية : فهى الدائرة الاجتماعية التى عاش اليهود فى إطارها فترات طويلة يعانون من الاضطهاد والعزلة مما أدى إلى غرس الخوف والقلق فى نفوس اليهود بصفة مستمرة .

٣ - العامل الثاني :

وهو ناشيء عن الوضعية والكيفية التي أقيمت بها إسرائيل فقد زرعت إسرائيل في المنطقة دون رغبة أهل البلد ومن ثم فهي تشكل عنصراً غريباً في الجسد العربي الذي سيعمل على لفظه بصفة مستمرة .

وثانيتها أن إسرائيل قد أقيمت مستندة على ركيزتين أساسيتين هما التأييد الخارجي والقوة المسلحة .

نظرية الأمن الإسرائيلي

ابتدع الإسرائيليون هذه النظرية بهدف تعزيز سياستهم التوسعية على حساب الدول المجاورة... تحقيقاً لحلمهم الذهبي عن «إسرائيل الكبرى» التي تمتد ما بين الفرات إلى النيل...

وطبيعي أن تعمل هذه النظرية على تحصين إسرائيل أولاً وقبل كل شيء ضد البلاد المجاورة لها، والتي ستعرض للغزو التوسعي الإسرائيلي، وبالتالي ستقوم بالدفاع عن نفسها وصد هذا الغزو، بل والعمل بكل وسعها للقضاء على إسرائيل.

لذلك كانت مبادئ تحقيق «الأمن الإسرائيلي» تقوم على قواعد ثلاثة:

١ - ضرورة احتفاظ إسرائيل باستمرار بجيش قوى يستطيع أن يعزز عدوانها على الدول المجاورة لها، ثم يثبت هذا العدوان ويتصدى لكل تحرك يسعى لاسترداد الأراضي المغتصبة.

٢ - ضرورة انتماء إسرائيل إلى (قوة عالمية كبرى) تستعين بها في محاولاتها العدوانية لتحقيق أهدافها التوسعية، ومن هذه القوة الكبرى تستمد الأموال الطائلة والأسلحة والمعدات الحربية اللازمة لتحقيق سياستها التوسعية.

٣ - العمل على تجميع اليهود أو أكبر عدد ممكن منهم بتهجيرهم إلى أرض فلسطين.

القاعدة الأولى - الاحتفاظ بجيش قوى:

عندما سار بنو إسرائيل من مصر هاربين من فرعون أخذوا يتجولون في صحراء سيناء تأهيناً لمدة أربعين سنة، وكانوا يعيشون خلال هذه الفترة على المن والسلوى، وبعد انتهاء مدة التيه هذه بدأوا يغيرون على البلاد المجاورة لهم

ويسلبون ما يستطيعون سلبه ونهبه، فأغاروا على الأردن وخاصة مدينة أريحا وغيرها من مدن فلسطين الأخرى. وترتب على غاراتهم هذه أن عملت هذه البلاد والمدن على إنشاء جيوش لها تحميها من غارات هؤلاء اليهود، وذلك بدوره أغرى اليهود على التوسع في تنظيماتهم العسكرية ليتغلبوا على أعدائهم. وهكذا تكون جيش إسرائيل. . . وأصبحت القاعدة الأولى في نظرية (الأمن الإسرائيلي) هي الاحتفاظ بجيش قوى. . . مما كلّفهم ذلك بما فوق طاقتهم.

القاعدة الثانية - الالتئام إلى دولة كبرى أخرى :

ومنذ التاريخ القديم وإسرائيل تحول الالتئام إلى قوة كبرى لتحميها من الغزو الأجنبي المضاد لتوسعاتها الإقليمية، ومن الأمثلة التي يقصها التاريخ علينا هذه القاعدة ما يأتي :

أولاً - عقدت المماسة الشمالية المسماة (إسرائيل) حلفاً مع مملكة آرام ليحميها من المملكة اليهودية المسماة (يهودا) وذلك نظير تنازلات ملك آرام (وهي دمشق).

ثانياً - وبدورها طلبت دولة يهوذا من مملكة آشور أن تحميها من دولة الشمال (إسرائيل) وذلك مقابل جزية من المال تدفعها لآشور. . .

ثالثاً - خضع اليهود للفرس وقبلوا حمايتهم لهم على أن يعملوا في خدمتهم كجواسيس للفرس ضد المصريين.

رابعاً - ساعد اليهود الحلفاء في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وشاركوا في صفوف الجيوش الإنجليزية والأمريكية لإحساسهم بأن النصر سيحقق هؤلاء الحلفاء الذين يستطيعون أن يطالبوهم بالثمن، وقد حدث ذلك فعلاً بعد انتهاء تلك الحرب إذ طلب اليهود إصدار (وعد بلفور) لهم بحقهم في التوطن في فلسطين...

خامساً - عند ما تحولت الرياح عن بريطانيا واتجهت إلى الولايات المتحدة ، قام اليهود بتركيز جهودهم في الالتئام إلى هذه الدولة الأخيرة التي تزايدت قوتها وثروتها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية .

القاعدة الثالثة - تجميع اليهود في إسرائيل بتشجيع الهجرة إليها :

يبدل زعماء إسرائيل غاية جهودهم وبمختلف وسائل الإغراء والضغط في سبيل تشجيع اليهود في أنحاء الأرض على الهجرة إلى إسرائيل ، بهدف تجميع أكبر عدد ممكن في (أرض الميعاد) كما يسمونها ، وبالتالي تكون لديهم القوة البشرية التي تستطيع حمايتها من الدول المجاورة لها ، كما تكون لديهم القدرة العسكرية على استمرار التوسع الإقليمي في المنطقة .

ويستنتج من الإحصائيات الاسرائيلية التي تنشر أن ثلثي عدد السكان في إسرائيل هم من الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم ، ولا شك أن هذه النسبة الكبيرة قد حققت بعض أهداف إسرائيل من جلبها من الخارج .

ومن أمثلة الضغط على اليهود خارج إسرائيل لكي يهاجروا إليها ذلك القانون الذي صدر عام ١٩٥٠ في إسرائيل باسم « قانون العودة » ، وستحدث عنه في فصل لاحق ، ومع ذلك فقد ترتب على حرب رمضان المجيدة أن انعكست الآية وأصبحت نسبة المهاجرين من إسرائيل - إلى خارجها - أكبر من نسبة القادمين إليها . . وما زال كثير من اليهود خارج إسرائيل يرفضون الهجرة إليها رفضاً باتاً .

الباب الخامس

التمويل والتأمين

لاشك أن كل جيش يحتاج إلى تدير الأموال اللازمة لإعداده وتسليحه بأحدث الأسلحة ، كما يحتاج إلى تدير المؤن والأغذية التي تلزم للجهود سواء في زمن السلم أو الحرب ، وضرورة تأمين وصول هذه المؤن إلى الجنود في الوقت المناسب .

ومنذ عهد شاؤل ومن بعده داؤد وسليمان صار للجيش الإسرائيلي كيان منظم ومستقل ، تديره وتشرف عليه سلطات خاصة ، وترتب على ذلك أن خصصت ميزانية مالية للجيش لكي تفي بكافة متطلباته .

المؤن :

لم يكن هناك نظام تدير عليه الدولة فيما يخص تموين الجيش وتقديم الغذاء له إذ لم يكن هناك قانون محدد ويبدو أن الجيش اليهودي كان يحمل في بداية الأمر ما يحتاجه من زاد معه من بيته أو ما ينهبه من العدو وهو على طريقه كما كان القاعدون من اليهود يتبرعون بالغذاء للجنود في حالة الحرب ففي مملكة شاؤل وداؤد ما يزال شاباً صغيراً كان جيش اليهود يحارب الفلسطينيين وكان جليات الفلسطيني يتقدم ويقف صباحاً ومساءً أربعين يوماً فقال يسي لداؤد ابنه خذ لأخواتك كيلة من هذا الفريك وهذه الأرغفة العشرة وأسرع إلى المعسكر إلى إخواتك وهذه القطع العشر من الجبن قدمها لقائد الألف واستفسر عن سلامة إخواتك (سفر صمويل أول ١٧/١٦/١٨) -

فهذا مثال من تبرع بعض المدنيين بشيء من غذاء الجنود والضباط وكانت المؤن تأتي إلى الجيش أحياناً من بعض المدن المجاورة سواء أكانت هذه المدن يهودية أم صديقة لليهود حدث ذلك عندما جاء داؤد على رأس جيشه إلى الأردن لقتال ابنه اثنا عشر عليه إيشالوم ونزل في مخنايم فإن بعض الرؤساء من عاصمة الأردن ومن بلده لوديار وبلدة روجليم بادروا بتموين جيش داؤد فقدموا فرشاً وأكواباً وآنية من الفخار وقمحاً وشعيراً ودقيقاً وفريكاً وفولاً وعدساً وحصصاً مقلياً وعسلًا وزبدًا وغنماً وجبن بقر لداؤد وللناس الذين معه ليأكلوا (صمويل ثان ١٧/٢٨/٢٩) .

التحويل :

بعد أن أصبح الجيش الإسرائيلي هيئة مستقلة ذات إدارة متخصصة كان من اللازم على الدولة أن تدبر الأموال اللازمة لهذا الجيش ومن كل المصادر الممكنة .

ومن أهم هذه المصادر التي مولت جيش إسرائيل على مر التاريخ حتى اليوم ما يأتي :-

- ١ - العشور - وكانت تدفع للمعبد ثم أصبحت تدفع للملك .
- ٢ - الضرائب المختلفة .
- ٣ - المصادرات والاعتصابات .
- ٤ - الجزية .
- ٥ - السخرة .
- ٦ - غنائم الحرب .
- ٧ - الأموال المحبوبة من بعض الطقوس الدينية مثل الكفارات والندور .
- ٨ - أموال من أبواب أخرى (مثل المعاهدات) .

العشر عند اليهود

عرف اليهود العشر كمصدر من مصادر التمويل وذلك منذ زمن بعيد إذ دفع سيدنا إبراهيم العشر بعد انتصاره في الحرب إلى الكاهن ملكي صادق .

ملك شاليم (سفر التكوين ۱۴/۱۶)

ودفع حفيده يعقوب أيضاً العشر نذراً لله إذ أرجع سليمان من عند صهره لايان إلى كنعان قائلاً « وكل ماتعطيني فإني أعشره لك » .

(سفر التكوين ۲۲/۲۸)

ثم جاء موسى وقرر العشر فيما تنتجه الأرض سواء كان حبوباً أو فاكهة أو إنتاج حيواني ثم امتد إلى معظم الدخول .

لمن يدفع العشر :

يدفع العشر إلى اللاويين لأنهم خدمة الدين وخدمة المعبد وظل يدفع لهم حتى عهد شاؤل وبعد ذلك أصبح يدفع للملك كما جاء في صمويل . في الإصحاح الثامن .

« فكلّم صمويل الشعب الذين طلبوا منه ملكاً بجميع كلام الرب وقال هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم يأخذ بذيكم ويعشر زرعكم وكرومكم . . . ويعشر غنمكم وأتم تكونون له عبيداً .

واستمر دفع العشر للملك حتى أيام الملك حزقيا ولكن في أيام نحميا بعد الرجوع من السبي البابلي دفع العشر إلى الكهنة واللاويين خدمة المعبد . وأن تأتي بأوائل عجينا وقائمة وأثمار كل شجرة من الخمر والزيت إلى الكهنة إلى مخادع بيت الهنا ويعشر أرضنا إلى اللاويين وهم الذين يعشرون في جميع مدن فلاحتنا . ويكون الكاهن بن هارون مع اللاويين حين يعشر اللاويون ويصعد اللاويون

عشر الأعرار إلى بيت الهنا إلى المخادع إلى بيت الخزينة لـكن بنى إسرائيل
وبنى لاوى يأتون برفيعة القمح والخمر والزيت إلى المخادع وهناك آنية
القدس والسكنة الخادمون والبوابون والمغنون ولا تترك في بيت الهنا (١) .

العشر في الدول الأخرى غير اليهودية :

كان العشر معروفاً لدى دول كثيرة في الزمن القديم قبل أن تعرفه اليهود
فقد عرف عند بابل وقرطاجنة إذ كان أهل قرطاجنة يرسلون عادة العشر من
كل ممتلكاتهم ومن عشر غنائمهم إلى صور حيث مقر إلههم هركيلوس .

٣ - وكان حكام بابل يفرضون العشر أيضاً لإلههم .

وكان الرومان واليونان يدفعون العشر وذلك من أنفسهم وعواظهم إلى
إلههم وكان العشر يدفع إجبارياً عند بعض الناس واختيارياً عند بعض
الأفراد (٢) .

٣ - وكان الفرس يدفعون عشر غنائمهم من الحرب .

٤ - وكان التيث Tcythes يدفعون العشر إلى الإله أبوللو .

٥ - دفعت الدول البربرية العشر .

٦ - كان العرب في الجاهلية يدفعون العشر وكان تجار البخور يدفعون

العشر إلى إلههم .

العشر في الديانة المسيحية :

يعتقد بعض رجال الدين أن العشر غير مفروض في الديانة المسيحية
على أساس قول القديس بولس الرسول « إن الإنسان عليه أن يقتسم أمواله بينه
وبين الفقراء وليس له أن يأخذ على أساس أن الذي يخدم المذبح يخدمه بدون أجر

(١) سفر نحيميا : الإصحاح ١٠ - آية ٢٩

(٢) Dict Peol.

متطوعاً ولا ضرورة للنقود وإن كان قد سمح للقسيس عند زيارته للمنزل أن يأكل إذا عرض عليه ذلك. ولكن هناك فريقاً يقول بوجود دفع العشر .

استند أصحاب هذا الرأي إلى أنه :

١ - إذا دفع أحد ما عشرأ فإنه يكون متطوعاً ومقلداً ما جاء في التوراة وعلى أساس أن الإنجيل جاء متمماً للتوراة .

٢ - إن الفيلسوف أورجنس وهو من علماء الديانة المسيحية يقول: إن عدم وجود فكرة العشر في الإنجيل لا يعنى الغائه في المسيحية .

٣ - يقول الإنجيل « هاتوا عشوركم وجربوني » .

(إنجيل مرقس ولوقا ويوحنا) .

٤ - يقول المسيح عليه السلام « اعطوا ما القيصر لقيصر ومات لله » .

٥ - وهذا يفيد دفع ما تعود الشعب من عشور إلى المعابد أو الإمبراطور في تلك الأزمنة .

٦ - جاء عن خدام الكنيسة والعشور ما يأتي :

« على خدام الإنجيل أنفسهم أن يعطوا عشورهم للذين عليهم مسؤولية الإشراف على شئون الكنيسة من إخوانهم خدام الرب أيضاً » .

الضرائب

تعتبر الضرائب من أهم مصادر التمويل والضريبة بخلاف العشر فهناك فروق يتميز بها كل منهما عن الآخر فالعشر تحدده الديانة أما الضريبة فهي من وضع القوانين البشرية والعشر لا يختلف باختلاف الزمان والمكان أما الضريبة فتختلف نسبتها بحسب الزمان والمكان .

دفع العشر واجب على من يمتلك النصاب أما الضريبة فقد لا تكون واجبة في بعض الأحيان وإن امتلك الفرد النصاب .

والعشر فريضة دينية أما الضريبة فليست فريضة دينية وقد تكون الضريبة مكملة للتمويل إذا لم يكف العشر كما هو الحال في الإسلام .

الضرائب عند اليهود :

لم يكن اليهود يعرفون شيئاً عن الضرائب حتى عهد الملك داود ، إذ نظم الجيش وأحصى النفقات اللازمة ووضع مبالغ جمعها للصرف على الجيش .

ثم جاء الملك سليمان فكان أول من فرض ضرائب على التجار وعلى البضائع المارة عبر البلاد كما جاء في سفر الملوك الأول ٤/٢٧/٢٨ : وهؤلاء الوكلاء كانوا يمتارون للملك سليمان ولسكل من تقدم إلى مائدة الملك سليمان وكل واحد في شهره لم يكونوا يحتاجون إلى شيء وكانوا يأتون بشعير وتبن للخيل والجياد إلى الموضع الذي يكون فيه كل واحد بحسب قضائه (محافظةه) ، وكانت هذه الضريبة تدفع عينياً في بعض الأحيان ونقداً في بعض الأحيان الأخرى ثم ألغيت هذه الضرائب فترة من الزمن واستبدلت بهدايا يقدمها الشعب إلى الملك ، وإن كانت الضرائب تفرض وقت الحرب فقط ، .

كانت الضرائب في عهد سليمان باهظة ومرتفعة حتى أن بعض القبائل الإسرائيلية قامت بثورة بعد موت سليمان كما أنه أعني بعض المدن من دفع

الضرائب فاعتبر ذلك تحيزاً منه ، فمثلاً أعفى الملك سليمان مدينة أورشليم من دفع أية ضريبة كذلك أعفى بيت لحم ومدينة - حبرون وأن هذا الإعفاء كان بسبب أن عائلة سليمان كانت تسكن هذه المدن الثلاث ، (١) .

الجزية :

كان اليهود يفرضون الجزية على الدول المهزومة وعلى الدول التي يتم الصلح بينهما ، وكانت الجزية إحدى مصادر التمويل إلا أن هذا المصدر لم يكن مصدراً مالياً دائماً بل كان بحسب ظروف الحرب، والنصر فيها .

السخرة :

كانت السخرة منتشرة في العصور القديمة وكان التقليد المعروف هو أن الدولة المنتصرة تأخذ بعض رجال الدولة المهزومة وتستغلها دون أجر وتعاملهم كالرقيق .

إلا أن اليهود لم يقتصروا في أخذ رعايا الدولة المهزومة في التسخير لكنهم كانوا يأخذونهم أيضاً في حالة الصلح الذي يتم بينهم وبين الدولة الأخرى التي عقدت صلحاً معها وهذا النظام لم يكن معمولاً به في الدول الأخرى إلا أن اليهود انفردت به لما اتصفوا به من قسوة في معاملة الآخرين .

هل دفعت اليهود ضرائب

وجزية للدول الأخرى

كثيراً ما كانت الحرب تنشب بين اليهود وبين الدول الأخرى مثل الكنعانيين والآشوريين والبابليين ومصر والإسكندر والرومان واليونان والفرس، وكانت اليهود تدفع لهذه الدول جزية وضرائب نتيجة انهزامها أمام هذه الدول .

١ - فقد فرض المصريون ضرائب على اليهود إذ فرضوا جزية عليهم كما فرضوا ضريبة على الأراضى بعد أن قوموا تلك الأراضى وذلك في حربهم مع نحاو ملك مصر .

٢ - وفرض الفرس ضرائب كثيرة على اليهود ولكنهم أعفوا الكهنة واللاويين منها وجاء في سفر عزرا ٧/٢٣ :

«ومنى أنا ارتخسنا الملك (ملك فارس) صدر أمر إلى ... ونعلمك أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوايين والنشيثم وخدام بيت الله لا يؤذن أن يلقى عليهم جزية أو خراج أو خفارة» .

وجاء في سفر نحميا «وإن من يقول قد استعرضنا فضة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا» (٤/٥) .

٣ - فرض البطاسة والسيلينيون ضرائب على اليهود بعد حرب المسكابين وكان معظمها على الفلاحين .

٤ - عند ما استولى الرومان على فلسطين فرضوا ضريبة على اليهود وكانوا يعملون إحصاء لمعرفة عدد السكان لفرض ضريبة على الرؤوس .

وقد راعى الرومان سنة الشميطاه^(١) فكان اليهود يتوقفون عن دفعها
في هذه السنة .

ولعل ضريبة الدينارين هي من أهم ميزات الضرائب التي فرضها الرومان
على اليهود ويرى بعض المؤرخين أن الضرائب التي فرضها الرومان على اليهود
كانت مجحفة جداً ومرتفعة .

(١) كتاب الربا عند اليهود تأليف السيد محمد عاشور

الباب السادس

وسائل الدفاع والهجوم لدى اليهود

استخدم اليهود قديماً وحديثاً - وسائل متعددة سواء في حروبهم الدفاعية أو الهجومية .

وسيظهر لنا من دراسة هذه الوسائل أن :

- ١ - اليهود لم يكونوا ذات حضارة أو فنون حربية وأنهم كانوا بدواً رحلاً وقبائل تغير على ما جاورها من المدن .
- ٢ - لم يكن لديهم أسلحة حتى أن المنجل وهو أبسط أنواع الأسلحة - لم يعرفوا صناعته حتى عصر شاؤل الملك ، والتوراة تعترف بذلك صراحة .
- ٣ - أن إسرائيل بالغت كثيراً في وضم انتصاراتها على الدول المجاورة فجاءت هذه المبالغة ضدها لافي مصلحتها ، الأمر الذي جعل الكثيرين من المؤرخين لا يعتمدون على التوراة كمرجع من المراجع التاريخية .
- ٤ - أخذ اليهود كثيراً من أسلحة الدول الأجنبية إما سرقة أو تقليداً أو نهباً أو استيلاء كما سرقوا من مصر ونهبوا من كنعان .

الفصل الأول

الأسلحة في الدول القديمة

كان الحصول على الأسلحة من أهم ما تعتمد إليه الدولة لكي تحافظ على قوتها وسلامتها أمام الدول الأجنبية في وقتي السلم والحرب .

ولقد كانت إسرائيل قديماً وحديثاً تبذل قصارى جهدها للحصول على أنواع عدة من الأسلحة لتتقوى من مركزها وخصوصاً وأنها تعرف أنها جسم غريب في قلب الدول المجاورة لها قديماً وحديثاً ولذا فهي مكروهة وغير مقبول وجودها .

ولكن ماذا عن الأسلحة التي كانت عندها ؟

لم يكن لدى إسرائيل من الأسلحة في أول الأمر إلا ما سرقت من مصر عند خروجها كما سنبينه فيما بعد .

وقد ذكرت التوراة بعض هذه الأسلحة .

كما ستعرف أيضاً كيف أن إسرائيل تعلمت فنون الحرب من الدول المجاورة وأنها لم تكن متقدمة فنياً أو حربيّاً ولكنها باختلاطها بالدول المجاورة عرفت الفنون الحربية وعرفت استعمالها الأسلحة .

الأسلحة المصرية

كانت مصر قد عرفت أنواعاً كثيرة من الأسلحة الحربية والتي كان من أهمها :

- ١ - الهراوة (العصا) ذات الرأس الحجرى .
- ٢ - الفأس .
- ٣ - القوس .
- ٤ - السهم .
- ٥ - الحراب الطويلة .
- ٦ - الترس .
- ٧ - المقلاع .
- ٨ - الخنجر .
- ٩ - السيف .
- ١٠ - الرمح .
- ١١ - الدرع .
- ١٢ - العجلات الحربية .
- ١٣ - القلاع .
- ١٤ - الحصون .
- ١٥ - إنشاء المدن العسكرية .
- ١٦ - قضيب للهدم .
- ١٧ - الخندق .
- ١٨ - الحصار " "
- ١٩ - الكبش .

وستتكم عن بعض هذه الأسلحة بشيء من التفصيل فيما يأتى :

١ الهراوات : كانت الهراوات ذات الرأس الحجرى سلاحاً مستخدماً باستمرار وقدّر المصريون هذا السلاح وعرفوا أهميته فى مبدأ الأمر إلا أن أهميته أخذت تضعف عندما استعملت الخوذات الحديدية لأن الخوذة تقي الرأس من الضربات .

٢ - الرمح : عبارة عن عصا خشبية طويلة برأس حديدية مدببة على هيئة ورقة النبات وكان يحمل أثناء السير على الكتف أما أثناء الاقتحام فكان يحمل أفقياً .

(١) حضارة اشرق الادنى القديم للدكتور محمد أبو المحاسن عصفور

٣ - الدرع : كان المصريون حتى عصر المملكة الحديثة سنة ١٥٨٠ ق.م يرتدون الترس ولكنهم استعملوا الدرع في لبسهم كما لبسوا الخوذة الحديدية.

٤ - الكبش : عرف المصريون كيفية استخدام الكبش في الحروب وقد ترك المصريون في آثار بني حسن شيئاً عن هذا السلاح في الرسومات التي على الحوائط .

٥ - الكمين : كان المصريون مهرة في استخدام الكمين ولكنهم كانوا يفضلون القتال بتشكيلات كبيرة في العراق نتيجة لمواردهم المتفوقة^(١) .

٦ - المركبات الحربية : عرف المصريون استخدام المركبات فقد استخدمها رمسيس الثاني باسم العجلات الحربية وقد اختلفت المركبة الحربية المصرية عن المركبة الحربية في العراق إذ أن المركبة المصرية كانت تعمل كوحدة منفردة بينما كانت المركبة العراقية (الأسيوية) تهاجم العدو بطاقم مكون من السائق واثنين من حملة الرماح وكان في بعض الأحيان ينضم السائق إليهما كحامل رمح .

وكان في مصر ورش لإصلاح المركبات على طول الطريق المألوفة للحملات صيانة لهذه المركبات ، كما أنه كانت هناك قطع غيار كثيرة .

وقد قصت علينا التوراة شيئاً عن المركبات المصرية فقالت :

« ثم قال فرعون لـيوسف انظر وأركبه في مركبته الثانية ، » .

وقالت أيضاً :

« فشد يوسف (عليه السلام) مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه ، »

(تكوين ٤١ ، ٤٦)

وجاء أيضاً في سفر الخروج ٦/١٤ :

فلما أخبر فرعون ملك مصر أن الشعب (اليهود في مصر) قد هرب تغير قلبه وعبيده على الشعب ، فقالوا : ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا فشد مركبته وأخذ قومه وأخذ ستائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنود مركبية على جميعها .

٧- الحصون : بنت مصر الحصون واستخدموها في حروبهم مع الأعداء وكان الحصن المصرى يحتوى على فتحات في الجدار على سطحه يسهل إطلاق النار الدفاعية منه وبذلك كان من الممكن الرمي من أعلى إلى أسفل بواسطة شرفات مقامة على سطح سور الحصن كما كان له بوابات مصممة تصمياً فنياً بحيث كان مانعاً قوياً ضد هجمات العدو .

وكانت الطريقة العادية لاقتحام مدينة محصنة هي تحطيم البوابات بالباط وتسلق الأسوار وكان الجندي يمسك السلم بكلتا يديه حامياً نفسه أثناء الصعود بترس مربوط فوق ظهره .

ويرد المدافعون الهجوم بإطلاق أسهمهم ويصطاد المدافعون من حملة الرماح العدو واحداً واحداً كلما وصل أحد منهم إلى القمة وكان هذا العمل يحتاج إلى نفقات كثيرة مما أدى إلى اتخاذ طريقة أخرى وهي حصار المدينة وتجويعها وإجبارها على التسليم .

كما استخدمت الخداعات والحيل الحربية كأن يتظاهر القائد بالتسليم وعندما يفتح السكان أبواب المدينة يهجم الجيش^(١) .

المبارزة : كانت المبارزة تقوم بين القبائل كوسيلة من وسائل تسوية النزاع السريعة الملزمة .

الإمداد العسكرى

الإمداد العسكرى تخطيط واجب لىكى يتمكن الجيش من مواصلة عمله تجاه العدو . ولىكى يتمكن من الصمود أمامه أطول مدة ممكنة فتهبط الروح المعنوية لدى جيش الأعداء .

وعرفت مصر نظام الإمداد والتنظيم العسكرى بطريقة حسنة وفعالة منذ سنة ١٥٨٠ ق . م وساعدهم على هذا التنظيم الاحتفاظ بسجلات خاصة بتفاصيل الإنشاءات العسكرية والمعدات والأجور

كذلك كانت هناك قوائم بالغنائم والأسلاب كما كان نقل الإمدادات بالعربات وغيرها أمراً مهماً .

كذلك كان إمداد السكان والجيش بالمياه مشكلة دائمة وقت الحصار وخاصة إذا كان البئر خارج أسوار المدينة . ولهذا كانت العادة أن يحفر السكان آبار داخل القلعة ويمدونها بمواسير .

هل استفاد اليهود من المصريين

في استخدام الأسلحة وهل نقلوا عنهم؟

مكث اليهود في مصر ما يقرب من أربعائة سنة تعلم فيها اليهود الأشياء الكثيرة من المصريين ومنها بطبيعة الحال استعمال بعض أنواع الأسلحة وقد ناقش الأستاذ وكس Wicks في كتابه «موسى أو الزولو»، مدى استفادة اليهود من الأسلحة المصرية وقال إن اليهود أخذوا معهم عند خروجهم من مصر أسلحة مصرية واستدل على ذلك بما جاء في التوراة في سفر الخروج ١٨/١٣ بقولها:

«وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر» .

ويفسر المؤلف بأن كلمة متجهزين تعني مسلحين بأسلحة مصرية أخذها اليهود من مصر عند خروجهم إلى صحراء سيناء^(١).

ولكن يرد على هذا بأنه كيف تمكن تسليح ستائة ألف شخص وهم الصالحون لحمل السلاح دون أن تعرف الحكومة المصرية وأن لديهار قباه وجنود كثيرين يراقبون الداخل والخارج من الأراضي المصرية أضف إلى ذلك أن اليهود كانوا مكروهين من المصريين ولا يعقل ألا يراهم المصريون يتسلحون أو يتركونهم يتسلحون . ويضيف بعض المؤرخين قولهم: إن كلمة متجهزين تعني معنيين: المعنى الأول مستعد للمعركة، والمعنى الثاني مستعد للسفر والرحيل . أما معنى مستعد للرحيل فيستند أصحاب هذا الرأي إلى ما جاء في التوراة من توصيتها لليهود بسرعة الأكل يوم خروجهم من مصر ليلة ١٤ نيسان .

لم يكن اليهود في حاجة إلى السلاح لأنهم خرجوا بقوة الله ومساعدته وأنهم دخلوا فلسطين بدون أسلحة كما جاء في المزمور ٤٥/٣، ٤^(٢)

(1) W. Wicks

(2) Ibid page 22

٢ - مجهز بمعنى مسلح :

(١) كان اليهود وهم في مصر - يسكنون منطقة مكان محافظة الشرقية الآن وكانت هذه المنطقة معرضة للغارات الدائمة من الدول الأخرى فكان على المصريين أن يساحوا أهلها يتمكنوا من حماية أنفسهم إلى أن تأتي لهم نجدات . ولما كان اليهود مقيمين في هذه الجهة فلم يكن هناك ما يمنع من أن اليهود قد اختزنوا بعض هذه الأسلحة إلى يوم خروجهم من مصر .

ويقول بعض المؤرخين : إنه كانت هناك عادة دفن الأسلحة أو إخفاءها في بعض القبور المهجورة بعيداً عن أعين الحكومة المصرية لاستعمالها وقت الحاجة وأن اليهود المقيمين في هذه الجهات سرقوها وأخذوها معهم وكيف لا وقد قالت التوراة نفسها إن اليهود سرقوا الحلى من النساء المصريات .

(ب) منجهز بمعنى مستعد للحرب :

وردت هذه الكلمة كثيراً بمعنى مستعد للحرب ولملاقاة العدو وجاء في سفر يشوع ١/١ دهشوا لأنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكي تدخلوا فيمتلكوا الأرض التي يعطتكم الرب إلهكم لتمتلكوها . نساؤكم وأطفالكم وهو أشيكم تلبث في الأرض التي أعطاكم موسى في عبر الأردن وأنتم تعبرون متجهزين أمام إخوتكم كل الأبطال ذوى البأس وتعينوهم .

وجاء في سفر القضاة ٩/٧ وكان في تلك الليلة أن الرب قال لهم قم انزل إلى المحلة لأنى قد دفعتها إلى يدك فنزل هو وفورة غلامه إلى آخر المتجهزين .

الأسلحة في سومر

تقع سومر في جنوب العراق وموقعها الآن بالقرب من البصرة، وعرف أهل سومر أنواعاً عديدة من الأسلحة أهمها

الخنجر - الفأس - البلطة - الخوذة - الترس - الدرع -
الكبش - عجلات تجرها الخيول - آلات حصار - آلات تسلق الأسوار -
السهم - الحربة - الرمح - فضل مقوس له مقبض خشبي أبراج عالية
يعتليها الرماة (١).

وستتكم عن بعض هذه الأسلحة :

١ - الكبش :

آلة حربية يستعملها القدماء لدى أسوار المدينة المحصنة وتكسير السور
وربما يبدأ التكسير من باب السور حيث إن بوابته تكون أضعف نقطة
في السور .

القوس :

استعمله الجندي كسلاح مفرداً لكنه استعمل مع المركبة القتالية حوالي
سنة ٢٠٠٠ ق.م وكانت رؤس القوس تستعمل من الصوان ، وكان الملك نارام
سن (محبوب الشمس) أول من استعمل هذا النوع من القوس ثم ظهر القوس
نلركب وكان يصنع من أربع مواد وهي الخشب وقرون الحيوان والوتر والصمغ
وتربط هذه المواد مع بعضها أو تصمغ .

(١) حضارة الشرق الأدنى القديم للدكتور نجيب ميخائيل القسم الخاص
بالعراق ص ٣٩ وقصة الحضارة تأليف وله ديورانت ص ٢٧ .

البطلة :

استعملت البطلة منذ العصر الآفاني الثالث واستخدمت في كل من القطع والاختراق كما استخدمت في أطقم مركبات القتال واستخدمها حملة الرماح من المشاة ولكن قات أهميتها بعد انتشار استخدام السيف بعد عام ١٥٠٠ ق.م

الدرع :

ضعفت أهمية القوس بعد اختراع الدرع . وكان الدرع في أول أشكاله عبارة عن سترة حديدية يرتديها الجندي السومري ، وكان الدرع بلا أكمام وي طرح على الكتف ويرصع بقطع معدنية صغيرة لتزيد من قوته .

السيف :

تأخر ظهور السيف في سومر لتأخر الصناعة - وكان يشبه الخنجر ثم تطور إلى أن ظهر السيف المحذب والذي يشبه المنجل .

مركبة القتال :

كانت مركبة القتال هي الأداة الرئيسية في الحرب لدى أهل سومر سنة ٣٥٠ ق.م ، وكان يوجد نوعان :

النوع الأول: هو المركبة ذات العجلتين .

والنوع الثاني: ذات الأربع عجلات .

وكان للمركبة لوحة عموديه لوقاية راكبيها (١) وكان طاقم المركبة يتكون من اثنين هما السائق والجندي وكان عملهما الهجوم وإثارة الفرع والرعب في العدو .

الاسلحة عند الآشوريين

عرف الآشوريون بالقسوة على الشعوب المهزومة فلم يكن لديهم الرأفة والشفقة على البلاد التي يحتلونها أو ينتصرون عليها .

وقد تطورت الأسلحة ونظمها تطوراً ملحوظاً في عهد الآشوريين إذ أدخلوا أساليب عديدة في الفنون الحربية ومن أهم هذه الأساليب :

١ - السلام ذات العجلات لاقتحام الحصون .

٢ - سترة يلبسها الجندي ثقيلة نيران رماة السهم أثناء اقتحام الحصن .

٣ - الكباش ذات المقدمة من الحديد مع استخدام سلاسل تعوق كباش الأعداء في تقدمها .

٤ - استخدام القذائف والمشاعل وغاز اللهب ، وقد استخدموا هذه الوسيلة عند حصار المدن .

٥ - استخدموا الغازات النتنة ليذهبوا بمقول جيش الأعداء وهذه الوسيلة تشبه في أيامنا هذه - ما نسميه بالغازات السامة وكذلك الغازات المسيلة للدموع .

٦ - استعمال أنواع من الفرسان حملة الرماح ورماة السهم .

٧ - استخدموا المركبة ذات الطاقم المكون من أربعة وهم السائق وراى السهم واثنين من حملة القسى .

الأسلحة عند كنعان

سكن الكنعانيون أرض فلسطين منذ أربعة آلاف سنة وكانت فلسطين تسمى كنعان لأن الكنعانيين هم الذين سكنوها قبل الفلسطينيين .

كان الكنعانيون ذوى حضارة ومدنية دل على ذلك ما تركوه لنا من تراث وآثار وغير ذلك .

عرف الكنعانيون أنواع كثيرة من أسلحة الحرب مما جعل التوراة نفسها تتحدث عن كثير منها وتصفها وصفاً دقيقاً .

وبما قالته التوراة فى هذا الشأن أنها تصف موقعة حربية بين اليهود وبين الكنعانيين وكيف استعمل الكنعانيون الأبراج فى الحروب .

تقول التوراة : ثم ذهب أبيمالك إلى تاباص ونزل فى تاباص وأخذها وكان برج قوى فى وسط المدينة فهرب إليه جميع الرجال والنساء وكل أهل المدينة وأغلقوا وراءهم وصعدوا إلى سطح البرج ، « سفر القضاة ٥/٩ ، (١) »
ويقول العلامة ماكالينستر : « لأنه كان بالقدس أبراج عالية وعرفها البيوسيون وأن برج داود كان حصناً دفاعياً للبيوسيين ، (٢) » .

الحائط السميك : كان الكنعانيون يبنون حوائط سميكه لحماية المدينة من الأعداء وكان يبلغ سمك الحائط سبعة أقدام كما كان حائط مجدو

(١) أبيمالك قاض من قضاة إسرائيل حارب الكنعانيين ولكنه هزم فانتحروا .

(٢) البيوسيون سكان القدس قبل الإسرائيليين بزمن بعيد ولم يتمكن

الإسرائيليون من الاستيلاء عليها إلا فى عهد داود النبي .

في القرن ١٩ ق م . وكان الحائط يتكون من بروزات وفجوات ومتوح
بشرفات بها حواجز لإطلاق السهام منها^(١) .

المجدل : يعتبر المجدل صورة من صور الدفاع عن المدينة وهو عبارة
عن قلعة مربعة ذات جدار يحتوي على أجزاء ناتئة مستطيلة والمجدل غالباً
ما يبنى لحماية النقط العسكرية الهامة .

المركبة القتالية : استعمل الكنعانيون المركبة الحربية ويدل على ذلك
ما تقوله التوراة عن قوة الكنعانيين « فقال بنو يوسف لا يكفيننا الجبل ولجميع
الكنعانيين الساكنين في أرض الوادي مركبات حديدية لأنهم أشداء »^(٢) .

وجاء أيضاً « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت
إهود فباعهم الرب بيديا بين ملك كنعان الذي ملك في حاصور ورئيس جيشه
سيسرا لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد وهو ضايق بني إسرائيل بشدة
عشرين سنة » (سفر القضاة / ٤) .

وجاء أيضاً بشأن حرب داؤد مع الفلسطينيين :

« وعرقب داؤد جميع خيل المركبات وأبقى منها مائة مركبة ،

(صمويل الثاني / ٨)

وكل هذا يدل على قوة كنعان وتقدمها قبل أن يدخلها اليهود وكيف أن
كنعان كانت تتفوق على اليهود في حروبها معاً .

المدن المحصنة : كانت كنعان تبني المدن المحصنة في الجهات العليا لتكون
بعيدة عن مرمى قسي وسهام الأعداء وكانت تحصنها أيضاً بأسوار وأكوام

(١) كتاب القدس الخالدة تأليف الدكتور عبد الحميد زايد ص ٥٠

(٢) سفر يشوع / ١٧

من تراب ومن هنا جاءت فكرة السد الترابي ليحجز بين المدينة والعدو ومن هذه الفكرة نقل اليهود تخطيط بناء خط بارليف .

السترة المعدنية : عرفت كنعان ارتداء السترة المعدنية المصنوعة من صحائف مستطيلة تغطي جسمه وذراعيه كما كانت تحمي العنق بطوق جلابى منطى برفائق معدنية .

تفوق الكنعانيين على اليهود فى السلاح

بينما كيف كانت كنعان ذات حضارة وفنون وكيف كان لديها أنواع كثيرة من الأسلحة ويمكن أن نقول إن ذلك يرجع إلى ما كان لديها من صناعات متقدمة أمكن منها عمل أسلحة حربية متعددة وتشهد التوراة بذلك فتقول :

« ولم يوجد صانع فى كل أرض إسرائيل لأن الفاسطيين قالوا لتلا يعمل العبرانيون سيفاً ورمحاً بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يمدد كل واحد سكينه ومنجله وفأسه ومعوله عندما كلت حدود السكك والمناجل والمثاقم والأسنان والفتوس وتروس المتاسيس .

وكان فى يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذى مع شاول « أى مع جيش إسرائيل » .

وتبين لنا التوراة مدى الأسلحة التى تسلح بها الكنعانيون :

« وجمع الفلسطينيين جيوشهم للحرب فاجتمعوا فى سوكونه التى ليهوذا ونزلوا بين سوكونه وعزيفة فى أقصى دميم واجتمع شاول ورجال إسرائيل ونزلوا فى وادى البطم واصطفوا للحرب للقاء الفلسطينيين وكان الفلسطينيين

وقوفاً على جبل من هنا وإسرائيل وقوفاً على جبل من هناك والوادي بينهم
نفرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات من جت طوله ست
أذرع وشبر وعلى رأسه خوذة من نحاس وكان لابساً درعاً حرسياً ووزن
الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس وجر موقفاً نحاس على رجلية ومزراق نحاس
بين كتفيه وقناة رمح كمنول النساجين وسانن رمحه ستمائة شاقل حديد وحامل
الترس كان يمشى قدامه». (صمويل أول / ١٧)

الأسلحة عند الحيثيين

عرف الحيثيون أنواع متعددة من الأسلحة مثل الرمح والدرع والقوس
والسهم والعربة التي تتسع لثلاث ركاب.

كذلك عرفوا استخدام المنجنيق وإقامة روابي مرتفعة يحملون إلى أعلاها
معدات الحصار كما أنهم توصلوا إلى معرفة بناء جدران سميكة مزدوجة بحيث
يبني الجدار الأمامي منخفضاً عن الجدار الخلفي (٢)، وهذا تسكتيك يتعلق
بالفنون الحربية ويعد سلاحاً حديثاً في تلك الأزمنة.

الأسلحة عند الفرس

كانت الأسلحة كثيرة متنوعة وقد استعملوا السفن في حروبهم مع اليونان
في آسيا الصغرى في مضيق الدردنيل.

(١) سفر صمويل الأول ج ٣

(٢) معالم حضارات الشرق الأدنى القديم الدكتور أبو الحسن عماد

اليونان

اهتمت بالفنون الحربية ويحدثنا التاريخ كيف كانت إسبرطة تربي الأطفال تربية صحية لينشأوا صالحين جسدياً وعقلياً كما أنهم عرفوا استخدام أنواع متعددة من الأسلحة مثل السفن والكباش كما استعملوا الخلوط المشتمل بالكبريت والقار والكتان ونشارة الخشب .

وعرفوا المبارزة وأقروها كوسيلة لفض النزاع من المتحاربين .

الأسلحة عند الرومان

اهتم الرومان باستخدام أسلحة جديدة مثل الخندق فقد كان سلاحاً هاماً عندهم حتى أن القائد فولر يقول : « إن الرومان كانوا أعظم جيش مخندق في التاريخ » .

فقد كانت الفرق تدعم دائماً بمعسكر محصن وعند الضرورة كان يبنى معسكر جديد في نهاية كل يوم مسير حتى ولو كان ذلك على نفقة تخفيض مدة السير إلى ثلاث أو أربع ساعات في الصباح .

وكان المعسكر محصن بمتاريس وسياجات من الأوتاد الخشبية القوية وخنادق الدفاع .

الترس : استعمل الرومان الترس المستطيل شبه الأسطواني كما أنه صنع من طبقتين من الخشب مصمغتين سوياً ومكسيان بالجلد وقاش القنب . كما عمل لحافتيه العلوية والسفلية إطار من الحديد لمقاومة السيوف وخصوصاً سيف الأعداء من الغالين (فرنسا) .

الاسلحة عند المسلمين

عرف المسلمون أنواعاً عدة من الأسلحة تفصل بعضها فيما يأتي :
السيف : عرفه العرب في الجاهلية والإسلام وكان يهنع في المدينة
(يثرب) كما كان يجلب من الخارج ويقال إن أول من صنعه من العرب هو
الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمه .

ولأهمية السيف عند المسلمين يقول النبي عليه الصلاة والسلام « اعلوا
أن الجنة تحت ظلال السيف » .

القوس والشاب :

أقوس عود من شجر جبلي صلب يحني طرفه بقوة ويشد فيه وتر من
الجلد أو القصب الذي يكون في عنق البعير ولا بد له من سهام يحتفظ به الجندي
في كنانة من الجلد .

وبلغ من أهمية القوس أن النبي عليه الصلاة والسلام حث الناس على تعلم
الرمي فيقول عليه السلام « ألا إن القوة هي الرمي » .

وفي حديث آخر « علوا أولادكم السباحة والرمي » .

الرمح : يصنع الرمح من فروع الشجر واختلف طوله بين أربع
أذرع إلى عشرة أذرع وكانت قناة الرمح تنتهي في العادة بجرية أو حريات
وكان يستعمل في نقب الجدران وكان الرمح يستورد من الهند في بعض
الأحيان .

استخدام الرمح : للعرب تعليمات ونظم خاصة لاستعمال الرمح فشلا يقول

العرب وإذا تحركت بالريح في مواجهة العدو فعليك أن تحمل على مبارزك وقد أخذت الريح تحت إبطك وجعلته بين أذني فرسك وتقصده مستوياً حتى تقترب منه فإن وجدته قد طرح رمح يمينه فاطرحه يسرة وإن طرحه يسرة فاطرح رمحك يمينه . واجتهد أن تبدأ بالحمل عليه وأنت مسدد وتحول الريح يمينه ويسرة كي تدهشه فلا يدري من أين تجميته فإذا دنوت منه دخات عليه من الخلال الذي لا يكون رمح فيه وإذا أردت أن تقتدره بالخروج نفذ أسفل الريح بيدك اليمنى ورأسه إلى الهواه وهو على عاتقك الأيمن وتحمل على قوتك وأنت كذلك إن شئت قربت منه حتى لا يدري من أي وجه يلقاك (١) .

وإن خرجت إلى فارسين وتفرقا فاحمل على الأدنى وإذا كانا قريبين فأر أحدهما أنك تريد رفيقه واحمل عليه ولا تتم حملتك ثم اعدل على الآخر واصدقه الخلة وإن دخلت مضيقاً فتلقاك فارس برمح فيأيك والمصادقة بل انزل إلى الأرض واطعنه وإن كان خلفك فارس وقدامك فارس في مضيق فانزل واقصد أقربهما إليك وتترس من الآخر بدايتك .

المنجنيق : أداة يرمى به الجندي الحجارة على الأعداء وهدم الحصون وإحراق أماكن العدو وقد استعمله النبي عليه الصلاة والسلام في حربه مع خيبر . كان يحمل أولاً ثم أخذ يجر على زحافات وذلك في عصر الدولة العباسية .

وعرف بعض العلماء المنجنيق بأنه آلة ترمى الأسوار بالحجارة ، (٢) .

-
- (١) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها للأستاذ صبحي الصالح ص ٥٠ .
 - (٢) السلام والحرب في الإسلام للقدم محمد فرج .
 - (٣) الدولة الفاطمية في مصر تأليف دكتور محمد جمال الدين سرور ص ٢٤٧ .

الدرع : عرف المسلمون الدرع وقد لبسه النبي أثناء غزوة أحد .

وقد فسر بعض المفسرين كلمة سابغات بالدرع في الآية القرآنية الشريفة
«وَأَلْنَا لَهُ الْحديدَ أَنْ اعْمَلْ سابغاتٍ وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ» (١) .

الجنج والترس : يصنع من الخشب ويلصق بجلد ويكثر من
ترصيعه بالمسامير .

٧ - الحسك والشوك : الحسك الشائك يبعثر في الأرض ويبقى بارزاً
ليعطب به حوافر الخيل وأقدام العدو المغير ، ويبدو أنه صنع من أصابع
حديدية مدببة وكان في بعض الأحيان توضع عند الخنادق لمنع تقدم الخيل
والرجال واستخدم النبي عليه السلام هذا السلاح في حصاره لمدينة الطائف (٢) .

الحجارة : استعمل العرب الحجارة كسلاح حربي فكانوا يقذفون
الهدوبها ودل على أهميتها قول كثير من الشعراء :

كأنها جلاميد يملأن الأكف كأنها

رؤوس رجال حلقت في المواسم

الحصون والأسوار : تعلم العرب بناء الحصون والاطام وأقاموا
الحصون ليحمروا أنفسهم من غزوات الرومان وأقاموا الرباطات والثغور (٣) .

الخنادق : قام النبي بمساعدة أصحابه في حفر الخندق أثناء غزوة الأحزاب
أو حسب ما يسميها بعض المؤرخين غزوة الخندق لأنها أول غزوة استخدم

(١) سورة سبأ الآية ٣٤

(٢) النظم الاسلامية نشأتها وتطورها للأستاذ صبحي الصالح .٥٠

(٣) النظم الاسلامية تأليف دكتور حسن إبراهيم حسن وآخرين .

المسلمون الخندق في حروبهم وعرفه المسلمون عن الفرس واسمه كنده بالفارسية .

الحصار : عرف المسلمون الحصار كسلاح حربي أو فن من الفنون الحربية وطبقوه عملياً أثناء غزوة بني قريظة .

الدبابة : آلة يدخل فيها المحاربون ويدفعونها إلى جدار الحصن فيشقونه وهم في داخلها تجمعهم سقفها وجوانبها من قبل العدو . وكانت الدبابة في أول أمرها عبارة عن صندوق خشبي مبطن من الداخل بجلد ويحتفي فيه الرجال وهي أشبه بدبابة اليوم وهي أقرب الشبه بالهودج عند العرب ولعل قصة حرب طروادة عند اليونان تذكرنا بما يشبه الدبابة .

النفاطون : أي الذين يستخدمون النفط في الحرب وهم الذين يقومون بإعداد القوارير المملوءة بالنفط ورميها على قوات الأعداء لتحول دون تقدمها .

الجمال : الجمل سفينة الصحراء - تلك عبارة مشهورة وهي حقيقة باقية ذلك لأن الجمل حيوان اشتهر بالصبر فهو أقدر على قطع مسافات طويلة في الصحارى دون أن يشعر بتعب ما .

اعتبر العرب الجمال وسيلة نقل وإحدى الوسائل الحربية فبعد كان المسلمون يستخدمونه قبل الاشتباك ليريحوا الخيول فإذا قربوا من عدوهم نزلوا عن الجمال وامتطوا الخيل .

أي أن الجمال كانت تستخدم لحمل الجنود والمؤن حتى الاشتباك الفعلي فإذا بدأت رحى الحرب استخدمت الخيل لسرعتها في الجرى والحركة .

(١) الدولة الفاطمية في مصر للدكتور محمد جمال الدين الشيال .

وعريف الفلسطينيين استخدام الجمال حتى إننا نرى التوراة تقول : إن داؤد في حربه مع الفلسطينيين - يغتم بعض الجمال .

الخيل : استخدم العرب الخيل في الحرب وجاء القرآن يوصي المسلمين بتربية الخيل والاعتناء بها لأنها مظهر القوة الحربية .

يقول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (١) .

ويقول أيضاً « والعاديات ضبحا ، فالمواريات قدحا ، فالغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فامسحوا نواصيها وادعوا لها بالبركة » (٣) .

(١) سورة الأنفال : آية ٨

(٢) سورة الباديات .

(٣) السلام والحرب للمقدم محمد فرج ص ٨٦

الفصل الثاني

الاسلحة عند الإسرائيليين

تكلمنا فيما سبق عن الأسلحة التي كانت لدى الدول في العصور القديمة وبيننا كيف أن هذه الدول استعملتها في حروبها وعرفنا أن هذه الأسلحة كانت معروفة قبل أن تظهر إسرائيل على وجه الأرض وعندما كانت قبائل ترعى الأغنام في الصحراء .

لم تكن إسرائيل تعرف شيئاً عن الأسلحة والافنون الحربية أو استعمالها إلا بعد أن اختلطوا بالدول الأجنبية ، ويؤكد ذلك ماقاله هيرودوت المؤرخ اليوناني « إن اليهود تعلموا كثيراً من استخدام الأسلحة عن المصريين والفرس .» أضف إلى ذلك أن اليهود لم يكونوا حتى عصر داؤد يصنعون بعض أنواع من الأسلحة إلا أنهم تعلموا صناعتها من كنعان بعد عصر داؤد .

والآن نتكلم عن أهم الأسلحة لدى الإسرائيليين :

العصا : سلاح الراعي وكان يعلقها على ذراعه بحيث يمكن استعمالها لقيادة غنمه ولعدها (١) .

واستعملها الملك داؤد في قتل الدب والأسد كما استعملها المحارب في ضرب عدوه (٢) .

المقلاع : سلاح عادي مصنوع من الجلد العريض يكفى لوضع حجر فيه ويمسك الشخص بطرفي الجلد ويطوح المقلاع بشدة بعد وضع الحجر فيه ثم يترك في أحد الطرفين فيندفع الحجر إلى مرماه واستعملته بكثرة قبيلة

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧١

(١) قرمور ٤/٢٣

بنيامين اليهودية وكذلك استعمله جليات الفلسطينى فى حربته ضد داؤد عليه السلام (١) .

الترس أو المجن : هما نوع واحد لكن الترس هو السلاح الصغير .
والمجن هو السلاح الكبير وكان يصنع من الخشب ويحملة شخص واحد
(صمويل أول ١٧/٧-١١) .

وكان فى بعض الأحيان يأخذ ألواناً مختلفة على هيئة دوائر فى النصف
(ناحوم ٣/٢) .

وذكرت التوراة شيئاً عن الترس فقالت : « إن خشب أتراس جوج
سيكفى إسرائيل وقوداً سبع سنوات » (حزقيال ٣٩/٩)
وكثيراً ما كانوا يغطونه بالجلد ويغمسونه فى الزيت حتى لا يتشقق
(أشعيا ٥/٢١) .

وكان الملك سليمان يملك مائتى ترس من الذهب الخالص (ملوك أول ١٠/١٦) .
وكان المحارب يحمل الترس على ظهره ويربطه بحزام جلدى فإذا جاءت
المركة نزعه ليستعمله بيده اليسرى بإدخال اليد تحت سيرين من الجلد على
مؤخر الترس ويقبض بالأصابع على سير صغير عند حافته (سفر أشعيا ٢٢/٦)
وكان الغرض من استعمال الترس هو لحماية المحارب من السهام والرمح
والحجارة وقطع الفحم الملتبته التى كانت تلقى عليهم (٢) .

(١) سفر القضاة ١٦/٢٠ . صمويل أول ١٧/٥ .

(٢) ولزيادة الإيضاح يمكن الاطلاق سفر نشيد الانشاد ٤/٤ ، حزقيال ٢٧/١١
وصمويل أول ١٧/٢٨ ، ١٧/٥١ ، سفر أشعيا ٤/٩ ، وسفر الامثال ٢٥/١٨ ،
أرميا ٢٣٣/-

وذكر الترس على أنه وقاية وحماية في سفر التكوين « إن الله ترس المؤمن
وبجنته » (سفر التكوين ١/١٥) .

القوس والسهم :

عرف الإسرائيليون استعمال القوس والسهم ، وتقول التوراة :
وهؤلاء الذين جاءوا إلى داؤد إلى صقلع وهو بعد محجوز من وجه شاول
ابن قيس وهم من الأبطال مساعدون في الحرب نازعون القسي ويرمون بالحجارة
والسهم من القسي باليمين واليسار (سفر اخيار الأيام الأول ١٢) .

المزراق : سلاح يشبه الرمح مكون من قطعة واحدة وكان معروفاً أيام
يشوع وجاء في سفر القضاة : « فقال الرب ليشوع مد المزراق الذي بيدك
نحو شعب عاي لأنني بيدك أدفعها فد يشوع المزراق الذي بيده نحو المدينة ،
(سفر يشوع ٨/١٨) .

وذكر المزراق كسلاح استعماله الفلسطينيون في حربهم مع داؤد « ومزراق
نحاس بين كتفيه » (صمويل أول ١٧/٦) .

السيف : استعمل الإسرائيليون السيف بل استعملوا أيضاً السلاح
ذي الحدين إذ عمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع وتقلده تحت ثيابه
على نخذه اليميني (سفر القضاة / ٣) .

منساس البقر : وهو عبارة عن قضيب يشبه العصا أو الكبرياج (السوط) .

وتقول التوراة « وكان لعبد شمعون بن عناة ف ضرب من الفلسطينيين ستمائة
رجل بمنساس البقر وهو أيضاً خالص الاسرائيليين » (سفر القضاة ٣ / ٣) .

لحي حمار طرى : هو فك الحمار . استعماله شمشون في حربهم الفلسطينيين

وقيل إنه قتل بهذا السلاح ألف رجل (سفر القضاة) .

المنخاس وهو عصا في طرفه قطعة مذبذبة من الحديد كالمنخاس أو المهراز .

الفأس : استعملت كأداة للحرب وأطلق عليها اسم البلطة .

الخوذة : لباس للرأس كان الملوكة والقواد المحاربون يلبسونها ، وقد عمل الملك عزياخوذات لكل جنوده ، كما صنع الملاك نخاو فرعون مصر خوذات وصنعت الخوذة من الجلد وأحياناً من النحاس ويغرس فيها ريش ليزينها .

الجرموق : جوب من النجار كان يلبس على الساق ولم يستعمله اليهود إلا بعد حربهم مع الفلسطينيين أمام داود داوود وجليات .

وقد استعمله الآشوريون والمصريون أيضاً .

المنطقة : حزام على الوسط كان المحارب يدلى منه سيفه على جهة الشمال و دخل يونانان الجبة التي عليه وأعطاهم لداوود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته ، (صمويل ٤/١٨)

مركبة القتال : عرف الإسرائيليون استعمال المركبة عن المصريين منذ إقامتهم في مصر إلا أن بعض المؤرخين يقولون إن الإسرائيليين عرفوا استخدام المركبة من الحيثيين عن طريق الكنعانيين وكانت العربية يستخدمها ثلاثة جنود هم السائس والمحارب ثم حامل المجن الذي يحمى الاثنين^(١) .

الملابس

تعتبر الملابس من بين الأسلحة الحربية اللازمة للجيش إذ كيف يحارب الجندي دون أن يكون لديه الملابس الصالحة لتحركة بسهولة والتي تقيه الحر والبرد .

أضف لم ذلك أن الملابس تستعمل كمخزن للأسلحة إذ توضع في بعض أجزائها النبل والحجارة والزرد والخناجر وغيرها من الأسلحة الخفيفة التي يستعملها الجندي أثناء القتال .

(١) المجتمع الإسرائيلي حتى نشره للدكتور فؤاد حسن على ص ١٠١

ونحن نرى اليوم أن الإدارات الحربية تشتترط شروطاً خاصة للملابس لتلائم الأملحة الحربية الحديثة حتى يتمكن الجندى من استعمالها أحسن استعمال.

ومن آثار الاهتمام بالملابس وجعلها تتلائم والنظم الحربية ما نقرأه من أن خفة ملابس داود عايبه السلام ساعدته على سرعة الحركة فتمكن من الانتصار على جويات الفللسطينى عندما قامت الحرب بينهما .

بينما كان جويات سردياً ملابس كثيرة ثقيلة فكانت سبباً في عدم تمكنه من سرعة التحرك مما سبب هزيمته (١) .

الباب السابع

فنون الحرب

الفصل الأول

الجاسوسية

الجاسوسية إحدى الوسائل الحربية التي يستخدمها المحاربون لمعرفة حالة العدو النفسية والمعنوية والقتالية .

وقد عرفت الجاسوسية منذ العصور الأولى في بلاد كثيرة مثل آشور وبابل وعند اليهود كما عرفت مصر هذا السلاح إذ كانت ترافق الداخلين إليها من الدول الأخرى لعل يكون فيهم بعض الجواسيس الذين وفدوا ليتجسسوا أحوال مصر .

وتقول التوراة في هذه المناسبة : فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمح في مصر قال يعقوب لبنيه لماذا تنظرون بعضهم إلى بعض وقال إنى سمعت أنه يوجد قمح في مصر انزلوا إلى هناك واشتروا لنا قمحاً من مصر . . .

فذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم وقال لهم جواسيس أتم لتروا عورة الأرض التي جئتم فقالوا لا ياسيدى . . . نحن أمناء وليس عيبك جواسيس . . .

وكان المصريون يدفعون أمامهم وحدات استطلاع للتجسس وأسرى الحرب لاستجوابهم كما كان الضباط في الخطوط الأمامية يرسلون تقارير سريعة دورية إلى رؤسائهم في مركز القيادة .

الجانوسية عند اليهود

إنه لا عجب أن يكون الدين اليهودي هو الدين الوحيد الذى دعا إلى الجانوسية ووضع لها نظاما وقواعد وقد استغلت الصهيونية قصص الجانوسية التى وردت فى التوراة والتلمود وجعلت منها خدمة دينية يزاوها اليهود على أساس من الإيمان العميق^(١).

بدأت الجانوسية عند اليهود منذ أن أرسل موسى عليه السلام اثني عشر رجلا ليتجسسوا أرض فلسطين، ويعرفوا أخبارها وقوتها الاقتصادية والعسكرية.

نقول التوراة^٢ ثم كلم الرب موسى قائلاً: أرسل رجلاً ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبني إسرائيل رجلاً واحداً لكل سبط من آبائه ترسلون فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا إلى الجنوب وصعدوا وتجسسوا إلى الأرض،^(٣).

وعندما رجع الجواسيس من رحلتهم أخبروه وقال ذهبنا إلى الأرض التى أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها غير أن الشعب الساكن فى الأرض معزز والمدن حصينة عظيمة جداً وأيضاً قد رأينا بنى عتاق هناك... وقالوا لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا فأشاعوا مذمة الأرض التى تجسسوها فى بنى إسرائيل قائلين الأرض التى مررنا فيها لتجسسها هى تأكل سكانها وجميع الشعب الذى رأينا فيها أناس طوال القامة وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عتاق فكنا فى أعيننا كالجراد وهكذا كنا فى أعينهم.

(١) الصهيونية على مراحل الاستعمار تأليف فتحى الرملى ص ٩٠

(٢) سفر العدد إصحاح ١٣

ثم أرسل موسى مرة أخرى جواسيس :

« فأقام إسرائيل في أرض الأموريين وأرسل موسى ليتجسس بعزر
فأخذوا قراها فطردوا الأموريين الذين هناك ، (سفر العدد ٢١/٣١) .

وأرسل يوشع كذلك جواسيس إلى الدول المجاورة كما فعل موسى من قبله
وفي هذا تقول التوراة : « فأرسل يوشع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين
سراً قاتلاً إذ ذهبوا انظروا إلى الأرض لأريحا فذهبا ودخلا بيت امرأة اسمها
راحاب واضطجعا هناك فقبل ملك أريحا هو راقد دخل إلى هنا الليلة رجلان
من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول
أخرجي الرجلين الذين أتيا إليك ودخلا بيتك لأنهما قد أتيا لكي يتجسسا
الأرض كلها . »

وكذلك أرسل أيضاً يشوع جواسيس إلى أرض عاي .

وتقول التوراة : « فأرسل بنودان (قبيلة إسرائيلية) من عشيرتهم رجالاً
منهم ، ذوى بأس من صرعة ومن شتاؤل لتجسس الأرض وفحصها وقالوا
لهم اذهبوا انحصوا الأرض جأؤا إلى جبل افرايم إلى بيت مينخا وأتوا هناك ..
فأجاب الخمسة الرجال الذين ذهبوا لتجسس أرض لايش ، (سفر القضاة ١٨) .

واستمرت عملية التجسس معروفة لدى الاسرائيليين حتى عصر داود
لقول التوراة : « وكان بعد ذلك أن مالك بنى عمون مات وملك حانون ابنه
عوضاً عنه فقال داود اصنع معروفاً مع حانون بن ناحاش كما صنع أبوه معي
معروفاً فأرسل داود بيد عبيده يعزبه عن أيسه فجاء عبيد داود إلى أرض
بنى عمون فقال رؤساء بنى عمون لحانون سيدهم هل يكرم داود أباك في عيدك
حتى أرسل إليك معزيرين — أليس لأجل فحس المدينة وتجسسها وقلها أرسل
داؤد عبيده إليك فأخذ حانون عبيد داؤد وحلق أنصاف لحاهم وقص ثيابهم
من الوسط إلى أستاذهم ثم أطلقهم » (١) .

النساء والـجاسوسية

لم تقتصر أعمال الجاسوسية على الرجال فقط بل تعدتها إلى النساء .
وقد جند اليهود نساء جاسوسات لتخدمن الجيش أو تخدمن جيوش
الأعداء تحت شعار الترفيه أو الخدمات العامة كالتمريض أو غيرها من
الخدمات المختلفة .
وإليك أمثلة لبعض النساء الجاسوسيات .

راحاب

هي امرأة زانية من أريحا أضافت (استضافت) الجاسوسين اليهوديين اللذين أرسلهما يشرع ليتجسسا المدينة وخبأتهما لدى البحث عنهما وأخيراً أنزلتهما بجبل من السكوة إذ كان بينهما ملاصقاً لسور المدينة وبهذه الطريقة أنقذتهما فعادتا سالمين إلى محلة العبرانيين وقبل أن أطلقتهما قطعت عليهما عهداً ليتوسطا في إنقاذ حياتهما وكل بيت أبيها إذا دخل العبرانيون المدينة وخربوها وأعطياها علامة أن تربط حبلان من خيوط القرمز في السكوة التي أنزلتهما منها .

وعندما أخذ يشوع أريحا نجت راحاب مع بيتها فسكنوا جميعاً في وسط بني إسرائيل .

تقول التوراة :

فأرسل يشوع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سرّاً قائلاً اذهبا انظرا الأرض وأريحا فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك فقبيل ليلتي أريحا هو ذا قد دخل إلى هنا الليلة رجلان من بني إسرائيل لكي يتجسسا الأرض فأرسل ملك أريحا إلى راحاب يقول أخرجي الرجلين اللذين أتيا إليك ودخلا بيتك لأنهما قد أتيا لكي يتجسسا الأرض كلها فأخذت المرأة الرجلين وخبأتهما وقالت نعم قد جاء إلى الرجلان ولم أعلم من أين هما وكان نحو انغلاق الباب في الظلام أنه خرج الرجلان لست أعلم أين ذهب الرجلان اسعوا سريعاً وراهما حتى تدركوهما . وأما هي فاطلعتهما على السطح ووارتتهما بين عيدان كتان لها منضدة على السطح فسمى القوم وراهما في طريق الأردن إلى المخاوض . . . ثم أنزلتهما بجبل من السكوة ولأن بيتها بحائط السور وهي سكنت بالسور وقالت لها اذهبا إلى الجبل لئلا يصادفكما الساعة واختبئا هناك ثلاثة أيام حتى يرجع السعاة ثم اذهبا في طريقكم .

فقال الرجلان نحن بريتان من يمينك هذا الذي حلفتنا به . هو ذا نحن نأتي إلى الأرض فاربطى هذا الحبل من خيوط الكرمز في الكوة التي أنزلتنا منها واجمعي إليك في البيت أباك وأمك وإخوتك وسائر بيت أبيك ... تم رجوع الجاسوسان إلى يشوع بن نون وقصا عليه كل ما أصابهما ، (١) .

وتستمر التوراة تسرد في القصة إلى أن تقول إن يشوع استولى على المدينة ولكن قبل أن يحرقها قال يشوع للرجلين اللذين تحسسا الأرض ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجها من هناك المرأة وكل مالها كما حلفتها لها فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجوا راحب وأباها وأما وإخوتها وكل مالها وأخرجوا كل عشايرها وتركاهم خارج محلة إسرائيل ، (٢) .

-
- (١) سفر يشوع الإصحاح الثاني .
(٢) سفر يشوع الإصحاح السادس .

أستير

كانت أستير فتاة يهودية جميلة - اسمها الأصلي هداسه أى شجرة الآس - وقد أحضرها ابن عمها مردخاى إلى مدينة سوسن فى فارس حيث كانت هناك جالية يهودية كبيرة - كانت هذه الجالية اليهودية تعيش فى رغد من العيش فى بلاد فارس إلا أنه كما نعرف أن من طبيعة اليهود - خيانة الدولة التى يعيشون بين أهلها - ولما أحس اليهود فى فارس أن الفرس بدأوا يشعرون بما يكيد لهم هؤلاء اليهود الخونة - أراد الفرس أن يعاقبهم إلا أن اليهود بحيلهم الدنيئة استغلوا جلال هذه الفتاة وبطريقتهم الخاصة توصلوا إلى إظهار هذه الفتاة الجميلة فى البلاط الملكى لتتقدم إلى الملك لتكون وصيفة وانتهى الأمر إلى أن تصبح إحدى زوجات الملك وحينئذ تحاول أن تكون جاسوسة يهودية تعمل لمصلحة اليهود ولا تعمل لمصلحة الدولة ويؤدى ذلك إلى أن تقيم مذبحاً يذبح فيها عدداً كبيراً من الفرس لمصلحة اليهود .

وبهذا نرى اليهود يستخدمون النساء من كل جنس ليعملن جاسوسات وهذا هو ما فعله اليوم دولة إسرائيل المزعومة تحت بند « ترفيه الجنود » أى تخصيص فئة من النسوة اليهوديات لترفيه الجنود - وهذه الفئة من النساء هن فى الحقيقة جاسوسات يعملن لحساب اليهود - فتقوم هؤلاء النسوة بسرقة الأخبار أو سرقة المستندات إلى نشر الإشاعات والأكاذيب وكل هذا مقابل تقديم أجسادهن لهؤلاء الجنود الذين يقعون بين أحضان هذه النسوة اليهوديات الساقطات .

ولأهمية ما قامت به هذه الجاسوسة اليهودية الحسانه فقد أفرد لها رجال الدين سفرأ خاصاً أسموه سفر أستير كما أفردوا لها عيداً يمتاز عن باقى

الأعياد اليهودية وأطلقوا عليه اسم عيد البوريم ويتميز هذا العيد عن باقي الأعياد بأنه عيد فرح لهم واستهزاء بالفرس .

وهذا السفر هو السفر اليهودي الوحيد في التوراة الذي لا يحتوي على ذكر اسم الله لاعتراف اليهود بأن هذا السفر يدل على الجاسوسية وعلى استخدام النساء في الزنا وخيانة الشعوب .

وتقص التوراة كما جاء في سفر أستير أن هذه المرأة استخدمت جمالها واستغاثته في التأثير على ملك الفرس فأصدر أمراً بقتل ما يقرب من سبعين ألفاً من الفرس وهكذا كانت الجاسوسية وهكذا كانت اليهودية لاترعى ديناً ولا ذمة .

الجانوسية هل هي من الدين وهل هي أمر إلهي

هل الجانوسية أمر إلهي أو إنها اختيار من موسى عليه السلام ؟

يرى رجال الدين أن الجانوسية ليست أمر إلهياً وإنما هي من اختبار وأعمال موسى عليه السلام بدليل أن الآية تبدأ : « إذا أردت أن . . . » .

وهذا يعطى لسيدنا موسى الخيار بين أن يرسل جواسيس أم لا .

ومن هنا كان إرسال الجواسيس إلى كنعان لم يكن أمراً إلهياً بل هو من تخطيط موسى عليه السلام .

ثانياً : إن فكرة إرسال جواسيس كانت فكرة غير صائبة بدليل أن عشرة من الجواسيس كذبوا على سيدنا موسى ولم يكونوا صادقين في تقريرهم وأن اثنين من الجواسيس فقط كانا صادقين .

ثالثاً : إن موسى لم يكن موفقاً في اختيار الجواسيس بدليل أن عشرة من اثني عشر رجلاً ظهروا أنهم كذابون .

أما الذين يقولون إن الجانوسية كانت أمراً إلهياً لموسى عليه السلام فيستندون إلى أن الله عاقب الإسرائيليين لكذب جواسيسهم - فعاقبهم بالتيه في الصحراء أربعين عاماً ويرد الآخرون على ذلك بأن عقاب الله للإسرائيليين بالتيه لم يكن بسبب كذب الجواسيس وإنما عقاباً لموسى من عند الله لأن موسى قال : « أنا الذي أخرجتكم من مصر ، والواجب عليه أن يقول : « إن الله هو الذي أخرجكم من مصر » .

ويقول بعض المؤرخين إن الجواسيس لم يكذبوا لأن كنعان كانت ذات حضارة ومدنية تفوق أى مدينة فى الشرق فى ذلك الوقت ، وبضاف إلى ذلك أن الجواسيس الإسرائيليين كانوا قد تربوا فى ذل وعبودية فى مصر فلم يعرفوا للاستقلال معنى ولم يتعودوا على الشجاعة والصدق ولم يعيشوا فى ظل الحرية وكان لزاماً عليهم أن تكون كل هذه الظروف قد أثرت فىهم عند قيامهم بعملهم (١) .

(ب) أوراق الهجوم على العدو

كان الإسرائيليون يفتنمون الفرص على كافة أنواعها للهجوم على أعدائهم ليفوزوا بالضربة القاضية في أسرع وقت يمكن قبل أن يتنبه العدو إليهم وقبل أن يكون قد تهيأ للقائهم أو استعد لمحاربتهم .

وفي الأزمنة القديمة كان اليهود يتبعون طريقة الهجوم على العدو ليلاً وخاصة بالقرب من الفجر حيث يكون العدو نائماً وفي أقصى درجات الاسترخاء وقد يكون السبب لاختيار هذا الوقت هو عدم سهولة المواصلات ، ما يجعل العدو مطمئناً حيث يكون الوصول إليهم يأخذ وقتاً طويلاً كما أن الظلام كان يخيم بعد غروب الشمس ولم يكن من الأنوار غير نور القمر ليلاً فلم يكن في هذه الأيام غاز أو بترول أو كهرباء مما يجعل العدو مطمئناً من أن اليهود لن تقوى على السير ليلاً في هذا الظلام الدامس .

كما أن مدن الأعداء كانت في الغالب يحوطها أسوار قوية مما يجعل الأهالي داخل هذه الأسوار مطمئنين إلى أن اليهود لن يتمكنوا من الهجوم عليهم إلا نهاراً .

إلا أن اليهود الجبناء كان يضعون هذه الأسباب نصب أعينهم ويحاولون الاستفادة منها فكانوا يغيرون على أعدائهم ليتمكنوا من غزو أعدائهم جاء في سفر يشوع : « عندما أراد غزو الأعداء وكان في اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر وأرادوا دائرة المدينة ، (يشوع ١٥/٦) .

وأغار جدعون أحد قضاة إسرائيل على أعدائه ليلاً :

« جاء جدعون والمائة رجل الذين معه إلى طرف المحلة في أول الهزيع الأوسط وكانوا إذ ذاك قد أقاموا الحراس فضربوا بالأبواق ، .
(سفر القضاة ١٩/٧) .

(ج) الحرب خدعة

استخدم اليهود منذ زمن بعيد أنواعاً من الحيل والخداع في كثير من حروبهم مع الدول الأخرى وقد بينت لنا التوراة بعض هذه الحيل والخداع في سفر يشوع عندما حارب الكنعانيين .

« واجعل كميناً للمدينة من ورائها فقام يشوع وجميع رجال الحرب للصعود إلى عاي واتخبط يشوع ثلاثين ألف رجل^١ جابرة الناس وأرسلهم ليلاً وأوصاهم قائلاً انظروا أتمتم تكمنون للمدينة من وراء المدينة لا تبعدوا من المدينة كثيراً وكونوا كلكم مستعدين وأما أنا وجميع الشعب الذي معي فتقرب إلى المدينة ويكون حينئذ يخرجون للقائنا كما في الأول أننا نهرب بخداعهم فيخرجون وراءنا حتى نجذبهم عن المدينة لأنهم يقولون إنهم هاربون أمامنا كما في الأول فنهرب قدامهم وأتمتم يقومون من المكن وتتملكون المدينة ويدفعها الرب إلهكم بيدكم ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار .

ولا شك أن هذه خدعة حربية نسميها اليوم بعملية الإنسحاب الخداع وهي انسحاب جزء من الجيش ليظن العدو أنه انتصر فإذا ما ابتعد جيش العدو عن مركز قيادته انقضت باقي الجيش ووضع بين الكاشة أى بين الجزء المنسحب وبين الجزء الذى كان بعيداً عن المعركة لتنفيذ هذه الخدعة .

ولاندرى كيف تستقيم هذه الخدعة مع ما جاء في واجبات الجندي اليهودى من أن يكون (شجاعاً غير متقهقر) ولا مع ما جاء في التلويح من قولهم (التراجع هو بداية الهزيمة) . . .

(١) إن اليهود اشتهروا بالتهويل في الأعداد وتبين لنا ذكر زيادة الأعداد في معظم حروبهم وإذا أردنا أن نقارن هذه الأعداد بمساحة البلاد التي سكناها فإن ذلك لا يمكن أن يكون مقبولاً ويستدعى الدهشة .

وجاء أيضاً عند محاربة جدعون لأخيش :

« وقسم جدعون جيشه إلى ثلاث فرق وكان عدد الجيش ثلاثمائة رجل
وقسم الثلاثمائة رجل إلى ثلاث فرق وجعل أبواقاً في أيديهم كالهم وجراراً
فارغة ومصاييح في وسط الجرار وقال لهم انظروا إلى وافعلوا كذلك^(١) .

وكان غرض جدعون من هذا التقسيم خداع الملك أخيش إذ ظن أخيش
أن لجدعون ثلاثة جيوش كما ظن أخيش أن المصاييح حملها جنود غير الجنود
الذين كانوا يحملونها وأنه استخدم هذه المصاييح لتهديهم ليلاً إلى المدينة التي
يهجمون عليها .

تمكن الملك داود من الهرب من أعدائه باستخدامه الجنون والعبط تقول
التوراة « وقام داود وهرب في ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش
ملك جت فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض ؟ فغير داود
عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب
ويسيل ريقه على لحيته فقال أخيش لعبيده هو ذا ترون الرجل مجنوناً فلماذا
تأتون به إلى ألعلى محتاج إلى مجازين حتى أتيتم بهذا ليتجنن علي (سفر صمويل
الأول ١٠/٢١) .

ماذا يستخلص من غارة جدعان

يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

١ - اختبار جنود يؤمنون بالرب لأن من يبلغ من الماء كما بلغ السككب لا يعتبر وثنياً لأن طريقة الوثنيين في شرب الماء من النهر كان الركوع على ركبتيه (١) ، ولم يختار جدعون قائد جيش إسرائيل من هؤلاء أحداً في الجيش لأنه لا يثق فيهم فهم أقرب إلى الوثنية وإن كانوا إسرائيليين .

٢ - اختيار الهزيع الأوسط من الليل للاقتضاض على أعدائه لأنه في هذا الوقت يقوم حراس جدد بمعسكر أعدائه أى في هذا الوقت تتغير الجنود فيكون هناك وقت انشغال وينتهز جدعون وجنوده تلك الفرصة وينقض على أعدائه .

٣ - استغل جدعون ضرب الأبواق لإرباك العدو وكثرة صوت الأبواق وعلوها تؤدي إلى الجلبة والصياح مما قد يدخل الرعب في قلوب الأعداء .

٤ - كان الهدف من المصايح الإنارة في الطريق ليلا وهم سائرون ولحرق المدينة عند الاستيلاء عليها .

٥ - يهتم القادة الإسرائيليون بسرد تلك الغزوة لهذه القوة المعنوية والحربية في نفوس الجنود في العصر الحالي حيث يقولون لهم إن العدد لا يهم وإنما القوة المعنوية ذلك لأن عدد جيش جدعون كان ثلثماية جندي وهذا العدد قليل إذا قيس بعدد جنود الأعداء .

(١) سفر القضاة الإصحاح ٧ آية ٤

٦ - إظهار أهمية حشد الشعب وتنظيمه لشن الحرب وأن الجيش الإسرائيلي القديم كان يتسم بالطابع الشعبي مع اختيار وحدات منتخبة لتنفيذ المهام الأساسية .

وكان الغرض من نشر هذه الفكرة هو إدخال الاعتقاد في عقول اليهود في أنحاء العالم بأن رجوعهم إلى فلسطين يزيد من عددهم وبالتالي من قوتهم بالإضافة إلى جيشهم .

٧ - إظهار مدى أهمية عامل المفاجأة والأساليب المتخذة لتحقيقها بالهجوم الليلي وإخفاء المصاييح واختيار ساعة بدء الهجوم ومدى التأثير المعنوي الذي يمكن أن تحدثه المفاجأة ضد أى جيش مهما بلغ عدده وقوته .

٨ - إبراز أهمية الابتكار في المعركة كاستخدام الأبواق والمصاييح والجرار واختيار أنسب الأسلحة التي تتواءم مع ظروف المعركة وتحقيق أقصى نجاح (١) .

٩ - أهمية الروح الهجومية .

١٠ - الاهتمام البالغ بجمع أكبر محور من المعلومات عن العدو وموارده .

(١) العقلية الصهيونية رسالة ماجستير للمعيد إبراهيم شكيب .

التنكر

هل يجوز لقائد الجيش أن يتنكر لكي لا يعرفه الأعداء إن هناك أنواع متعددة لخداع العدو وللتمويه عليه من بين هذه الأنواع تنكر القائد في زي أحد الجنود أو في زي أحد المرضين إلى غير ذلك وقد حدث أن تنكر أحد قادة جيش إسرائيل الملك آخاب ولما تجهز الجيش للسير قال الملك آخاب إنى سأتنكر حتى لا يعرفنى العدو .

جاء في التوراة : فصعد ملك إسرائيل ويهوشفاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد فقال ملك إسرائيل وهو آخاب لهوشفاط إنى أتنكر وأدخل الحرب وأما أنت فالبس ثيابك فتتنكر ملك إسرائيل ودخل الحرب ، (١) .

وكانت العادة أن ييحث العدو عن قائد الجيش ليصيبه بسهامه حتى يسرع في إنهاء القتال وقد كان آخاب يعرف تلك العادة فراد تجنبها بالتنكر .

(٥) إشاعة الدعر

إشاعة الدعر هي نوع من أنواع الحرب الخاطفة التي يلجأ إليها الاسراييليون وأساس هذه الحرب هو أن تقوم فرقة من الجيش أو من المصائب لجأة لنهب وقتل السكان الآمنين دون ذنب ولا جريمة وقد قامت اليهود بهذا النوع من الحرب بغرض نشر الدعر من السكان الآمنين لتخويفهم وإرهابهم فيضطر هؤلاء السكان إلى التسليم أو ترك بلدتهم .

وكان بن جوريون من أهم المنادين بالقيام بهذه العمليات لإلقاء الدعر بين العرب الآمنين فعمل على تجريد حملات دموية على مزارع العرب وقراهم ليضطروا إلى الفرار من وجه هذه المجازر الإرهابية وطريقة إشاعة الدعر هي أن تهجم بمجموعات كبيرة من الإرهابيين اليهود على قرية أو اثنين فيذبحون كل من فيها من السكان رجالا كانوا أو نساء أم أطفالا وينهبون كل بيوتهم وكل ما بأيديهم وتسمع القرى المجاورة بأبناء هذا الترويع فيأدر سكانها بالفرار وهكذا تستطيع الدولة اليهودية أن توسع حدودها من الدقيقة الأولى وهذا ماحدث في دير ياسين (١) .

ولقد أوصت التوراة الاسراييليين بأن يتبعوا ذلك الطرق الشنيعة فأصبحوا يطبقونها كلها سنحت لهم الفرص .

تقول التوراة « واقتلوا كل مافي المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والخمير بحد السيف » .

(١) الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار تأليف فتحي الرملي .

(و) التماثيل - والنقوش البارزة

عندما هاجم سنجاريب الملك الأشوري مدينة لاشيش عمد المدافعون عن المدينة إلى إقامة الاستحكامات على طول الطريق وبنوا الهياكل الخشبية وعلقوا عليها تروساً ليموهوا ويخدعوا الأعداء وفي نفس الوقت كان هؤلاء المدافعون عن المدينة يعملون بجرية في الحرب مع هؤلاء الغزاة .

(ز) الكمين

عرف الإسرائيليون فكرة الكمين عن المصريين وقد استخدم يشوع في حربه مع الكنعانيين ويقص علينا سفر يشوع عن ذلك فيما يأتي :

« واجعل كميناً للمدينة - من ورائها فقام يشوع وجميع رجال الحرب للعودة إلى عاي واتخب يشوع ثلاثين ألف رجل جبارة البأس وأرسلهم ليلاً وأوصاهم قائلاً انظروا أتمتم تكمنون للمدينة من وراء المدينة لا تتبععدوا من المدينة كثيراً وكونوا كالكم مستعدين وأما أنا وجميع الشعب الذي معي فنقترب إلى المدينة ويكون حينما يخرجون للفائنا كما في الأول أننا نهرب قدامهم فيخرجون ورائنا حتى نجذبهم عن المدينة لأنهم يقولون إنهم هاربون أمامنا كما في الأول فنهرب قدامهم وأتمتم تقومون من الكمين وتملكون المدينة ويدفعها الرب إلهم ويكون أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار (سفر يشوع ٨) .

وجاء أيضاً : « وكان الميعاد بين رجال إسرائيل وبين الكمين أصغارهم بكثرة علامة الدخان من المدينة ولما انقلب رجال إسرائيل في الحرب ابتداء بنيامين يضربون قتلى من رجال إسرائيل ثلاثين رجلاً »^(١)

الفصل الثاني

(ح) الحصار

يحاول الجيش عند غزوه بلدًا ما أن يلتف حول هذه البلد ليمنع أهلها أو مؤنثها من الدخول إليها لتجويعها فتضطر البلد أن تسلّم بعد مدة ما من الحصار. والحصار سلاح قديم عرفته الدول منذ الأزمنة القديمة .

وقد عرف الإسرائيليون هذا السلاح فحاصروا بعض المدن كما أنهم حوصروا من دول أخرى .

وقد تكلمت التوراة في مواضع شتى عن الحصار ونظمه فقالت : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسلمك بل عمات معك حرباً فحاصرها» (١) .

وجاء أيضاً في سفر السفن « إذا حاصرت مدينة أياماً كثيرة محارباً إياها لكي تأخذها فلا تلتف شجرها بوضع فأس عليه إنك منه تأكل فلا تقطعه لأنه هل شجرة الحقل إنسان حتى ينهب قدامك في الحصار وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه فإياه تلتف وتقطع وتبنى حصناً على المدينة التي تعمل حرباً حتى تسقط ، عن (١٩/٢٠) .

وحاصر يشوع مدينة أريحا ، وكانت أريحا مدينة مغاثة مغلقة بسبب بني إسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل ، .

وقد تكلم حرقياال للهي عن الحصار فقال « وأنت يا ابن آدم نخذ لنفسك لينة وضعها أمامك وارسم عليها مدينة أورشليم واجعل عليها حصاراً وابن برجاً وأقل عليها مترسة واجعل عليها جيوشاً وأقم عليها مجانق حولها ، » (٢) .

(ط) المشاعل والحرائق

عندما أراد شمشون الإضرار بالفلسطينيين لجأ إلى حيلة غاية في الغرابة ألا وهي ربط قطع مشتعلة بذيل الحيوانات وترك هذه الحيوانات تجرى بين المزارع والحقول فينتشر اللهب وتحرق المزروعات وخسر الفلسطينيون كثيراً من زراعتهم وفي هذا تقول التوراة:

« وكان بعد مدة من الأيام حصاد الحنطة أن شمشون افتقد امرأته بجدي معزى . . . فقال شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شراً وذهب شمشون وأمسك ثلاثمائة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلا من كل ذنين في الوسط ثم أضرم المشاعل نهاراً وأطلقها من زرع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزروع وكروم زيتون،^(١) .

الباب الثامن

الهندسة العسكرية

أو هندسة الميدان

يقصد بذلك مجموعة المنشآت التي تقيمها الدولة لتستخدمها أثناء حربها مع الأعداء سواء في حالة الدفاع أو الهجوم ، وتشمل هذه المنشآت ما يأتي :

- ١ - الحصون .
- ٢ - الأسوار .
- ٣ - الأبراج .
- ٤ - المجادل (جمع مجدل) .
- ٥ - القلاع (جمع قلعة) .
- ٦ - السدود الترابية والحواجز .
- ٧ - بناء حواطم مزدوجة .
- ٨ - الجسور .
- ٩ - المدن والمدن الاحتياطية .
- ١٠ - الطرق .
- ١١ - التماثيل .
- ١٢ - القنوات المائية .

الفصل الأول

التحصينات

التحصينات ففكرة حربفة عرفتها الدول منذ الزمن القديم وأخذ كثر منها ففخذ ما ففناسبه من أنواع الففصففناف وففرك مالا ففوافقه .

والففصففناف فأفخذ أشكالا عدة :

(١) الأسوار ، (٢) الففصفون ، (٣) اسففءام الففنفواف المائفة ، (٤) ففناء مدن افففاففة ، (٥) الأبراف ، (٦) المفءمل ، (٧) الففلاع ، (٨) السء الففرا فف .
(٩) الففسور .

وسفناول أن ففكلم عن هفءه الأنواع والأشكال فف ففجاز فف الففول الففءفمة عامة فف ففسرائفل فوجه ففاص .

العراق :

أقامء العراق فف الزمن الففءفم أسواراً عظفمة وذلك لأنها كانت مكان صراع دائم بفن السومرففن والسامفن (الأكاءفن والبابلفن) وكان كل ففهما فرفء الاسففلاء على أرض العراق لأنها كانت أراض ففصبة .

وقء أقامء العراق فف العصر الألفف الرابع سوراً بفن نهرى ءجلة والففراف والءى كان ففلق عليه السور المءفن فف منع الفزاة ،^(١)

أرففا :

كانء ففكرة الأسوار معروفة عند سكان أرففا ففءورء فف سفر ففشوع ء أن أرففا كانت مءففة مغلقة لشعب فسرائفل لا أءء ففخرج ففها ولا ففءفل

وعند استماعكم صوت البوق إن جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً فيسقط سور المدينة ، أى أن أريحا كانت محصنة بسور حولها^(١) .

رية عمون :

استخدم بنو عمون الأسوار كأحد وسائل تحصينات المدينة ضد الغزاة وتقول التوراة ، وكان عند تمام . . . إن داود أرسل يواب وعبيده فأخبروا بنى عمون وحاصروا رية وقالوا لماذا دنوتم من المدينة للقتال . أما علمتم أنهم يرمون من على السور . . . من قتل أبيالك ألم ترمه امرأة بقطعة من رحي من أعلى السور فمات . .

صور :

اشتهرت صور بتجارها وفنونها وحضارتها وقامت فيها المباني الكبيرة وشيدت فيها الأسوار لمنع عنها غارات الأعداء ولعلنا نشاهد من كتب التاريخ كيف قاومت صور وصيدا الأعداء منذ فجر التاريخ ولقد كانت صور وصيدا في عهد الآراميين من أكبر المدن التي هددت الإسرائيليين وهزمتهم مراراً مما جعل النبي حزقيال يطلب من الرب خرابها فيقول ، لذلك هكذا قال السيد الرب ها أنذا عليك يا صور فأصعد عليك أمما كثيرة كما يعلى البحر أمواجه فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها ، .

بابل :

شهدت بابل مدينة تعتبر من أقدم المدن وأعظم الحضارات ويشهد على ذلك قوانين حمورابي التي تعد من أقدم القوانين وأحسنها والتي تضارع في كثير من موادها ماتحويه قوانين عصرنا هذا .

(١) سفر يشوع ٦/٥

(٢) سفر صموئيل الثاني ٢١/١١

ولما كانت بابل محط أنظار دول العالم فقد شيدت المباني العظيمة الأبراج والأسوار العالية التي تحميها من غارات جيرانها الذين كانوا يطمعون في هزيمتها من آن لآخر وقد تكلم النبي أرميا عن سور بابل فقال «وأعاقب بابل . . . ويسقط سور بابل» (١).

آرام (دمشق الحالية) :

كثيراً ما نشبت الحرب بين آرام والإميرانيين وكانت آرام تقيم الأسوار القوية لتمنع غارات الدول المجاورة ويدلنا على قوة ومثانة هذه الأسوار ماجاء في (سفر الملوك الثاني ١٥/٣٠) .

«فتزول هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب فضرب بنو إسرائيل من الآراميين . . . وسقط السور على السبعة وعشرين ألف رجل الباقين» .

جوج :

وتكلمت التوراة عن بلاد جوج وعن أسوارها فقالت :

« فيكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب إن غضبي يصعد في أنفي وفي غيرتي وفي نار سخطي نكلمت إنه في ذلك اليوم يكون رعد عظيم في أرض إسرائيل فترعش أمام شمس البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدبابات التي تدب على الأرض وتندك الجبال وتسقط المعازل وتسقط الأسوار» .

(١) سفر أرميا ٤٣/٥١ .

(٢) سفر حزقيال ٨/٣٨ .

الأسوار في فلسطين

قبل أن يدخلها الإسرائيليون

يحدثنا التاريخ أن مدينة أورشليم وهى أقدم ما عرف عن فلسطين كان بها ستة أسوار وكان بعضها يهدم بفعل غارات الأعداء ثم يأتي بهد ذلك ملوك يصلحون ماتهم .

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الأسوار بنيت منذ زمن بعيد حتى أنهم يؤكدون أن السور الثالث بنى منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد (١) .

واستمر استخدام الأسوار في هذه المنطقة حتى عصرنا الحالى كما أظهرت الاكتشافات الحديثة التى قامت بها البعثات فى القدس سنة ١٩٦٢ ميلادية أن الأسوار بقيت حتى عهد الملك داؤد وسليمان عليهما السلام .

والآن نتبع الناحية التاريخية لمعرفة هل بقيت هذه الأسوار تقوم بالغرض الذى من أجله أنشئت هذه الأسوار فى هذه المنطقة .

قلنا إن هذه الأسوار أنشئت حول مدينة أورشليم (القدس) قبل أن يدخلها اليهود بمآت السنين وأن السور الثالث بنى قبل القرن الثامن عشر قبل الميلاد واستمر وجوده حتى خروج بنى إسرائيل من مصر حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وفى أيام سليمان أقيمت أسوار فى أورشليم وأن الملك سليمان صاهر ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داؤد إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حوالىها (٢) .

(١) القدس البخالدة للدكتور عبد الحميد زائد ٨٢

(٢) سفر أشعيا ٢

ولما غزا الآشوريون أورشليم كانت الأسوار تحيط بمدينة أورشليم على الجبال وعلى التلال المرتفعة وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع . وكانت الأسوار موجودة أمام غزو نابوخذنصر لأورشليم (١) وقد كلف قواده حراس المدينة الذين كانوا على السور .

وجاء في سفر أرميا ما يأتي :

« فقال لهم النبي أرميا هكذا تقولان لصديقيا هكذا قال الرب لإسرائيل ها أنذا أزد أذوات الحرب التي بيدكم التي أتم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين الذين يحاصرونكم خارج السور ، - (النص من التوراة) .

وجاء في خطاب للملك الآشوري سنحاريب يهوذا ما يأتي :

« أما بالنسبة لحزقيا اليهودي (ملك يهوذا) فلم يخضع لإرادتي فحاصرت ستاً وأربعين مدينة من مدنه القوية (مدن يهودية) وأحضرت بالقرب من الأسوار آلات حربية لهدم الأسوار واشترك في ذلك المترجلون مستخدماً الأضخايد .. وأخذت ملك أورشليم أسيراً مثل الطائر في القفص (٢) .

وفي أيام نحميا :

كانت أسوار أورشليم قد تهدمت بعد خراب الهيكل الأول سنة ٥٨٦ ق.م. أراد نحميا أن يصلح ما تهدم من أسوار أورشليم وتمكن من إصلاح الأسوار والأبواب التي كانت مقامة بهذه الأسوار .

جاء في سفر نحميا « أنه رمم السور في اثنين وخمسين يوماً .

إلا أن بعض المؤرخين ينتقدون هذا الكلام إذ أن طول السور حول المدينة كان ٤٠٥٠ متر وأنه ليس من المعقول أن يتم هذا السور في هذه المدة

(١) سفر أشعيا ٣٦ ، ملوك ٢٦/١٨

(٢) القدس الخالدة ١١٣

القصيرة ويقولون إن نحميا رمم السور ولم يقمه مرة ثانية أو أنه رمم بعض
ثغرات كانت بالسور نتجت من غزو الدول الأجنبية لليهوذا وأورشليم .

واستمر اهتمام الحكام ببناء وترميم الأسوار في أورشليم حتى أمام هيرود
إذ أنه عند ما تولى حكم أورشليم من سنة ٣٦ إلى سنة ٤٠ ق.م قام بترميم وتقوية
أسوار المدينة الى قاست كثيراً من الحصار أثناء حكمه .

وتمكن رجال الحفائر الذين قاموا بالكشف عنها سنة ١٩٦٢ ميلادية
من مشاهدة السور القديم لأورشليم اليبوسين وقد استمر هذا السور حتى أيام
داؤد ومئات السنين بعده حتى القرن السابع ق.م ووجد سور عبر الحافة من
الشرق إلى الغرب ويحتمل أن يكون بني في القرن العاشر أو التاسع ق.م .

الفصل الثاني

التحصينات في نظر اليهود

لما كان اليهود مكروهين منبوذين منذ وجودهم في فلسطين فإنهم كانوا معرضين دائماً للدفاع عن أنفسهم من هجمات الدول المجاورة التي هبت تدافع عن أراضيها من هذا الدخيل الغاصب وكان من هذه الناحية عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم من هذه الغارات والهجمات لذا أخذوا يستخدمون الوسائل المتعددة للدفاع عن أنفسهم فاتخذوا الحصون والمخابئ في شقوق الجبال والمغارات (قضاة ٢/٦) .

ويقول صمويل النبي د ولما رأى رجال إسرائيل أنهم في ضنك لأن الشعب تعذب اختبأ الشعب في المغارات والأحراش والصخور والأبراج والحفر صمويل أول (٦/١٢) .

وقد ورد ذكر حصون اليهود وأبراجهم عند هجوم إيتالك أحد قضاة إسرائيل على مدينة شكتم لاغتصابها من الفلسطينيين .

أما بداية التفنن في التخصينات فإنها ترجع إلى داود إذ استولى بالقوة على الحصن الفلسطيني القائم في مدينة أورشليم على جبل صهيون وقد جعله قاعدة حربية للملكة ومعسكر جيشه وهذا العمل يشهد له بالدراية العسكرية الواسعة على مستوى الحروب في زمانه فإن جعل صهيون بهذا الحصن يقع إلى غرب المدينة وهو الجزء الضعيف منها لقلته الجبال من هذه الناحية ولافتتاح الطريق إليها من جهة السهل الساحلي فكان لا بد من العناية بتحصينها هندسياً من أجل ذلك .

وقد ورد وصف استيلاء الملك داؤد على حصن صهيون بعد معركة
اليوسين من الفلسطينيين سكان القدس القدماء، (١).

الحصون :

الحصون التي عرفها المجتمع الإسرائيلي عن الكنعانيين عبارة عن المدن
المسورة فهذه الأسوار كانت تكتفي المعتدين الذين كان سلاحهم الهجوم مستعملين
المقلع والترس والقوس .

وقد الإسرائيلون الكنعانيين في تحصين مدنها وحدودها فشيّدوا عددا
من الحصون وبخاصة على حدودهم الغربية ومن أشهر هذه المدن أورشليم
ومجدو وسامريا .

المياه ومنعها عن الأعداء :

كان الإسرائيليون يحاولون منع وصول المياه إلى العدو أو أن يحرقوا
الآبار داخل الحصون والمدن حتى إذا حاصرهم العدو وجدوا المياه اللازمة
لهم بالقرب منهم وقد جاء في سفر أخبار الأيام الثاني أن الملك حزقيا
أوقف سير المياه التي كانت تجري في نهر جيحون وحول المجرى إلى أسفل
الجانب الغربي لمدينة القدس كما بنى قناة تصل مياهها إلى خزان داخل المدينة
وبلغ طولها ستماية وخمسين قدماً محفورة في الصخر .

كما ردم بعض ينابيع المياه حتى لا يستفيد منها العدو قائلين لماذا يأتي
ملوك آشور ويجدون مياهها غزيرة .

ويتبين من ذلك أن الإسرائيليين عملوا على الاستفادة من المياه والقنوات
لأنفسهم سواء بالحفر لمصالحهم نارة وبالردم نارة أخرى حتى لا يستفيد
منها الأعداء .

(١) ضمويل ثان - الإصحاح الخامس .

بناء المدن الاحتياطية:

عند الناس في الأزمنة القديمة إلى بناء مدن احتياطية للهروب إليها أو للجوء فيها في حالة ما إذا تمكن العدو من محاصرة المدن الأمامية أو الاستيلاء عليها وقد لجأ اليهود إلى مثل ذلك في بعض الأوقات وخاصة أيام الأشوريين والرومان.

الأبراج

كانت الأبراج تبنى على أسوار المدن لدفع هجوم العدو المدينة كذلك كانت الأبراج تقام في المزارع لحراسة المحاصيل كما كان يأوي إليها الناس عند نزول المطر.

وكانت هذه الأبراج تختلف ارتفاعاً وعرضاً فمنها ما كان يبلغ طولها ستين قدماً وعرضها ثلاثين قدماً عرف السكعانيون الأبراج وبرعوا في إنشائها وتكلمت التوراة عن أسماء بعض الأبراج السكعانية فقالت عن برج بابل والذي جاء وصفه في سفر التكوين في الاصحاح الحادى عشر في الآية الرابعة .
ووصف برج نياص أيضاً (١) .

وعرف اليهود فكرة إقامة الأبراج من السكعانيين وتقص علينا التوراة ذلك فتقول : عند ما ذهب ابتالك قاضى إسرائيل إلى نياص ونزل في نياص وأخذها وكان برج قوياً وسط المدينة فهرب إليه جميع الرجال والنساء وكل أهل المدينة وأغلقوا وراءهم وصعدوا إلى سطح البرج فجاء ابتالك إلى البرج وحاربه واقترب إلى باب البرج ليحرقه بالنار (٢) .

(١) سفر القضاة ١٥/٦٠

(٢) سفر القضاة ٩

وقد استخدم الإسرائيليون البرج كوسيلة من وسائل التحصينات والمراقبة تقول التوراة « وكان الرقيب واقفاً على البرج في يزرعيل فرأى جماعة ياهو عند إقباله فقال إنى أرى جماعة فقال يهرام خذ فارساً فارسه للقائم فيقول
أسلام :

كذلك أقام هيروود أبراجاً ثلاثة حول أورشليم وكانت مقامة على ربوة عالية لتسكون مشرفة على المدينة .

وأقام الملك عزيا أبراجاً « وعمل في أورشليم منجنيقات اختراع مخترعين لتسكون على الأبراج وعد الزوايا لترمى بها السهام والحجارة العظمية^(١) ويمكن بعد هذا التفصيل تبيان بعض الأبراج :

- ١ - برج بابل .
- ٢ - برج تاباص .
- ٣ - برج التياتير وجاء ذكره في سفر تخميا اصحاح ٣ آية ١١ .
- ٤ - برج حنتيل .
- ٥ - برج داؤد .
- ٦ - برج سلوام .
- ٧ - برج شكيم -
- ٨ - برج يزرعيل .
- ٦ - برج المائة وجاء ذكره في سفر تخميا اصحاح ٣ في آية ٣

ويقسم بعض المؤرخين الأبراج إلى أنواع خمسة :

- ١ - أبراج دفاع .

(١) سفر أخبار الأيام الثاني ٢٦ .

- ٢ - أبراج مجدل .
- ٣ - أبراج للتقوية معوز .
- ٤ - أبراج للحراسة مشمر .
- ٥ - أبراج مراقبة .

مجدل

معنى مجدل : مكان مرتفع أو بناء مقام على ربوة وجاءت الكلمة من الفعل جدل - ارتفع - كبر ، وجاء مجدل بمعنى مدينة مقامة على ربوة مرتفع أو حصن مرتفع .

وكان الغرض من المجدل الدفاع عن المكان المحيط بهذه المنطقة أو رقابة القوافل المسافرة من وإلى هذه الجهات .

وقد تعددت أسماء المجدل الكثرة المدن المسماة بهذا الاسم فمنها مجدل بجوار بحيرة طبرية ومنها المجدل على ساحل البحر الأبيض في فلسطين . ثم تحولت الكلمة إلى مشتول باللغة العربية ومجدول باللغة القبطية^(١) .

قلعة

قلعة - هي بناء مرتفع القصد من بنائه أو إقامته على جزء مرتفع من الأرض الدفاع عن المنطقة المجاورة أو مراقبة الجيوش المغيرة على هذا المكان وقد أطلق اليهود على هذا النوع من التحصينات اسم « ملو » ، يعني الملىء أو ملاء الأرض القضاء وقام داؤد الملك بدم الأرض القضاء بين مدن اليوسين ومن

(١) قاموس اللغة القبطية تأليف أفلاديوس يوحنا لبيب والقاموس القبطي

ومن الأرض التي عليها الهيكل وقد تم هذا الردم واتصل المكان الذي كان يملكه اليبوسين وما جاوره وأصبحت قلعة بنى عليها حصن داود .

وقد أعاد الملك حزقيا تحصين هذه التلعة ونجح كما تقول التوراة في صد غارات الملك سنحاريب الآشوري على يهوذا .

وقد ذكرت القلعة بمعنى « ملو » في أسفار صمويل الثاني في الإصحاح الخامس في الآية التاسعة وفي ملاحى في الإصحاح التاسع الآية الخامسة عشر وفي أخبار الأيام الأول الإصحاح الحادى عشر الآية الثامنة وتقول التوراة « وأقام داود في الحصن لذلك دعوة مدينة داود وبنى المدينة حوالها من القلعة إلى ما حولها ديواب جدد سائر المدينة » .

خط بارليف

قام حاييم بارليف رئيس أركان الجيش الإسرائيلى ببناء خط عرف باسم خط بارليف .

وقد بناه الإسرائيليون بمحاذاة الضفة الشرقية لقناة السويس وكان الغرض من إنشائه منع القوات المصرية من العبور وتعويق الهجوم المصرى على الجيش الإسرائيلى شرق القناة ، إلا أنه سرعان ما خاب ظنهم وتقدمت الجيوش المصرية بقوتها فهدمت هذا الخط واستولت على هذا التحصين ودكتته دكاً وانتصر الجيش المصرى بعون الله وقيادة الرئيس المؤمن أنور السادات .

اعتقد اليهود أن هذا الحاجز سيحميهم من المصريين ولكن المصريين تمكنوا من اقتحام هذا الخط بإذن الله وإيمان الجيوش المصرية .

ونود أن نقول إن فكرة هذا الخط كانت معروفة منذ الزمن القديم، وإن من يقرأ التوراة يمكن أن يستنتج أن بعض المدن القديمة كانت تقيم أسواراً وبعضها كانت تقيم سداً من التراب لمنع الأعداء من التقدم .

جاء في التوراة « أن نابوخذ ناصر عندما أراد التغلب على اليهود وجد أن حولها سداً تريباً أقامته اليهود لخرقة تقدم جيش البابليين نحو أورشليم والقدس ، فما كان من الجيش البابلي إلا أن أقام سداً من التراب مقابلاً للسد الذي أقامه اليهود ، وأخذ البابليون يرفعون السد حتى صار أعلى من السد اليهودي وتمكن الجيش البابلي بقيادة نابوخذ ناصر (بختنصر) من أن يكشف أورشليم . وأصبح المدافعون عن القدس في مرمى نبل البابليين وسهامهم ومنجنيقاته وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على المدينة بعد ذلك وهكذا فإن التاريخ يعيد نفسه فقد هزم المصريون اليهود وهدموا خط بارليف (١) . . . بل جعلوا منه قناة جديدة نصل بين البحرين : الأبيض والأحمر .

(١) بارليف : هو حاييم بارليف ولد سنة ١٩٢٤ في فيينا ثم هاجر إلى فلسطين سنة ١٩٢٩ وانضم إلى عصابة البالماخ إحدى العصابات اليهودية التي كان من أهم أغراضها إخلاء الأراضي الفلسطينية من سكانها العرب بالقوة وتولى عدة عمليات حربية .

وفي أوائل سنة ١٩٦٨ عين رئيساً للأركان حين كان مسؤولاً عن إقامة خط للتحصينات عرف باسمه بمحاذاة قناة السويس ومن عجائب القدر أنه اتصل من أقواله عن خط بارليف وأنه لم يقل إن خط بارليف أقوى خط دفاعي في القرن العشرين (الموسوعة ص ٩٦)

الجسور

لم يثبت حتى الآن أن اليهود عرفوا فكرة إقامة الجسور وحتى لو كانوا قد عرفوها إلا أنهم لم يقيموا جسراً ما ، ولم تقص علينا التوراة شيئاً عن إقامة اليهود للجسور ويمكن أن تؤكد أن اليهود لم يعرفوا إقامة الجسور من أن الملك داود أو سليمان ابنه ردما الجهة الفاصلة بين الهضبتين وكان من الممكن إقامة جسر بينهما .

وعلى ذلك فإن إقامة الجسور كنوع من التحصينات أو إحدى وسائل المواصلات لم تكن معروفة لدى اليهود في الزمن القديم .

الباب التاسع

بعض المدن القديمة ذات الشهرة الحربية

إن هناك مدناً قديمة كثيرة العدد لها شهرة واسعة من الناحية الحربية — وقد رأينا أن تأتي ببعض هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر — حتى لا نطيل على القارىء إذ أن هذا العمل يحتاج إلى مجلد خاص نرجؤه إلى فرصة أخرى والله المستعان .

القدس (أورشليم)

كانت القدس تسمى فى العهد القديم باسم أورشليم وكان ينظر إليها كمنطقة مقدسة وسكنها قديماً رجل الله ماكى صدق وقابله سيدنا إبراهيم عليه السلام وباركه .

وتذكر النوراة هذه المقابلة فتقول : « وماكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلى . وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلى ملك السموات والأرض ، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك فأعطاه عشرة من كل شيء ، (١) . »

وقد ذكرت نصوص مصرية شيئاً عن أورشليم ، وترجع تاريخ هذه النصوص إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، كما تذكر رسائل تن العارفة أنه كانت هناك مراسلات بين ملك أورشليم وبين إحتاتون ملك مصر

(١) سفر التكوين لإصحاح ١٨/١

وكانت القدس مملكة لليوسيين حتى استولى عليها الملك داود وجعلها عاصمة للملكة ، وقد كانت هذه خطة حكيمة من جانبه بما أن المدينة لم تكن تتصل بأى سبط من الأسباط ولذا فقد كانت صالحة كعاصمة لكل الأسباط .

ظلت أورشليم على ذلك إلى أن نهبها شيشنق ملك مصر ثم توالى عليها غارات المغيرين من الكلدان ، والفرس ، واليونان . ثم الرومان إلى أن افتتحها العرب .

أهم الحوادث التي تعرضت لها أورشليم

تحتل أورشليم (بيت المقدس) مكانة رفيعة في نفوس الناس قديماً وحديثاً ونظراً لهذه المكانة فإنه من الواجب أن نذكر بعض الحوادث التاريخية الهامة المتعلقة بهذه المدينة المقدسة .

- ١ - كانت هذه المدينة تابعة لليوسيين ، وحاول اليهود الاستيلاء عليها وانتزاعها من يد البيوسيين ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في أيام الملك داود .
- ٢ - جعلها الملك داود عاصمة للملكة .
- ٣ - بنى الملك سليمان فيها معبداً سمي بعد ذلك هيكل سليمان .
- ٤ - دمر الملك بختنصر هيكل سليمان كما استولى على أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م .
- ٥ - حاول بعض زعماء اليهود إعادة بناء الهيكل ، وكان من بينهم عزرا ونحميا سنة ٤١٥ ق . م وأخيراً بنى الهيكل الثاني .
- ٦ - دمر القائد الروماني تيتوس هذا الهيكل سنة ٧٠ م .
- ٧ - دمر الإمبراطور الروماني أورشليم تدميراً تاماً حتى اختفت معالمها اختفاء تاماً وأطلق على المدينة التي بنيت بدلا منها اسم إيايا كابوتلينا

وبقيت اورشليم تعرف باسم كابوتيلينا حتى افتحها العرب وذكروها باسم
إيليا أى مدينة إيليا كابوتالينا .

٨ - أرجع عمر بن الخطاب الحقوق للأهالى وأرجع الإسلام لأورشليم
كرامتها فذكرها الله تعالى فى قرآنه الكريم : « سبحان الذى أسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » سورة الإسراء
الآية ١ .

دمشق

كانت دمشق فى الزمن القديم عاصمة الآرميين أما اليوم فهى عاصمة سوريا .
وكان الآرميون شعباً تجارياً - انتشرت تجارته فى معظم أنحاء العالم القديم
ولم تكن هناك مدينة أو دولة إلا وفيها تجار آراميون ، وكان من مظاهر
تقدم الآراميين التجارى انتشار لغتهم حتى أصبحت اللغة الأولى أو اللغة
الدولية بين الشعوب .

ونتيجة لهذا التقدم التجارى أن زاد مركز دمشق الدولى حتى أصبح المثل :
« كل الطرق تؤدى إلى دمشق » ، مثلاً معروفاً فى الزمن القديم .

كانت دمشق تضطر فى بعض الأحيان إلى الدخول فى الحرب للمحافظة
على تجارتها الواسعة فنزاهها تحارب إسرائيل فى بعض الأحيان وتتحالف
معها ضد الآشوريين فى بعض الأحيان الأخرى فذكر التوراة أنها تحالفت
مع إسرائيل فى حرب ضد الآشوريين وانتهت الحرب بانتصار الآشوريين
عليهم فى موقعة قرقر سنة ٨٥٣ ق. م .

وفى سنة ٧٣٢ ق. م. استولى عليها الآشوريون وفقدت مركزها السياسى
وإن لم تفقد مركزها التجارى كما ظلت اللغة الآرامية لغة التخاطب والتجارة
حتى القرن الأول الميلادى أى بعد سقوط دمشق بثمانية قرون تقريباً .

مجدو

كانت مدينة ماسكية كنعانية ، وكان لها شهرة واسعة في الزمن القديم ، وقد حاول الإسرائيليون عند دخولهم كنعان الاستيلاء عليها فنرى يشوع يهاجمها ويريد الاستيلاء عليها ، وقد وصفت التوراة نبأ هذا الهجوم ووصفته بالتفصيل .

ثم عادت دבורاة النبوية والقاضية تريد الاستيلاء عليها ، وقد تكلمنا عن ذلك بالتفصيل (١) .

وقد مات بها ملكان يهوديان هم أخزيا ويوشيا .

وتدل الحفائر التي اكتشفت أخيراً أن هذه المدينة كانت ذات ثقافة وحضارة منذ أربعة آلاف سنة أى قبل أن يغزوها الإسرائيليون بألف سنة .
ومما يدل على ما وصلت إليه هذه المدينة من حضارة أنهم شقوا سراديب في الصخر ليصلوا المياه من جهة إلى أخرى ، هذا في وقت لم يخترع فيه الآلات الميكانيكية أو الديناميت .

قادش

قادش كلمة مشتقة من مقدس .

تقع هذه المدينة في الصحراء ، وكان بقرها عيون ماء كثيرة ولهذا كانت تصلح لسكنى كثير من الناس والقبائل ولهذا نرى سيدنا موسى يستقر في هذه المدينة مدة طويلة أثناء فترة التيه .

تعرضت هذه المدينة لكثير من الغزوات التي كان يشنها الملوك ضد

(١) انظر الفصل الخاص عن دבורاة النبوية في هذا الكتاب .

بعضهم البعض الأمر الذى كان سبباً فى شهرتها من ناحية ودمارها من ناحية أخرى .

ومن أمثلة هذه الغزوات ما قام به تغلات فلاشر الملك الآشورى ضد ملك إسرائيل بقمح ، وانتهت بانتصار الآشوريين . كذلك كانت قادش ساحة قتال بين الممكانيين وديمثريوس وقد ذكرت كثيراً فى التوراة .

* * *

قرقيش (كركيش)

كانت عاصمة الحثيين الشرقية غرب الفرات واشتهرت بكثرة ثروتها وتعرضت لكثير من الغزوات والتي من أهمها ما قام بها الملك الآشورى ناصر بال ، وقد استولى على مبالغ طائلة بعد انتصاره فى هذه الغزوة كما فرض عليها جزية كبيرة (٨٨٥ - ٨٦٠) ق.م .

كما قام سرجون ملك آشور سنة ٧١٧ ق.م . ، بغزوة أخرى وانتصر فيها وشهدت أيضاً هذه المدينة النزاع الذى قام بين الكلدانيين وبين مصر بسبب رغبة كل منهما فى الاستيلاء على فلسطين وقد انتهى هذا النزاع بانتصار نابوخذ ناصر ملك الكلدان على نحاو ملك مصر سنة ٦٠٦ ق.م .

وبقيت قرقيش حتى أيام الرومان وأطلقوا عليها اسم كركيسوم ويعتقد أكثر المؤرخين أن موقعها الآن هى مدينة طرابلس أو جرابلس (١) .

وقد جاء ذكرها فى الكتاب المقدس فى سفر أشعيا - « أليست كانوا مثل كركيش » (٢) وهذا يدل على أهمية موقع مدينة قرقيش .

(١) قاموس الكتاب المقدس .

(٢) سفر أشعيا لإصحاح ١٠ آية ٩

بابل

كانت بابل عاصمة البابليين ، وازدهرت أيام حكم حمورابي وكانت ذات حضارة واسعة ويكفي أنها تركت لنا ما يعرف اليوم بقوانين حمورابي .
وذكرت بابل كثيراً في التوراة للعلاقة التي كانت بينها وبين الإسرائيليين وكذلك لما كان من مختصر وهدم هيكل سليمان سنة ٥٨٦ ق. م.

نينوى

عاصمة الآشوريين وتقع على نهر دجلة وظلت نينوى محط أنظار العالم مادامت آشور قوية ولكنها أصبحت ضعيفة سياسياً بعد أن زالت دولة الآشوريين منذ سنة ٦١٢ ق. م. وما يذكر بالفخر للآشوريين أنهم تركوا لنا مكتبة تحتوي على خمسين ألف لوح مكتوباً عليها مواد مختلفة أمكن الاستفادة بها في معرفة التاريخ القديم وهي التي تسمى مكتبة آشوربانيبال .

الباب العاشر

الفصل الأول

الطرق وأهميتها في الأزمنة القديمة

كانت للطرق في كل زمن أهمية كبيرة مما استدعى اهتمام ورعاية كل دولة بإنشائها وإصلاحها .

وتعتبر الطرق بمثابة شرايين للدولة تقوم بوظائف هامة وخدمات جليمة فهي مظهر من مظاهر المدنية الدولة وحضارتها ووسيلة من وسائل ربط المدن والدول بعضها ببعض .

كما إنها تساعد في تسهيل نقل المواد التجارية ونقل الجيوش وقت الحرب أضف إلى ذلك ما يلاقيه الحجاج من تسهيلات في سفرهم فيما إذا كانت الطرق معبدة ومستصلحة .

بعض أمثله على اهتمام الدول بإصلاح الطرق في الأزمنة القديمة .

مصر :

اهتمت مصر بإنشاء الطرق وإصلاحها بسبب ما كان لديها من مركبات حربية مما استدعى تعبيد الطرق وجعلها صالحة لهذه المركبات .

كما أنها كانت تقيم محطات على طول الطرق لإصلاح هذه المركبات فكان ذلك سبباً مهماً في تسهيل استخدام هذه المركبات بدرجة كبيرة مما ساعد على انتصار الجيوش المصرية على أعدائهم .

بابل :

كانت بابل بلاداً تجارية تركت لنا قوانين تشبه قوانيننا الحالية ومن أهم مآثرها لنا البابليون قانون حواري والذي يحتوي ضمن مواد المحافظة على الطريق ومعاينة قطاع الطرق أو من يخل بقواعد المرور .

آشور :

المعروف تاريخياً أن آشور دولة محاربة اشتهرت بالقسوة على أعدائها وكانت تضع جيشها في المقام الأول ولذا فقد اهتمت بإنشاء الطرق الصالحة لسير جيوشها لئلا يتمكن من غزوها بأسرع ما يمكن .
وقد اهتم بعض المؤرخين بوصف الطرق التي سلكها بعض ملوك آشور لغزوهم بعض الدول المعادية فوصفوا الطريق الذي سلكه الملك سارجون الآشوري لغزو مصر والذي اتخذته سنحاريب لغزو يهوذا .

كنعان :

كانت كنعان بلاداً ذات حضارة ثقافية منذ أربعة آلاف عام وقد دلت الاكتشافات الحديثة . على أنه كان بها مدن وطرق تضارع أحدث الأنظمة المعروفة لدينا اليوم ولاشك فإن موقعها وهو فلسطين اليوم كان مقر عبادة قديمة يؤمنها الناس من كل الجهات كما أنها بموقعها الجغرافي بين ثلاث دول كانت محط رحال القوافل التجارية الآتية من جنوب بلاد العرب ومن الصين والهند .

مؤاب :

تقع مؤاب شرق فلسطين وكانت هذه الدولة دائمة الحروب بينها وبين إسرائيل وكان ميشع ملكها في كثير من الأحيان ينتصر على إسرائيل .

وقد ترك لنا نقوشاً أهمها ما سمي « تعش مشع » وفيه يقص علينا كيف انتصر على إسرائيل في الحرب وقد أكدت التوراة ذلك الانتصار وكان من أسباب انتصاره اهتمامه بالباغ بإنشاء وإصلاح الطرق وكان ذلك في القرن التاسع قبل الميلاد .

الآراميون :

« كل الطرق تؤدي إلى دمشق » هكذا يقول المثل القديم ، كانت دمشق عاصمة الآراميين وبقيت زمناً طويلاً حتى سقطت سنة ٧٣٢ ق . م على يد الآشوريين . الآراميون شعب تجارى لم يشغل نفسه بالسياسة ولم يمكن يميل إلى السيطرة أو الاستعمار ولكنه كان شعباً تجارياً يحاول أن ينشر تجارته وادته في أنحاء العالم المعروف في ذلك الوقت حتى أن اللغة الآرامية كانت تعتبر اللغة الرسمية لمعظم بلاد العالم القديم ، وما يدل على قوة الآراميين التجارية واللغوية أن بقيت اللغة الآرامية مستعملة تجارياً ودينياً حتى القرن الميلادى الأول أى بعد سقوط دمشق بثمانية قرون . كان هذا الشعب التجارى يهتم اهتماماً بالغاً بإنشاء الطرق وإصلاحها لنشر التجارة بين المدن وبين الدول بعضها ببعض ومن هنا جاء المثل القائل « كل الطرق تؤدي إلى دمشق » .

الفرس :

اهتم الفرس بإصلاح الطرق حتى بلغ من اهتمامهم أن وضعوا ضرائب ورسوم على المرور ، وكانت تخصص لإصلاح الطرق وقد تكلمت التوراة عن ذلك وجاء في سفر عزرا ما يأتى :

« ومنى أنا ارتخششتا الملك صدر أمر إلى كل الخزنة الذين في عبر النهر » (١) .

(١) سفر عزرا : الإصحاح الرابع .

اليونان :

كان الإسكندر الأكبر يقيم الموانئ والمدن في كل بلد يفتحه وكان هذا بجانب الطرق التي يقيمها لسير الجيوش أو لنشر التجارة بين الدول وبين بعضها البعض .

وقد اهتمت اليونان أيضاً بإنشاء الطرق حتى يتمكن المسافرون الذين يذهبون إلى أئتنا للتفرج على الألعاب الأولمبية التي كانت تقام في العادة كل أربع سنوات تقريباً .

وإنه لمن الآثار الحسنه لليونان عامة والإسكندر خاصة ما تركه الإسكندر الأكبر المقدوني من إنشاء الموانئ والتي كان من أهمها ميناء الإسكندرية . وهذه الموانئ تستدعي إنشاء الطرق الصالحة للوصول إلى تلك الموانئ .

الرومان :

د كل الطرق تؤدي إلى روما . .

هذا المثل يدل على مكانة روما في الزمن القديم وكيف كانت روما ملتقى طرق كثيرة دولية .

وقد اهتمت روما بإنشاء الطرق لأسباب كثيرة أهمها :

- ١ - اتساع رقعة الدولة ازرومانية الأمر الذي أدى إلى إنشاء الطرق الكثيرة الطويلة لربط أجزاء هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف .
- ٢ - كثرة الحروب والثورات التي كانت تقوم بين الحين والحين في هذه الإمبراطورية الواسعة وكان لابد للدولة الرومانية من تجهيز الجيوش وتعبير الطرق التي تسهل سير هذه الجيوش لتؤدي واجبها في أسرع وقت ممكن .

٣ - نقل المحاصيل الزراعية من المستعمرات إلى روما فكانت مثلاً ينقل القمح من مصر إلى روما عن طريق البر حتى البحر الأبيض المتوسط .
ولعله من مفاخر روما واهتمامها بالطرق وإصلاحها أننا مازلنا نستخدم بعض هذه الطرق حتى الآن والتي تعرف بالطرق الرومانية .

العرب :

اهتم العرب بالتجارة منذ القدم حتى وصفوا بأنهم تجار . وقد قاموا بنقل التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها حتى فلسطين فكانوا ينقلون البضائع الآتية من الصين والهند إلى شمال بلاد العرب وفلسطين ومصر وأوربا . وقد كانت هذه الطرق معروفة منذ عهد سيدنا إبراهيم وسار فيها حين انتقل هو وابنه اسماعيل من فلسطين إلى مكة ، وعرف الملك سليمان هذه الطرق حين اتصل بالملكة سبأ ، وعرفها أيضاً الملك يهوشافات الإسرائيلي والذي أراد أن ينشئ أسطولاً بحرياً لينافس طريق العرب البرى ولكنه فشل .

ثم ذكر المؤرخ الروماني بليني كيف أن الرومان أرادوا الاستيلاء على جزء من الجزيرة العربية ليستولوا على طرق القوافل العربية ولكنهم فشلوا أيضاً في ذلك .

ثم بقيت هذه الطرق التجارية حتى ظهور الدين الإسلامي وذكر القرآن أهمية هذه الطرق التجارية فيقول الله في كتابه الكريم في سورة قريش :
« لإيلاف قريش لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت .
الذي أطعمهم من جوع . وآمنهم من خوف . » .

الفصل الثاني

الطرق وأهميتها لإسرائيل

لا شك أن للطرق وإنشائها وتقييدها أهمية خاصة لدى الإسرائيليين؛ ذلك أنها كانت تقوم بخدمات جليلة ومتعددة فهي تربط بين المدن بعضها ببعض وكانت تسهل وصول الحجاج إلى بيت المقدس لأداء فريضة الحج .

أضف إلى ذلك أن الطرق كانت تخدم النواحي الحربية خدمات جليلة كما أنها كانت مورداً مالياً هاماً للدولة .

ويمكن أن نتكلم عن كل من هذه الخدمات بإيجاز .

١ - الطرق تربط بين المدن بعضها ببعض :

ليست أرض فلسطين كلها سهلة منبسطة وإنما نجد سطحها معظمه جبلي وعرة وكان تعبيد الطرق من الأهمية بمكان لتسهيل ربط المدن بعضها ببعض وتسهيل الحركة التجارية أيضاً .

٢ - الحج : الحج فريضة دينية عند اليهود وعلى كل يهودى أن يحج ثلاث مرات إلى بيت المقدس كل عام وكان للطرق أهمية خاصة لتسهيل سير الحجاج إلى بيت المقدس حيث أن عدم صلاحيتها للسير فيها تعطيل للحجاج من تأدية فريضة الحج في أوقاتها المعلومة .

٣ - الطرق والناحية الحربية :

كانت إسرائيل تقوم بغارات متعددة على ما جاورها من البلاد كما أنها كانت هدفاً لغارات المغيرين من كل البلاد .

أدى هذا إلى أن يكون لها جيش قوى يصد ويهاجم ، واحتاج ذلك إلى الطريق الصالح لسير الجيوش المتحاربة وخصوصاً وأن هذه الجيوش في تلك الأزمنة كانت مشاة أو فرساناً .

أضف إلى ذلك أن الطرق المعبدة كانت تعمل على سرعة نقل المؤن والذخائر حتى لا يفوت الوقت وتضيع النتائج المرجوة من المعركة .

٤ — الطرق مورد مالى للدولة :

كانت القوافل الآتية من بلاد العرب تمر بعضها داخل فلسطين متجهة إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط وقد اهتم الملك سليمان بإصلاح الطرق التي كانت تسلكها هذه القوافل لأنه كان يأخذ ضرائب ورسوم مقابل مرور هذه القوافل ، وكانت الضرائب المجبأة تكون دخلاً كبيراً من ميزانية الدولة واستخدم الملك سليمان هذه الأموال فى الإنفاق على الجيش .

ويقول المؤرخ يوسفوس إن الملك سليمان قام بإصلاحات كثيرة وخصوصاً فيما يتعلق بالطرق « لأنه أول من استخدم العربات » .

كانت هناك طرق كثيرة تؤدي إلى أورشليم (قدس) ومن أهم هذه الطرق :

١ — طريق من قربات جت إلى أورشليم وهذا الطريق هو الذى سلكه تابوت العهد عند رجوعه بعد أن استولى عليه الفلسطينيون .

٢ — طريق القوافل من مصر إلى فلسطين .

٣ — طريق من يافا إلى أورشليم .

٤ — الطريق من جنوب بلاد العرب واليمن إلى صور وصيدا .

٥ — طريق الساحل ويبدأ من غزة إلى صفد ثم إلى دان حتى ينتهى

إلى دمشق .

٦ — طريق القدس إلى السامرة وقد جاء ذكر هذا الطريق فى سفر الملوك .

الباب الحادي عشر

الفصل الأول

طرق النقل العسكري

نقل الأسلحة والمؤن والذخائر الحربية أثناء الحرب من أهم المسائل التي تضعها الدول نصب عينها ، ولا يقتصر الأمر على ذلك . بل إن العناية توجه أيضاً إلى طرق المواصلات والوسائل التي تقوم بنقل الأسلحة . وعرف اليهود أنواعاً مختلفة من هذه الوسائل ، وقد استقيناها من التوراة وغيرها من الكتب ، وأهم هذه الوسائل هي :

١ - الحمار : يعتبر أهم وأقدم الوسائل التي عرفها اليهود في الزمن القديم ، وقد استعمله اليهود في نقل البضائع من جهة إلى أخرى ، ومن قطر إلى قطر ، وقد نقلوا القمح من مصر إلى فلسطين على حمير .

تقول التوراة : « ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً وترد فضة كل واحد إلى عدله وأن يعطوا زاداً للطريق ففعل لهم هكذا فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك » (١) .

وتقول التوراة : « وكان نبي شيخ ساكناً في بيت إيل ... فقال النبي لبيه شدوا لي الحمار فشدوا له الحمار فركب عليه » (ملوك أول ١٣/١٣) .
ولما قامت الحرب بين الملك داود ، وابنه ابشالوم كان الحمار أهم وسائل النقل العسكري .

تقول التوراة : « وأخبر الملك داود وقال ... وأما اجبتوقل فلما رأى مشورته لم يعمل بها شد على الحمار : وقام وانطلق إلى بيته وخنق نفسه ومات ودفن في قبر أبيه » (٢) .

(٢) صمويل ثمان : ١٧/١٤

(١) تكوينين : ٤٢

(١٣ - التوراة)

الثور والبقر :

استعمل اليهود هذه الحيوانات في جر العربات حتى أن التابوت كان تجره الثيران والبقر ، ووصفت التوراة كيف كان تابوت العهد يسير وتجره الثيران وكيف يرجع بعد أن هزم الفلسطينيين اليهود .

الخيول :

كانت الخيول من بين وسائل النقل الهامة ، إلا أن التوراة أوصت بعدم الاستكثار من الخيول حتى لا يتذكروا مصر لأن الخيول كانت تستورد من مصر ، وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات وكان يخرج خيل سليمان من مصر .

ولكن بعد ذلك استعمل ملوك اليهود الخيل في الحرب فتصف التوراة الحرب بين الملك ميشع ملك مؤاب وبين ملكي يهوذا وإسرائيل — قال ملك إسرائيل لزميله ملك يهوذا : « شعبي كشعبك وخبلي كخيلك » أى أن سلاحى كسلاحك . (سفر الأخبار الثاني : ٩/٩ ، والملوك الثاني : ٧/٣) .

البغال :

لم يكن اليهود يميلون إلى استعمال البغال لأن الدين اليهودى يحرم استعمالها لأن البغل من الحيوانات المهجنة وهذا محرم عندهم .

وتقول التوراة فى سفر العدد : ١٩/١٩ « لاتنز بهائمك جلسين وحقاك لاتزرع صنفين ولا يكن عايك ثوب مصنف من صنفين »

ومع ذلك فقد استعملوا البغال مخالفين بذلك أوامر التوراة ، فقد جاء بشأن الحرب من داود وابنه أبشالوم ما يأتى :

« اضربوا أمنون فاقتلوه أليس أنا أمرتكم ... ففعل غلمان أبشالوم بأمنون كما أمر أبشالوم فقام بنى الملك وركبوا كل واحد على بغله وهربوا ،

ويقول أيضاً : « وصادف أبشالوم عبيد داود ، وكان أبشالوم راكباً على بغل فدخل البغل تحت أغصان البطمة العظيمة المتفتة فتعلق رأسه بالبطمة وعلق بين السماء والأرض والبغل الذى تحته مر ، (صمويل ثان : ٢٩/١٣ ، ١٠/١٨) .

الجمال :

تحرم الشريعة اليهودية أكل لحم الجمال وإن لم تحرم استعماله كوسيلة نقل ولذا فقد استعملته اليهود فى النقل بعد ما عرفوا كيفية تربيته واستعماله من كنعان وفلسطين وآرام (ملوك ثان : ٨) .

وقد اعتنى الملك سليمان بتربية الجمال فجعل على تربيته شخصاً يدعى إويل الإسماعيلي (سفر الأخبار الأول : ٢٧/٢٦)

الإنسان : (الرجال والنساء) .

كان الرجال والنساء يقومون أثناء الحرب بنقل الأسلحة والذخائر خصوصاً فى المناطق الجبلية والتي يصعب على الحيوانات السير فيها أو التسلق إليها ، وكانت تنقل القسي والسهام والنبل اللازمة للحرب .

الفصل الثاني

نقل الأوامر :

كانت الأوامر تنقل بإحدى الطرق الآتية :

١ - يعطى رؤساء فرق المقدمة التقارير والأوامر إلى من يلونهم وهؤلاء بدورهم يعطونها إلى من يلونهم حتى يصل إلى قائد الجيش وهو يكون في الغالب في خيمة المعسكر .

٢ - استعمال البوق : استعمال البوق كآلاتي :

إذا نفخ في بوق واحد يكون للقائد ، وإذا نفخ في البوقين فيكون للجمع الجيش وإذا نفخ لمدة طويلة فيكون لجمع الجيش .

البوق :

كلمة معناها بالعبرية « شوفار » والبوق يصنع من قرن حيوان ويقال إن أول بوق (شوفار) صنع من قرن الكبش الذي ضحى به إبراهيم اقتداء لابنه (١) . وكان البوق يستخدم في بعض المناسبات الدينية مثل إعلان سنة الشمبطة وسنة اليوبيل (٢) وتكريس الملك الجديد عن طريق مسحه بالزيت وقد أعيد بحث هذا التقليد الديني في إسرائيل فينتفخ في الشوفار حين يؤدي رئيس الجمهورية اليمين .

وقد تكلمت التوراة في مواضع كثيرة عن البوق وكيفية استخدامه والأوقات التي يستخدم فيها .

(١) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٢٢
(٢) انظر كتاب الربا عند اليهود تأليف السيد محمد عاشور .

تقول التوراة : « وكلم الرب موسى قائلاً : اصنع لك بوقين من فضة مسحولين بعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولا ترتحل المحلات فإذا ضربوا بهما يجتمع إليك كل الجماعة إلى باب الخيمة للاجتماع وإذا ضربوا بواحد يجتمع إليك الرؤساء ورؤوس ألوف إسرائيل وإذا ضربتم هتافاً ترتحل المحلات النازلة إلى الشرق ، وإذا ضربتم هتافاً ثانية ترتحل المحلات النازلة إلى الجنوب هتافاً يضربون لرحلاتهم وأما عندما يجتمعون الجماعة فيضربون بالأبواق فيكون لكم فريضة أبدية في أجيالكم . وإذا ذهبتم إلى حرب في أرضكم على أعدو ويضربكم تفتنون بالأبواق فتذكرون أمام الرب إلهكم وتخلصون من أعداءكم . وفي يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محركاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكراً أمام إلهكم » (١) .

وجاء أيضاً عن استعماله وقت حصار مدينة : « تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة هكذا تفعلون ستة أيام وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام القابوت » (٢) .

وجاء في سفر النبي أرميا « ارفعوا الراية في الأرض ، اضربوا بالبوق في الشعوب » (٣) . ويمكن تلخيص ماسبق ذكره عن البوق :

- ١ - يستخدم البوق في الحروب لتجميع الجيش .
- ٢ - في أيام الأعياد ورؤوس الشهور .
- ٣ - في أيام الصيام كعلامة انتهاء وقت الصيام وبداية الأمطار كما هو الحال في عيد الكبور .

- ٤ - في حالة الأفراح .
- ٥ - وفي حالة نشوء دولة جديدة كما حدث عند إنشاء دولة إسرائيل

المزعومة سنة ١٩٤٨ .

(٣) سفر يشوع لإصحاح ٦

(١) سفر العدد لإصحاح ١١

(٢) سفر النبي أرميا لإصحاح ٥١

الباب الثاني عشر

قيام الحرب وانتهائها

قسمنا هذا البحث إلى الفصول الآتية :

١ - من له حق إعلان الحرب .

٢ - نتائج قيام الحرب .

(أ) الصلح .

(ب) النصر .

(ج) الهزيمة .

الفصل الأول

من له حق إعلان الحرب

كانت الدولة اليهودية في أول أمرها دولة تيوقراطية أى دينية يرأسها رجل ديني وتسير على حسب القوانين الدينية وقد كان موسى عليه السلام أول حاكم لهذه الأمة ثم كان يوشع من بعده واستمر الحال على ذلك حتى تولى شاؤل السلطة ثم داؤد فسليمان .

كان موسى هو رئيس الدولة التيقراطية ثم تولاه يوشع من بعده وكان الكهنة واللاويون يتصرفون في الإدارة والأموال التي ترد بصفتهم مساعدين

للحاكم وكانت وظيفتهم إدارة النواحي المالية والدينية للدولة كما كانت المعابد كوزارة المالية اليوم .

كانوا هم الذين يصدرون الأوامر ولهم حق إعلان الحرب أو الصلح أو غير ذلك مما يتعلق بالسياسة العليا للدولة ، ثم جاء عصر الملكية منذ عهد شاؤل وداؤد وسليمان ومن جآئر بعدهم ، وأصبح للملك حق التصرف في كل شيء ، ولم يصبح للكهنه واللاويين إلا قبول ما يستحقونه من زكوات وصدقات فقط وأصبح للملك حق إعلان الحرب ووضع النظم الخاصة بها كما أصبح له حق تنظيم الشؤون المالية .

وقد رأينا كما جاء في التوراة كيف أعلن شاؤل الحرب على الفلسطينيين وكيف أعلن داؤد الحرب على اليوسيين وكيف أحب سليمان أن يكون عهده عهد سلام فلم يقبل إعلان أى حرب على أى بلد ما .

وهكذا تطور حق إعلان الحرب على يد رئيس دينى إلى رئيس زمنى .

جاء فى سفر صمويل الأول : ١٠/٨ :

« فكلّم صمويل الشعب الذين طلبوا منه ملكا بجميع كلام الرب وقال هذا يكون قضاء الملك الذى يملك عليكم يأخذ بنيتكم ويجوله لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خماسين فيحرقون حرثته ويحصدون حصاده ويعملون عدة حربيه وأدوات مراكبه ويأخذ نباتكم عطارات وطباخات وخبازات ويأخذ حقوقكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده .

ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطى لخصيائه وعبيده ويأخذ
عييدكم وجواريتكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملها لشغله ويعشر
غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً فتصرخون في ذلك اليوم من وجه
ملككم الذى اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب فى
ذلك اليوم .»

الفصل الثاني

الصلح

تكلمنا فيما سبق عن تكوين الجيش ونظمه وعن الحرب التي تقوم بين المتحاربين (اليهود وأعدائهم) وقلنا إن الحرب قد تنتهي بإحدى حالات ثلاث وهي الصلح أو الانتصار أو الهزيمة .

والآن نبدأ بالكلام عن حالة الصلح وكيفية وشروطه معتمدين في ذلك على ما جاء في التوراة .

جاء في سفر التثنية : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن إجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك » (سفر التثنية ١٠/٢) .

وجاء في سفر يشوع : « فعمل يشوع لهم صلحاً وقطع لهم عهداً لاستحيائهم وحلف لهم رؤساء الجماعة » (١)

وجاء في سفر صمويل : « ولما رأى جميع الملوك عبيد هدر غرر أنهم انكسروا أمام إسرائيل صالحوا إسرائيل واستعبدوا لهم » (٢) .

وجاء أيضاً في سفر صمويل : « وصعدنا حاش العموني ونزل على يابيش جاعاد فقال جميع أهل يابيش لنا حاش اقطع لنا عهداً فيستعبد لك فقال لهم نأحاش العموني بهذا أقطع لكم عهداً بتقوير كل عين يمني لكم وجعل ذلك

(١) يشوع : ٩

(٢) صمويل ثان : ١٠

عاراً على جميع إسرائيل فقال شيوخ يابيش اتركنا سبعة أيام فنرسل رسلاً إلى جميع تخوم إسرائيل فإن لم يوجد من يخلصنا نخرج إليك» (١).

نتائج الصلح :

إذا قبلت الدولة الصلح مع اليهود بدلا من محاصرتها أو الدخول في حرب معهم فإن النتائج تكون كالآتي :

١ - فتح أبواب المدينة للجيش اليهودي .

٢ - أن تكون الدولة مسخرة تحت إمرة اليهود .

٣ - أن يكون شعب هذه المدينة عبيداً لهم .

أما في حالة الرفض فإن للجيش الإسرائيلي أن يهاجم المدينة فإما أن يتنصر أو ينهزم .

التسخير :

قلنا إن شعب المدينة الذي يقبل الصلح مع اليهود يصبح مسخراً ومستعبداً لليهود .

ولكن ما معنى التسخير في هذه الآية : هل هي السخرة أم الجزية ؟
اختلفت الترجمات ولم تتفق بعضها مع بعض في المعنى فالترجمة الفرنسية -
Tributaire أى أن الشعب يدفع جزية وكذلك في الترجمة الإنجليزية
Tributary أى دافعوا الجزية والترجمة العبرية تقول « إن الشعب
يدفع جزية » .

وهذه الترجمات تخالف ما جاء في النص العربي لترجمة الآية كما تعودنا

القول بأن هناك تضارب بين الذين قاموا بكتابة التوراة فالظاهر أن كلمة التسخير هو المعنى الأصلي عندما كانت الحروب مستمرة بين اليهود والشعوب الأخرى ، وكانت العلاقات بينهما سيئة واضطر كاتبو أسفار التوراة في تلك الأزمنة أن يتأثروا بما بينهم وبين الأجانب من علاقات سيئة وحروب مستمرة .

ولكن عندما هدأت الأمور وأصبح اليهود مشتتين لا يهتمهم من الأمر شيء إلا أن تكون علاقاتهم طيبة مع الدول المختلفة - ترجوا هذا اللفظ بمعنى الجزية خوفاً من حقد الشعوب عليهم وكرههم لهم فوق أنهم أصلاً مكروهين .

٢ - كيف يمكن التوفيق بين الصلح ووصايا التوراة بعدم إبرام أى معاهدة بين الشعوب الأخرى ؟

تقول التوراة : « ولا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض . اهدموا مذابحهم » .

هناك أمر بقطع كل عهد وهناك أمر بالصلح كيف يتفق هذا مع ذلك : الحقيقة أن التوراة كتبت في زمن بعد موسى بحوالى ألف سنة - لذا جاءت النصوص متعارضة بعضها مع بعض وأصبحنا لانعرف ماهى الآية التى نزلت قبل الأخرى .

ومع ذلك فلم نر صلحاً تكلمت التوراة بشأنه ، وذلك لأن اليهود ليس لهم عهد ولاذمة وقد عرفهم الدول منذ الأزمنة القديمة بهذه الصفة فلم تأمن لهم ولم تثق فيهم ولم يترك لنا التاريخ نصوصاً أو مواداً عن أى صلح ما يتعلق باليهود مما جعلنا نقف عند مناقشة الآيات التى أوردناها .

نقض العهود

قلنا عند الكلام على الصلح إن اليهود ينقضون العهد وهذا يتفق وما أوصت به شريعتهم حيث أمرتهم التوراة بنقض العهود ، وعرف اليهود بنقض العهود من قبل أن تأمرهم التوراة بذلك فهم منذ زمن بعيد وتلك العادة وهذا المبدأ اللا أخلاقي صفة من صفاتهم السيئة .

اتفق أولاد سيدنا يعقوب مع أهل شكيم على أن يصابروهم على شرط أن يختن كل ذكر من أهل شكيم ومقابل هذا الشرط يسمح لأولاد سيدنا يعقوب أن يسكنوا في مدينة شكيم (نابلس الآن)^(١) واتفق الطرفان وكان لابد من أن يقوم كل من الطرفين بتنفيذه إلا أن أولاد سيدنا يعقوب نقضوا الاتفاق الذي أبرموه مع شكيم إذ انتهزوا فرصة اختتان ذكور شعب شكيم (أي فرصة الطهارة) وهم جرحى راقدين لا يقوون على الحركة - قام أولاد سيدنا يعقوب بقتل أهل شكيم المختنين وذبحهم ونهب أموالهم .

وتقول التوراة : « حدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين (لأنهم مختنون) (أي أن أهل شكيم كانوا جرحى بسبب الاختتان) أن ابني يعقوب أخوى دينه أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنة بجد السيف وأخذوا دينته من بيت شكيم وخرجوا ثم أتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أختهم - غنمهم وبقرةم وحيرهم وكل مافي المدينة وما في الحقل أخذوه وسلبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل مافي البيوت »^(٢) .

(١) شكيم مدينة نابلس الآن .

(٢) الاختتان هو الطهارة المعروفة والاختتان فريضة على كل يهودي ويجب

أن يختن الطفل في ثامن يوم من ولادته .

(٣) سفر الكوين : ٢٩/٣٤ .

٢ - تقول التوراة^(١) :

دمتي أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أتت داخل إليها لئتملكها وطرده شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيين والجرحاويين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعتهم الرب إلهك أمامك فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك لا تعط لابنه وبنته لا تأخذ ابنتك .

ويرى الأستاذ ليون دي مودينو أن هذا الشرط كان يسرى على الأمم السابقة وليس على الجويتيم الآن^(٢) إلا أن اليهود تتمسك دائماً بحرفية الكتاب .

٣ - جاء في سفر القضاة في الإصحاح الثالث ما يأتي :

« فأرسل بنو إسرائيل هدية لعجلون ملك مؤاب فعمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع وتقلده تحت ثيابه على نغذه اليمنى وقدم الهدية لعجلون ملك مؤاب وكان عجلون رجلاً سميناً جداً وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدية وأما هو فرجع من عند المنحوتات التي لدى الجلجال وقال لي كلام سر إليك أيها الملك فقال صه وخرج من عنده جميع الواقفين لديه فدخل إليه إهود وهو جالس في برود كانت له وحده ... فد إليه إهود يده اليسرى وأخذ السيف عن نغذه اليمنى وضربه في بطنه .

لأنه يقدم له الهدية ويضعه - هذا هو الشرف اليهودي .

(١) سفر التثنية : ١/٧

(٢) وكتاب - الأخلاق والعادات اليهودية تأليف ليون دي مودينو .

الفصل الثالث

حالة انتصار اليهود

التحريم

التحريم في المعنى اليهودى هو إبادة كل شيء في مدينة مهزومة^(١) أو إهلاكها^(٢) أو تخريباً تخريباً تاماً^(٣) .

ومعنى ذلك في المفهوم اليهودى هو أنه إذا انتصر الجيش اليهودى على أعدائه فإن الدولة المهزومة يجب أن تهدم وتخرّب تخريباً تاماً ويقتل أهلها جميعاً ذكوراً وإناثاً أطفالاً وشيوخاً وكذلك كل ما فيها من حيوانات ومواش وغير ذلك مما هو موجود في المدينة أو الدولة المهزومة .

أما المعادن فتبقى وتطهر وتنقل إلى المعبد اليهودى وتودع فيه إذ هي مستثناة من التخريب وهذا مما يدل على أن اليهود منذ نشأتهم الأولى ميالون للشّر من حيث قتل الناس جميعاً وتخريب المدن ومن ناحية أخرى فإنهم ميالون إلى حب المال وجمعه والاحتفاظ به واكتنازه حيث أنهم لم يتعرضوا للمال بتخريبه ولكن إلى نقله إلى معبدهم لكي يكون في يد الكهنة .

حرمة : اشتق من كلمة التحريم وهذا اللفظ أيضاً يفيد الإبادة .

محرم : لهذه الكلمة معنيان :

١ - الأول بمعنى مقدس أى مخصص للرب فلا يقربه إنسان فهو نذر

(١) ترجمة التوراة العربية .

(٢) كتاب الإسلام والمستقبل للدكتور عبد العزيز كامل ص ٦٠

(٣) كتاب أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام تأليف الدكتور محمود عبد المولى ص ٦٧

(4) Expositor Bible by Robertson Nicola

(5) Haf tarer Page 250 .

للرب «إن كل محرم هو قدس أقدس للرب كل محرم يحرم من الناس لا يفدى
يقتل قتلاً» .

٢ - المعنى الثاني : وهو الإبادة والهدم والإبادة والإهلاك والتخريب .
وهذه المعاني التي تعنى التحريم هي التي سينصب عليها بحثنا^(١) أو بمعنى آخر
سيكون التحريم بهذه المعاني هو موضوع بحثنا فقط وذلك لأنه يتعلق ببحثنا
عن شريعة الحرب وأثر التحريم بهذه المعاني في توجيه سير الحرب
وآثارها المتعددة .

اعتمد اليهود على أن التحريم هو أمر إلهي وعلى أنه إبادة للدين المهزومة
تنفيذاً لما جاء في التوراة عندما أمر الرب موسى بتنفيذ التحريم .
تقول التوراة :

«متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أتت داخل إليها لتملكها
وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين
والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعتهم
الرب إلهك أمامك وضررتهم فإنك تحرمهم لاتقطع لهم عهداً ولا تشفق
عليهم»^(٢) .

وجاء أيضاً «وإن سمعت عن إحدى مدتك التي يعطيك الرب إلهك
لتسكن فيها قولاً قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك قائلين نذهب ونعبد
آلهة أخرى لم تعرفوها وخصت وقتشت فإذا الأمر صحيحاً وأكيداً قد عمل
ذلك الرجس في وسطك فضرباً تضرب سكان المدينة بحد السيف وتجرمها
بكل ما فيها مع بهاؤها بحد السيف . تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق

وسفر اللاويين: ٢٧/٢٨

(٢) سفر التثنية ١٧/١

بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً للأبد لا تبقى بعد
ولا يلتصق بيدك شيء من المحرم، (سفر التثنية : ١٢/١٣) .

وجاء أيضاً عن تنفيذ التحريم على يد موسى :

« نخرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في أذرعى
فقال الرب لموسى لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه
فتفعل به كما فعلت بסיحون ملك الأموريين الساكن في حشعون فضربوه وبنيه
وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا أرضه ، (سفر العدد : ٣١/٢١) .

وأضافت التوراة قولها وكلم الرب موسى قائلاً : انتقم نعمة لبنى إسرائيل
من المدانيين ... فتجدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان
وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع
مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من
الناس والبهائم .. « (١) » .

ولم يكتب موسى بإبقاء الغنيمة حية بل وبخ قواد جيشه لأنهم أبقوا
الإناث من الغنيمة أحياء إذ قال لهم لماذا أبقيتهم هؤلاء أحياء وكان الواجب
ألا تبقوا شيئاً حياً ، وجاء النص كما يلي :

« نخرج موسى ... لاستقبال الجيش فسخط موسى على وكلاء الجيش القادمين
وقال لهم هل أبقيتهم كل أنثى حية إن هؤلاء كن لبنى إسرائيل سبب خيانة للرب
فكان الوباء في جماعة الرب فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة
عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتروها ولكن جميع الأطفال من النساء اللواتي
لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات ، .

وقالت أيضاً : « كل هذه كانت مدناً محصنة بأسوار شائخة وأبواب من اليج... فخرناها كما فعلنا ببيحون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال ولكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبتها لأنفسنا » (تثنية ٦/٣).

ثم تكلم سفر يشوع عن التحريم أيضاً فجاء في هذا السفر ما يأتي :
« فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضمهم بحد السيف حرمهم كما أمر موسى عبد الرب غير أن المدن القائمة على تلالها لم يحرقها إسرائيل ماعدا حاصور وحدها أحرقها (١) ».

وكل غنيمة ملك المدن والبهائم نهبا بنو إسرائيل لأنفسهم وأما الرجال فضمهم بحد السيف جميعاً حتى أبادوهم لم يبقوا نسمة .

كما أمر الرب موسى عبده هكذا أمر موسى يشوع وهكذا فعل يشوع .
وأخذ يشوع مقبده في ذلك اليوم وضمها بحد السيف وحرم ما كرها هو وكل نفس بها لم يبق شادراً وفعل بملك مقبده كما فعل بملك أريحا .

وتضيف التوراة : « أنه حرم مدينة لبتة ولجنش وكل مدن الجبال ، أي أنه قتل جميع سكان فلسطين ... »

وحارب يشوع مدينة أريحا وحرمها كما جاء في سفره في الإصحاح السادس « وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرموا كل مافي المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والخيول بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . »

(١) لم يحرق يشوع المدن القائمة على التلال لأنها في جهات مرتفعة ولم يتمكن من الوصول إليها بل لم يتمكن من الاستيلاء عليها وليس شفقة من يشوع بل لأنه لم يهزمها .

(١ : - التوراة)

ويضيف السفر قوله : « فقال الرب ايشوع لا تخف — لا ترتعد ففعل
بعاى وملسكها كما فعلت بأريحا وملسكها غير أن غنيمتها وبهاؤها تنهبونها
لأنفسكم . . . ويكون أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار . »

وجاء في سفر صمويل الأول : ١٥ عن النحرىم :

« فالآن اذهب واضرب عماليق وحرمواكل ماله ولا تعف عنهم بل اقللوا
رجلا وامرأة طفلا ورضيعاً بقراً وغنماً جملاً وحمراً . »

ويقول صمويل عما فعله داؤد من تحرىم :

« وضرب داؤد الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة . وأخذ غنماً وبقراً
وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى اجنثس ، » .

ولم تسكتف التوراة بوصف أعمال التدمير والقتل الجماعى للمدن المهزومة
بل كانت القسوة تأخذ أشكالاً أخرى أقطع مما رأيناه فهاهو داؤد عليه السلام
يهجم على عاصمة الأردن وينهبها ويخرج من فيها ويقطعهم بالمناشير ونوارج
الحديد والفؤوس (٢) .

وفي توراة موسى تقرأ توصيات وشرائع تقسم المدن التى يغزوها
الإسرائيليون إلى قسمين :

- ١ — قسم قريب من إسرائيل وهذه تقع تحت قانون التحريم أى الإبادة
التامة وهذه المدن هى كنعان وفلسطين وبيوس والحويين والفرزيين .
- ٢ — قسم بعيد عن إسرائيل وهذا لا يحرم بل يدفع الجزية فقط .

(١) صمويل أوله : ٩/٢٧

(٢) هذا ما جاء فى التوراة فى سفر الملوك .

على أننا لانوافق على رأى التوراة لأنها ليست التوراة الأصلية لأنها ضاعت
باعتراف التوراة الحالية .

شق بطون الحوامل

بلغت القسوة في قلوب الإسرائيليين حداً كبيراً ظهر في تلك العادة البشعة التي كثيراً ما كانوا يفعلونها ؛ ذلك العادة هي شق بطون الحوامل .

تقول التوراة : « فقال حزائيل لماذا يبكي سيدي فقال لأنني علمت ما ستفعله بني إسرائيل من الشر فإنك تطلق النار في حصونهم وتقتل شبانهم بالسيف وتحطم أطفالهم وتشق حواملهم » (سفر الملوك الثاني : ٨) .

وذلك أن ملك آرام سيفعل بالإسرائيليين كما يفعلون هم بأسراهم عينا بعين وسنا بسن ؛ أي لما كانت إسرائيل تشقى بطون الحوامل عند انتصارها في الحرب يفعل ملك آرام بالإسرائيليين المهزومين فسيشق هو أيضاً بطون الحوامل الإسرائيليات .

وجاء عن هذه العادة السيئة في سفر عاموس ما يأتي :

« هكذا قال الرب من أجل ذنوب بني عمون الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم شقوا حوامل جلعاد لكي يوسعوا تخومهم » (سفر عاموس ١٣/١) .

وجاء في سفر هوشع « تجازى السامرة (عاصمة إسرائيل) لأنها قد تمردت على إلهها بالسيف يسقطون تحطم أطفالهم والحوامل تشق » .

وجاء في سفر الملوك الثاني : « وصعد متحيم بن حاري من ترصه وجاء إلى السامرة . . . حينئذ ضرب متحيم تفصح وكل ما بها وتخومها من ترصه لأنهم لم يفتحوا ضربها وشق جميع حواملها » .

وهناك طريقة ثالثة من طرق الإبادة ؛ ألا وهي ردم القنوات المائية

وطم جميع عيون الماء وحرقت المزروعات وقطعت الأشجار. ومن يقرأ التوراة يجد الكثير من هذه الطرق والأفعال الخسيسة وسذنين بعض هذه الطرق .

جاء في سفر الملوك الثاني ما يأتى :

« فنصريون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتطمون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة ، .

ولقد أحرق شمشون جميع مزروعات بلدة زوجته وقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام على الأسلحة عند اليهود .

إبادة الشعوب

وتبريرها عند اليهود

لعل الدين اليهودى هو الدين الوحيد الذى أجل إبادة الشعوب، وهذا حسب ما جاء فى التوراة التى بين أيدينا .

وقد رأينا عند الكلام على معنى التحريم كيف أن التوراة تحث اليهود على إبادة شعب كنعان وغيرهم من يسكنون فلسطين .

وإن فكرة الإبادة هى فى الحقيقة تدل على وحشية وهمجية لا يقبلها دين سماوى ولا عقل راجح .

لكن اليهود بما جلبوا عليه من شر برروا عملهم هذا بما يأتى :

١ - قتل الملك ميشع ملك مؤاب كثيراً من اليهود بعد أن انتصر عليهم وسجل هذا فى النقش الذى عرف باسمه وكان ذلك فى القرن التاسع قبل الميلاد .

٢ - كان المكسيكيون يحرقون كل الغنائم ويقتلون الأسرى .

- ٣ - إن يوليوس قيصر والإسكندر وقورش هدموا المدن الكبرى ولم يكن غرضهم الفتح بينما كان غرض اليهود نشر رسالة .
- ٤ - إن الله هدم سدوم وعمورة وأنه جعل اليهود آلة لهدم مدن كنعان وإن كان في سدوم وعمورة لأسباب أخلاقية .
- ٥ - إن اليهود يحملون ديناً جديداً وسيدخلون أرضاً تعبد الأوثان وكان لزاماً عليهم أن يبدوهم حتى لا يختلط الإسرائيليون بهم .
- ٦ - إن سيدنا إبراهيم ترك بلده ورحل إلى فلسطين هرباً لدينه وأما اليهود فقد أمروا ليدخلوا أرض كنعان وعليهم إن يبيدوا أهل كنعان حفظاً للدين الجديد من وثنية الكنعانيين .
- ٧ - قرطاجنة : كانت قرطاجنة تقتل الأسرى ولما كان القرطاجنيون من أصل فينيقي والفينيقيون يسكنون مع الكنعانيين - فإذا ما فعله اليهود بالكنعانيين إنما هو مثل ما فعله سكان هذه الجهات قبل أن يدخلها اليهود .
- ٨ - الرومان : كان الرومانيون يذبحون الأسرى وكانوا يضعون الحراب في أجسامهم .
- ٩ - يدعى اليهود أن قتل الكنعانيين عمل عادل لأن الكنعانيين اغتصبوا فلسطين أثناء إقامة اليهود في مصر - ذلك أن إبراهيم عليه السلام كان يسكن فلسطين - ولما خرج اليهود إلى مصر وسكنوا فيها دخلها الكنعانيون وسكنوها .
- ١٠ - أن الله وعد إبراهيم عليه السلام أن تكون فلسطين لنسله وعلى ذلك يجب أن يباد جميع سكانها من غير اليهود لتدخلوا لهم .
- ١١ - أن وصايا الله لليهود هي إبعاد الرجاسات والتي كانت منتشرة في كنعان فكأنهم موكلون من الله لقتل كنعان .

١٢ - اشتهر الآشوريون بقسوتهم وأنهم كانوا يقتلون الأسرى ويقطعون الأشجار ويدمرون المدن - واليهود كانوا يفعلون كما يفعل الآشوريون وأن بعض ملوك آشور قال «كنت أحرق بعض الأسرى وأقطع أيدي بعضاً آخر وأفقأ عين بعض وأجدع أنف بعض» .

١٣ - يدعى اليهود بأن هناك وعداً بأن الجبل الرابع لسيدنا إبراهيم سيسكن فلسطين وعلى أساس هذا الادعاء يرى اليهود أن من حقهم دخول كنعان وإبادة من فيها .

١٤ - كانت مصر تحرق المدن المهزومة وتقتل سكانها - وذلك حسب رواية التوراة «صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة» (سفر الملوك الأول : ٩) .

نقد المبررات التي ادعتها اليهود

لاشك أن كل المبررات التي استند إليها اليهود في إثبات عدالة أعمالهم الوحشية وإبادة سكان المدن الأخرى هي مبررات لا تستند على حقائق وسنناقش هذه المبررات لتفنيدها :

١ - إن سيدنا إبراهيم عليه السلام دخل فلسطين لاجئاً هرباً يدينه ولم يكن مقاتلاً ولا يملك شيئاً بل إن قبر زوجته اشتراه من أحد الفلسطينيين بالثمن فكيف يعطى وعداً وهو لا يملك شيئاً وكيف يدعى اليهود أنه دخل غازياً وأن كنعان اغتصبت فلسطين من إبراهيم أثناء وجود اليهود في مصر - لم يكن إبراهيم مقاتلاً .

٢ - الوعد بأن تكون فلسطين لنسل إبراهيم :

إذا كان الوعد صحيحاً فإن نسل إبراهيم هو إسماعيل وإسحاق :

ومعنى ذلك أن فلسطين تسكون للكنعانيين واليهود ثم للعرب واليهود وعلى ذلك فليس لليهود أن يبدوا شعبا له حق السكنى .

٣ - أن سكان فلسطين على نوعين : أوصت التوراه بقتل السكان القريبين من مدن اليهود - ولماذا؟ المعروف أن جميع سكان فلسطين في تلك الأزمنة كانوا وثنيون - فلماذا يقتل بعض الوثنيين ويترك الآخرون مادامت الرسالة اليهودية هي لنشر الدين اليهودى .

٤ - لماذا يهاجم شعب شعبا آخر آمننا في مدينته دون مبرر (١) .

٥ - لماذا تكون هناك إبادة أن الأنبياء توصى بالشفقة والرحمة وعدم قتل الأبرياء .

٦ - قالت أنبياء اليهود عاموس - إن الله إله لجميع العالم وليس لليهود ، وأن الله يتكفل بعباده فإن كان اليهود يحفظون على الدين فإن ذلك يكون بالحسنى .

٧ - إن الدين اليهودى لا يسمح بالتبشير لأنه جاء لشعب اليهود فقط كما يدعى علماءهم - وعلى ذلك فإن إبادة شعب كنعان وغيرهم لأنهم وثنيون لا يستند إلى أساس دينى .

٨ - يقول بعض العلماء إن إسرائيل مأمورة بالرحمة والشفقة حتى وقت الحرب فهل هذا ينطبق ووصايا التوراة بالإبادة؟ (٢) .

٩ - خالف الدين اليهودى الدين المسيحى حيث أن المسيحية لا تأمر بالقتل .

١٠ - الكنعانيون شعب متحضر ويدلنا على ذلك ما تركوه من آثار

(1) Essais sur la Pentate que par grand pierre .

(1) The Pentateque and Haftarah by Publi Hirtz .

وما خلفوه من حضارة وقوانين تضارع ما وصل إليه العالم في العصر الحديث
فهل يكافأ بالإبادة؟

١١ - تناقض التوراة نفسها بنفسها فهي في موضع تأمر بعرض الصالح
على المدينة المراد قتلها بينما نراها في بعض المواضع تأمر بالإبادة .

١٢ - إن قرطاجنة والرومان لم يقيم أحد منهما بقتل جميع سكان المدن
المهزومة بل كانوا يقنون عليهم والدليل على ذلك أن أهل هذه البلاد المهزومة
ما زالت باقية للآن ولعل اليهود أنفسهم خير دليل على ذلك إذ أن الرومان
هزموهم ولكن أبقوا عايمهم ولم يبيدوهم .

١٣ - لم يقتل الآشوريون جميع أهل المدن التي كانوا يهزمونها فقد
رأينا الآشوريين يقنون سكان سامرا وإن كان بعضهم قد نفي إلى
جهة أخرى .

١٤ - عند ما استولت بابل على أورشليم نقلوا بعض سكان إلى بابل
بينما تركوا الفلاحين وفقراء الأرض فيها .

« ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين (١)
« وأما الشعب الذي بقي في أرض يهوذا الذين أبقاهم نبوخذ ناصر ملك
بابل فوكل عايمهم جدليان أحبعام بن شافان ، (٢) .

١٥ - هل كان موسى وخلفاؤه من الجيل الرابع الموعود بدخول
فلسطين - كلا إنهم من الجيل السابع لإبراهيم عليه السلام فالتسلسل هو
إبراهيم - إسماعيل وإسحاق - يعقوب - لاوى - فهاث - عمرام -
موسى وهرون - أولاد هرون .

(١) ملوك ثان : ٢٥

(٢) ملوك ثان : ٣٢

١٦ - لم يتمكن اليهود من نشر الدين اليهودى كما كانوا يدعون والوثنية كانت وامتزال حتى عهد سليمان ، وبعد سليمان فنحن نرى كيف أن ملوك اليهود تأثروا كثيراً بعبادة الوثنيين والتوراة مائة بما عمله اليهود من عبادات وثنية وكيف عبدوا البعل وبذلك نرى أن الوثنيين أثروا على اليهود وكان الواجب أن يكون العكس وتنتشر الديانة اليهودية بين هذه الأقوام الوثنية .

١٧ - إن ماجاء فى التوراة من أن اليهود أبادوا سكان كنعان وما جاورها إبادة تامة لم يكن صحيحاً لأننا وجدنا سكان هذه الجهات موجودين حتى عصر سليمان بل إنهم كانوا دائماً فى حرب مع اليهود وكانت آخر حرب لهم هى الحرب التى قامت بين شاول وجالوت ، والحرب بين داود والبيوسيين . بل إنهم صاهروا وتزوجوا منهم مخالفين بذلك وصايا التوراة .

بماذا تبرر إسرائيل موقفها من هدم مدن الاعداء

إذا انتصر الإسرائيليون على الدول الأخرى

تكلّمنا فى الفصول السابقة عن التحريم وكيف كان اليهود يهدمون مدن الأعداء إذا انتصر اليهود على هذه الدول وبيننا المبررات التى قدمها اليهود لهذا التدمير وقلنا إن هذا العمل لا يتفق ومبادئ الأديان السماوية ولا مع الأخلاق السامية أو القانون الدولى .

ويقول اليهود فى تبرير هذا التدمير :

أولاً : إن نظام توزيع الغنائم التى يحصل عليها اليهود عند انتصارهم على أعدائهم يكون منصفة بين الجيش والشعب وبذلك يصح الشعب شريكاً فى الغنيمة (على حسب ماجاءت به التوراة) ومادام الشعب شريكاً فى الغنيمة فإنه يكون شريكاً فى الخرم والغرم هنا هو أنه إذا انهزم الجيش فسيؤسركه ويكون الشعب متحملاً لكل الغرامات .

أى أن إسرائيل تطبق قوانينها على غيرها من الدول وهذا مالا يتفق والقوانين الدولية فكل دولة حرة في تطبيق قوانينها فقط

ثانياً: يعتبر الشعب محارباً أو شريكاً في الحرب أو مساعداً للجيش والشريك أو المساعد يعتبر كأنه محارب فعلاً وما دام محارباً فإنه يتحمل العقاب الذى يستحقه في حالة الهزيمة - هذا العقاب في نظر اليهود هو تدمير المدن تدميراً تاماً وحرق أهلها^(١).

وقد اعتبرت التوراة الشعب كالمحارب سواء بسواء « وكلم الرب موسى قائلاً احص النهب المسبب من الناس والبهايم ونصف النهب من الذين باسروا القتال الخارجين إلى الحرب ومن كل الجماعة » .

وتقول أيضاً « من يسمع لكم في هذا الأمر لأنه كنصيب النازل إلى الحرب نصيب الذى يقيم عند الأمتعة فإنهم يقتسمون بالسوية » ، وكان ذلك فصاعداً أنه جعلها فريضة وقضاء لإسرائيل إلى هذا اليوم .

مناقشة تبرير اليهود لهدم المدن

قلنا إن اليهود عند انتصارهم على أعدائهم - يهدمون مدن هؤلاء الأعداء وبينا المبررات التى أبدوها ونريد أن نرد على هذه المبررات فنقول إن قانون التوراة لهم إنما يسرى عليهم فقط ولا يسرى على الأعداء ، لأن هؤلاء إذا انتصروا على اليهود فقد لا يد مروا مدنهم ، والدليل على ذلك أن الفلسطينيين عندما انتصروا على الإسرائيليين لم يدمروا مدنهم وكذلك لم يدمر الآشوريون مدينة سامرا عند انتصارهم على الإسرائيليين بل إن كل ما فعلوه هو أنهم نقلوا بعض سكانها إلى بلد آخر وبقيت المدينة بمن فيها

(١) سفر صمويل الأول : ٢٤/٣٠

مقيمىن يزاولون أعمالهم، وعندما اتصر البابليون على اليهود لم يهدم نابوخذ ناصر مدينة يهوذا ، وإن كان قد نفي بعضاً من أهلها ، وترك البعض الآخر يقيمون فى يهوذا ودليلنا على ذلك ما جاء فى سفر عزرا ونحميا عن هؤلاء الذين بقوا فى اورشليم منذ فتح بختنصر لمملكة يهوذا .

أضف إلى ذلك أن توزيع الغنينة الذى بينته التوراة جعلته فريضة وقضاء فى إسرائيل أى أصبح واجب السير عليه وتنفيذ قواعده فى كل وقت وكل عصر فهل عمل الإسرائيليون بهذه الوصية ؟ - كلا - لأن الدولة تستولى على كل الغنائم ولا يصل إلى الشعب شىء - فأين تنفيذ الوصية - وأين رجال الدين ، وأين حفظة وصايا التوراة ؟ .

الفصل الرابع

الغنائم والأسس الدينية في نشأتها

إذا انتهت الحرب فإن أول عمل يقوم به الجيش المنتصر هو الاستيلاء على الغنائم وحصرها . ثم يبدأ في توزيعها حسب الطقوس الدينية للبلد المنتصر ، ونحن نعرف أن لليهود نظاماً ديدية خاصة تتعلق بتوزيع الغنائم يمكن تفصيلها فيما يأتي :

١ - تقول التوراة « وكلم الرب موسى قائلاً احص النهب المسبي من الناس والبهايم أنت واليعازر الكاهن ورؤوس آباء الجماعة ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة وارفع زكاة للرب من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة نفساً من كل خمسمائة من الناس والبقر والحمير والغنم من نصفهم تأخذونها وتعطونها لآل يعازر ، والكاهن رقيقة للرب ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهايم وتعطيها اللاويين الحافظين شعائر مسكن الرب » (١) .

وجاء أيضاً في التوراة « ولما سمع الكنعاني ملك عراد الساكن في الجنوب أن إسرائيل جاء في طريق أناريم حارب إسرائيل ، وسبي منهم سبياً فنذر إسرائيل نذراً للرب ، وقال إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرم مدنهم فسمع الرب لقول إسرائيل فخرمهم » (٢) .

(١) سفر العدد : ٣١ / ٤١

(٢) سفر العدد : ٣١ / ٢٠

وفي سفر يشوع « قال الرب ايشوع لا تخف ولا ترتد خذ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد إلى عاي أنظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه فقتل بعاي وملكها كما فلت بأريحا وملكها غير أن غنيمتها وبهاثما تنهبونها لأنفسكم » .

وجاء أيضاً « من يسمع لكم في هذا الأمر لأنه كصيب النازل إلى الحرب نصيب الذى يقيم عند الأمتعة فإنهم يقتسمون بالسوية ، وكان ذلك فصاعداً أنه جعلها فريضة وقضاء لإسرائيل إلى هذا اليوم ، (سفر صمويل أول: ٢٤/٣٠)

٢ - تقول التوراة « وسمع توعو ملك حماة أن داؤد ضرب كل جيش هدر لأن هدر كانت له حروب مع توعو ويده جميع آنية الذهب والفضة والنحاس هذه أيضاً قدسها الملك داؤد للرب مع الفضة والذهب الذى أخذه من كل الأمم من أدوم ، (أخبار الأيام الأول: ١٨)

وجاء أيضاً « إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة الرب ، (يشوع : ٦)

٣ - وأخذ داؤد الغنم والبقر ساقوها أمام تلك الماشية وقالوا هذه غنيمة داؤد .

٤ - ولما جاء داؤد إلى صقلع أرسل من الغنيمة إلى شيوخ يهوذا إلى أصحابه قائلاً هذه بركة من غنيمة أعداء الرب ، (صمويل أول: ٢٦/٣٠)

وجاء في سفر التثنية « كل هذه كانت مدن محصنة بأسوار شائخة وأبواب ومزايح سوى قرى الصحراء الكبيرة جداً حرمناها كما فعلنا بسميحون ملك حثيون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لسكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبناها لأنفسنا : (سفر التثنية ٣/٧) .

هـ - أكل غنيمة الأعداء :

هو أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتنمها لنفسك
وتأكل غنيمة أعدائك ، (تنزية ١٤/٢٠) .

حق الله في الغنائم

أو ما نصيب الله في الغنائم حسب الشريعة اليهودية

اعتبر الدين اليهودي أن الإله هو قائد الجيوش والمدافع عن الشعب
والمحارب . وجاء في سفر التثنية « لا تخافوا منهم لأن الرب إلهكم هو المحارب
عنكم ، .

ويقول الرب مخاطباً يشوع « مد المزرقات الذي بيدك نحو شعب عاي
لأنى بيدك أذفعا ، (أى أن الله هو المحرك لكل شيء والسبب في النصر
وليس يشوع) .

وجاء في سفر الخروج « أنا الذى أخرجتكم من مصر بيد قوية ، .

وعلى هذين النصين اعتبر اليهود أن الله حقاً في الغنائم ونصيباً عند التوزيع .
غير أن هذا الحق يذهب للكهنة واللاويين حيث أنهما يمثلان السلطة الدينية
القائمة على تصريف الأمور والحكم قبل أن تعرف لإسرائيل النظام الملكى
قبل عصر شاول .

توزيع الغنائم

كانت غنائم الحرب تقسم نصفين :

١ - نصف يوزع على الجنود ، والنصف الآخر يوزع على الشعب ،
وكما جاء في نصوص للتوراة - فإن للشعب حقا في هذه الغنائم على أساس أنه
يقوم بالحراسة أثناء انشغال الجيش في الحرب .

٢ - كان الجنود يدفعون زكاة: ١- (واحد من خمسمائة) من نصيبهم في الغنائم أى أنهم يدفعون اثنين في الألف كزكاة من هذه الغنائم التي توزع عليهم من غنائم الحرب .

أما الشعب فيدفع زكاة واحد من خمسين أى اثنين في المائة مما يحصل عليه من غنائم الحرب .

وما يدفعه الشعب من هذه الزكاة يذهب إلى الكهنة واللاويين وهذه الزكاة التي يدفعها الجنود والشعب والتي تذهب إلى الكهنة واللاويين -- تعتبر حق الله حيث إن الكهنة واللاويين هما اللذان يقومان بخدمة المعبد وهما المكلفان بالقيام بالأعمال الدينية وممارستها .

٣ - لا توزع المعادن بل تبقى دون توزيع وتذهب إلى المعبد وتودع به .

تقسيم الغنائم

وتطور نظمها

كانت الغنائم توزع حسب النظام الذي بيناه سابقاً إلى أن نشاهد أن بعض تعديلات قد أدخلت على هذا النظام كما يتبين لنا بما يأتي :

١ - إن داوود عليه السلام قد أعطى جزءاً من الغنيمة إلى الشيوخ (شيوخ لقبائل يهوذا) وقال لهم إن هذه بركة .

وعندى أن هذه البركة ما هي إلا مبالغ دفعها داوود عليه السلام لاستمالة شيوخ يهوذا حتى لا يشوروا ضده وليؤلف قلوبهم .

٢ - كانت الغنائم تذهب إلى الملك بعد نشوء الملكية وخصوصاً بعد انقسام المملكة إلى مملكتين وأصبح لا يعمل بما جاء في التوراة .

٣ - أصبحت الكهنة واللاويون لا يحصلون على جزء من الغنائم لأن الحكومة الإسرائيلية هي التي أصبحت تأخذ الغنائم وتضعها ضمن مالية الملك .

وهذا ما شاهدناه من أقوال صمويل النبي وكذلك بعد أن تولى شاول الملك سلطته ثم من بعده داوود وسليمان ومن جاءوا بعده من الملوك .

الإله وحقه في غنائم الحرب

عند الشعوب القديمة

كانت الدول في الزمن القديم تعتقد أن الإله هو قائد الجيوش وأنه حاميا وناصرها وعلى أساس هذه العقيدة خصصت له كل دولة عند انتصارها على أعدائها - جزءاً من غنائم الحرب التي تحصل عليها .

وقد طبقت بعض الدول هذا المبدأ وكانت إسرائيل من بين الدول التي طبقتة .

وستتكم عن بعض الدول التي طبقتة ليزيد الموضوع بياناً .

مؤاب :

تقع مملكة مؤاب شرق فلسطين؛ وكانت هذه المملكة كثيراً ما تقوم بحروب ضد إسرائيل ، واعتبرت إلههم كيموش هو قائدهم ، وقد كانت تخصص له جزءاً من غنائمها الحربية .

ويدلنا على ذلك ما تركه لنا ملك مؤاب المدعو ميشع في نقش له والمسمى « نقش ميشع » وفيه يصف حروبه مع إسرائيل وكيف انتصر عليهم وأنه قدس (خصص) جزءاً من غنائم الحرب للإله كيموش ، وكان التخصيص على شكل ذبح أهالي مدينة دينارمات قرباناً للإله كيموش واعترافاً بتموته ونصره إياهم على اليهود .

الاشوريون :

كان الآشوريون يحملون معهم إلههم على مركبة قتال عند خروجهم للحرب

وكان الإله يبدو بداخلها على شكل قرص مجنح وكانوا ينصبون رمزاً لإلههم
في كل مكان ينتصرون فيه على عدوهم .

كما كان كبار الضباط يعتبرون أنفسهم كهنة للإله آشور كما كانت الغنائم
تخصص له . وسيطرت هذه الفكرة عن عقول الآشوريين فاعتبروا الذي
لا يؤمن بإلههم كالكافر والشاعر على الآشوريين ويستحق بذلك أقصى
العقوبات دون رحمة حتى بلغ بهم الأمر أنهم دمروا مدينة إنيا لأنها احتقرت
إله الآشوريين .

السرقه من الغنائم

حدث أن خان بعض الإسرائيليين رؤسائهم قادة الجيش وسرقوا بعض
الغنائم فكان ذلك سبباً في انهزام الإسرائيليين أمام شعب عاي .

وتقول التوراة : د وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام فأخذ عخان
بن كرمي ابن زبدي بن زارح من سبط يهوذا من الحرام خمسي غضب الرب على
بنو إسرائيل .

فقال الرب يشوع : قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به
بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا بل وضعوا في أمتعتهم فلم يتمكن
بنو إسرائيل للشبوت أمام أعدائهم يديرون أنظارهم أمام أعدائهم لأنهم محرومون
ولا أعود أكون معكم إن لم تبيدوا الحرام من وسطكم .. ففكر يشوع في الغد
وقدس إسرائيل بأسبابه فأخذ سبط يهوذا ثم قدم قبيلة يهوذا فأخذت عشيرة
الزارحين برجائهم فأخذ زبدي فقدم بيته برحال فأخذ عجان بن كرمي بن زبدي
بن زارح من سبط يهوذا فقال يشوع لعخان يا ابني اعط الآن مجداً للرب إله
إسرائيل واعترف له وأخبرني الآن ماذا عملت لا تخف عني .

فأجاب عخان يشوع وقال حقاً إنني قد أخطأت إلى الرب إله إسرائيل

وصنعت كذا كذا رأيت في الغنيمة رداء شنغارياً نفيساً ومائتي شاقل فضة
ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً فاستيتها وأخذتها وها هي مطمورة في
الأرض في وسط خيمتي والفضة تحتها . فأرسل يشوع رسلاً فركضوا إلى
الخيمة وإذا هي مطمورة في خيمته والفضة تحتها فأخذوها من وسط الخيمة
وأتوا بها إلى يشوع وإلى جميع بني إسرائيل وبسطوها أمام الرب فأخذ
يشوع عنان بن زارح الفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره
وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادي
عنخور فقال يشوع كيف كدرتنا يكدرك الرب في هذا اليوم فرجمه جميع
إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة وأقاموا فوقه رجمة
حجارة عظيمة إلى هذا اليوم فرجع الرب عن حمو غضبه،^(١)

الفصل الخامس

أسرى الحرب

وموقف الدولة المنتصرة تجاههم

يؤدي قيام الحرب بين دولة ودولة أخرى إلى وجود أسرى من إحدى الدولتين أو منهما معاً .

هؤلاء الأسرى يصبحون تحت رحمة الدولة المنتصرة وهي تتصرف فيهم حسب ما تمليه أهواؤها أو حسب ما تقرره التقاليد والعرف السائد .

ومنذ الأزمنة القديمة حتى يومنا هذا تعدد الطرق وتختلف حسب الزمان والمكان وحسب ما تقرره الديانات والقوانين .

ويمكن أن نلخص هذه القواعد والطرق فيما يأتي :

١ - المن .

٢ - الفداء .

٣ - معاملة المثل .

٤ - البيع .

٥ - توزيع الأسرى على الجنود .

٦ - توزيع الأسرى على المعابد .

٧ - الاسترقاق (الاستعباد) .

٨ - التسخير .

٩ - القتل والذبح .

كيفية معاملة الدول للأسرى :

كانت الدول تتبع طرقاً أهمها :

١ - كان المغلوبون يباعون ليكونوا عبيداً فإذا لم يكن في بيعهم ربح ذبحوا ذبحاً في ميدان القتال وكان يحدث أحياناً أن يقدم عشر الأسرى قرباناً إلى الآلهة المتعطشة للدماء فيقتلون (١).

٢ - تقسيم جزء من الأسرى على الجنود لتشجيعهم وكان الجنود يستبقون بعضاً من الأسرى للقيام بخدمة الجنود وعائلاتهم .

أما باقى الأسرى فكان الجنود يقطعون رؤوسهم ويقدمونهم إلى الحكام مكافأتهم على عملهم ، ولذا كان ميدان القتال مجزرة لقطع أكبر عدد من رؤوس الأسرى ليحصل الجندى على مكافأة أكثر .

٣ - كان الآشوريون بمد كل نصر يذبحون أسراهم أثناء تأدية الطقوس والشعائر الدينية مما جعل النبي اليهودى يقول « ويل لمدينة الدماء » .

أما الأهالى المدنيين فكان الآشوريون أرحم بهم مما كان يتبعه اليهود نحو هؤلاء الساكنين الآمنين ، كان الآشوريون يتبعون مع المدنيين أحد طريقين :
الأول : أن تترك الأهالى وتفرض عليهم الجزية أو السخرة .

الثانى أن تهجر أهل البلاد أو جزء منهم إلى بلد آخر وإحلال آخرين محلهم وهو ما نسميه بالتهجير الجماعى ومثل هذا عمله الآشوريون عند استيلائهم على إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م .

٥ - وكانت طرق قتل الأسرى على أنواع عدة :

١ - أن يركع الأسير متجهاً بظهره إلى من أسروه ويضرب بالهراوة

(١) قصة الحضارة ص ٢٧٠ .

على رأسه وتقطع رأسه أما الأشراف فتصلم آذانهم وتجتمع أنوفهم وتقطع أيديهم وأرجلهم أو يقذف بهم إلى الأرض من أبراج عالية أو تقطع رؤوسهم أو رؤوس أبنائهم أو تسليخ جلودهم أو تشوى فوق نار هادئة^(١).

٢ - كانت ملوك سومر تعدم الأسرى وتضعهم في كومات^(٢).

معاملة الدول الأجنبية لأسرى اليهود

عندما كان اليهود ينهزمون ويصبح بعضاً منهم أسرى فإن الدول المنتصرة كانت تتخذ فيهم طرقاً متعددة لعقابهم ومن هذه الطرق .

(١) القتل . (٢) الذبح . (٣) الرمي في النار .

(٤) أن يلقى بهم أمام الوحوش المفترسة . (٥) الاسترقاق الدائم .

(٦) التسخير . (٧) حرق المدن .

إذا تتبعنا تاريخ اليهود وحروبهم مع الدول الأخرى نجد أن الدول الأجنبية عندما كانت تفتصر عليهم تعاملهم معاملة أحسن بكثير مما كانت تعاملهم به اليهود عند انتصارهم .

وليك بعض الأدلة من التوراة :

١ - لما جاء داؤد ورجاله إلى صقلع في اليوم الثالث كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصقلع وأحرقوها بالنار وسبوا النساء اللواتي فيها ولم يقتلوا أحداً لاصغيراً ولا كبيراً بل ساقوهم ومضوا في طريقهم فدخل داؤد للمدينة هو ورجاله وإذا المدينة محرقة بالنار ونساءهم وبناتهم قد سبوا .

٢ - رأينا عند معاملة الآشوريين للإسرائيليين أنهم لم يقتلوا السكان بل كانوا ينفون بعضهم ويبقون البعض الآخر في مدنهم آمنين مطمئنين .

(١) قصة الحضارة ص ٢٧٤

(٢) مصر والشرق الأدنى - حضارة العراق تأليف نجيح ميخائيل إبراهيم ص ٣٥

٣ - عندما غزا بختنصر أورشليم هجر بعضهم ونفاهم إلى بابل ولم يكونوا عبيداً بل تركهم أحراراً يشتغلون بالزراعة والتجارة حتى أن كثيراً منهم لم يقبل الرجوع إلى فلسطين وفضل البقاء في بابل حيث كونوا ثروات وأراض واسعة وهذا كله يدل على حسن معاملة الدول المنتصرة لليهود المهزومين .

٤ - عامل الفرس اليهود معاملة حسنة والدليل على ذلك أنهم سمحوا لهم بالرجوع إلى فلسطين وبناء الهيكل مرة ثانية .

٥ - عاملهم الإسكندر معاملة حسنة وتركهم أحراراً في ديارهم وطقوسهم .

٦ - عين اليونان والرومان حكماً من اليهود عليهم ، ومعنى هذا أنهم أعطوهم ما يشبه الاستقلال الذاتي (١) .

معاملة اليهود للأسرى الأجانب

اشتهر اليهود بقسوتهم في معاملة أسراهم ، وفي هذا الفصل سنبين كيف كان اليهود يعاملون أسراهم معاملة وحشية لم تعرفها البشرية سواء في الزمن القديم أو الحديث وسنأتى ببعض من نصوص التوراة التي تدل على هذه القسوة :

جاء في سفر العدد « فاجندوا (إسرائيل) على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر ، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم وسبي بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أدلاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمسأكتهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم » .

وجاء في سفر صمويل : « وأخرج « داود » الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن عمون » .

(١) صمويل أول : ٣٠

وجاء أيضاً عن هذه القسوة « وضرب داؤد المؤابيين وقاسمهم بالحبل
أضجعهم على الأرض فقاس بجبلين للقتل وبجبل كامل للاستحياء وصار
المؤابيون عبيداً لداؤد » .

وجاء في سفر الأخبار الثاني ما يأتي :

« وأما أمصيا (ملك من ملوك اليهود) فتشدد واقتاد شعبه وذهب إلى
وادي الملح وضرب من بني ساعير عشرة آلاف وعشرة آلاف أحياء سبعم
بنويهوذا وأتوا بهم إلى رأس سالع وطرحوهم عن رأس سالع فتكسروا جميعاً
وجاء في المزمور (١) : « كانت الأطفال تهشم رؤوسهم على الصخور Rocks »
وأما في حالة الصلح فإن الأجنبي يصبح عبداً مسخراً لليهودي حسب ما جاء
في سفر التثنية ٢٠ « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن
أجابتك وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير لك ويستعبد لك .
وكان شق بطون الحبالى الأسرى من أقسى الأعمال التي اتصف بها اليهود
في معاملتهم لأسراهم .

الرق عند اليهود

مصادر الرق عند اليهود متعددة ، وتعتبر الحرب من بين هذه المصادر .
وللرق علاقة كبيرة بالأسير حيث إن الرقيق والأسير مصدرهما في معظم
الأحوال هو الحرب ، والفرق بين الرقيق والأسير هو أن الرقيق قد يكون
هو الأسير الذي أبق على حياته .

والرق عند اليهود ثلاثة أنواع :

١ - رق اليهودي لليهودي .

٢ - رق اليهودي لغير اليهودي (للأجنبي)

٣ - رق غير اليهودي لليهودي .

رق اليهودى لغير اليهودى (للأجنبي)

يعتبر هذا النوع رقاً مؤبداً بمعنى أنه إذا كان هناك رقيقاً من غير اليهود وأصبح عبداً لليهودى فإن هذا العبد الأجنبي يصبح رقيقاً دائماً ولا يفك أسره أو رقه .

وكانت الحرب مصدر هذا النوع من الرق لأنها فى الغالب تكون حرباً بين اليهود وبين أعدائهم فالأسرى من الأعداء إما يقتلون وأما يقون دائماً عبيداً الى الأبد (سفر اللاويين ٢٥ / ٤٤ - ٤٧) .

قلنا إن نظام الرق مصدره الحرب فإذا ما استرق اليهودى أجنبياً فإن نسله يعتبر رقيقاً إذا كانت الأم أجنبية وأن مات والد منها يعتبر رقيقاً الى الأبد أيضاً . إذ كان نظام الرقيق عند الإسرائيليين أن يتبع الولد أمه حرة ورقاً فإن الرقيقة كان يولد رقيقاً ولو كان أبوه حراً بل لو كان أبوه السيد نفسه وإن كانت ذات رق دائم ضرب عليه الرق الدائم ويستثنى من تلك القاعدة حالة واحدة هى أن تتنازل الزوجة الشرعية لأمة زوجها عن فراشها بعقد صريح يشترط فيه أن ماتأتى به الجارية من ثمرات هذا الفراش ويكون ولد لها لا للجارية التى ولدته فى هذه الحالة يولد الولد حراً أى يتبع أمه الشرعية فى حريةها بقطع النظر عن رق أمه الطبيعية التى جاءت به ، وهذا النظام الغريب كان معمولاً به فى العصور القديمة ، وقد طبق على إسماعيل بن إبراهيم من جاريته هاجر^(١) .

وجاء فى كتاب « لارق فى الإسلام » ، ما يأتى :

أما الرقيق من غير اليهود فله شأن آخر « نقد أمر الرب أن كل محاربة انتصر فيها اليهود يكون جميع أهلها من رجال ونساء وأطفال عبيداً لليهود

(١) قصة الملكية فى العالم للدكتور على عبد الواحد زافى والدكتور حسن سعفان

يسخروهم إلى الأبد دون شرط ولا قيد^(١) .
وجاء في التثنية « إن الله حتم العبودية على أولاد كنعان ابن حام » .

الفتاة المسيية ومركزها في الشريعة اليهودية

إذا أسرت فتاة في الحرب وأراد أحد اليهود أن يتزوجها فعليه أن يتبع الطقوس الدينية المنظمة لهذا الزواج وإلا فزواجه منها يعد باطلا ، وقد بيئت التوراة هذه النصوص بقولها : « إذا خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إهلك إلى يدك وسبيت منهم سبياً ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقليم أظفارها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقع في بيتك وتبكي أباه وأمه شهرآ من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة وإن لم تسر بها فأطلقها لنفسها لاتبعها بيعاً بفضة ولا تسترقها من أجل أنك قد آذلتها^(٢) »

وتفسير هذه الآيات على وجه الإجمال هو :

أولاً : تبين هذه الآيات النظم الدينية الواجب اتباعها عند الزواج بالفتاة

المسيية غير اليهودية .

ثانياً : أن يمر شهر على الأقل من يوم سبيها وأن يكون لها هذا الشهر بمثابة وقت حداد على أبيها تبكيهما .

ثالثاً : أن تتبع الزوجة قواعد النظافة التي نص عليها الدين كحلق الشعر وتقليم الأظفار .

رابعاً : لاتعتبر الزوجة مسيية إذا طلقها زوجها فلا تباع بل تعتبر حرة .

خامساً : إذا أنجبت يزداد مركزها العائلي احتراماً وتكرماً .

(١) كتاب لارق في الإسلام تأليف إبراهيم هاشم فلالى ص ١٢

(٢) سفر التثنية لإصحاح ١٠، ٢١

سادسا : لا يمكن تطليقها إلا بعد ثلاثة أشهر من زواجها .

سابعا : يحرم على الكاهن الزواج من مسبية سواء أكانت امرأة أو فتاة .

التعاليم الإسلامية وأثرها على الفكر اليهودي

فيما يتعاق بمشكلة السبي

قلنا فيما سبق إن الرق عند اليهود نوعان :

رق مؤقت ورق دائم .

أما الرق المؤقت فهو رق اليهودي ليهودي آخر فهذا الرق لا يزيد مدته عن ست سنوات وفي السنة السابعة يحرر الرقيق اليهودي بحسب نص التوراة .

أما الرق الدائم فهو رق اليهودي لغير اليهودي وبمعنى آخر إذا كان هناك رقيق (عبد) غير يهودي ويمسكه يهودي فإن هذا العبد غير اليهودي يبقى دائماً رقيقاً أى عبداً تحت يد اليهودي طول حياته ولا يمكن للعبد أن يفك نفسه .

وظل الأمر على هذه الحال حتى أتى الإسلام بتعاليمه السمحة حيث أعطى للعبد وسائل متعددة ليحرر نفسه من العبودية ، ولقد أثرت هذه التعاليم في الشريعة اليهودية حتى رأينا بعض علماء اليهود يأخذون بمبادئ الإسلام ويضعون قواعد لفك أسر العبيد مخالفين بذلك قواعد التوراة التي أصبحت في كثير من قوانينها لا تتفق والعصور المختلفة لأن هذه التوراة التي بين أيدينا إنما هي من وضع العلماء وليست من وضع الله لأن التوراة الأصلية فقدت كما تروى التوراة الحالية ذلك .

رأى ابن ميمون :

يقول ابن ميمون فإنه يمكن للعبد أن يحرر نفسه بالمال (وهنا أخذ بنظرية الإسلام) ولكنه اختلف في باقي النظرية إذ اختلف مع غير من علماء المسلمين

فيمين يدفع المال للعبد الذي يريد أن يحرر نفسه - هل يدفع العبد المال اللازم لتحريره أو أن يدفعه له الآخرون بصفة هدية .

والظاهر أن ابن ميمون أراد أن يقف موقفاً وسطاً بين ما تقرره الشريعة اليهودية من عدم الفك وبين ما تقرره الشريعة الإسلامية التي تتيح للعبد أن يحرر نفسه بالمال .

وقف ابن ميمون موقفاً وسطاً ولم يقرر إلى أي الشريعتين يميل - هل إلى الشريعة اليهودية التي تمنع فك الأسير إذا أراد أو إلى الشريعة الإسلامية التي تعطى الأسير الحق في أن يفك نفسه من الأسر بالطرق التي بينها الشرع . وقد سلك طريقاً وسطاً حتى لا يقال عنه إنه تأثر بما تمليه الشريعة الإسلامية فيصبح هدفاً لثورة علماء اليهود ضده وحتى لا يتهم في دينه فصرح برأيه الذي هو أساسه منح حق الأسير في أن يفك نفسه بالطرق التي بينها الشرع وبذلك هدم مبدأ من المبادئ اليهودية والتي تنص بدوام فرض الرق على الأسير الأجنبي . وبذلك يعترف ابن ميمون بسمو الشريعة الإسلامية وعلو مكانتها .

موسى بن ميمون : ولد في مدينة قرطبة بالأندلس سنة ١١٣٥ م وكانت إذ ذاك تحت الحكم الإسلامي وأخذ ينتقل حتى استقر في مدينة فاس سنة ١١٥٩ م ثم انتقل سنة ١١٦٥ إلى فلسطين ثم توجه إلى الإسكندرية وظل بها وقتاً قصيراً انتقل بعدها إلى القاهرة وظل بها حتى توفي سنة ١٢٠٤ .

ويعتبر موسى بن ميمون من أشهر علماء اليهود الذين ظهرُوا في العصور الوسطى وقد انتخب رئيساً للجالية اليهودية في مصر وأصبح الخاخام الأكبر للطائفة اليهودية .

وقد ترك كتباً كثيرة تعد مرجعاً في الشريعة اليهودية (١) .

(١) انظر كتاب الربا عند اليهود تأليف السيد محمد عاشور .

يوسف كارو

يعتبر يوسف كارو من أبرز علماء اليهود والذي ما زالت كتبه في النسخة اليهودية والشريعة أساس الدراسات الدينية في الجامعات والمعاهد حتى يومنا هذا أما ما يقوله عن الفداء فإنه يقول إن فكرة عدم فداء الأسير أصبحت في الديانة اليهودية لا تتناسب وعصرنا وأن هذا القانون أصبح غير ذي موضوع وقد عفا عليه الزمن، وهو بهذا يميل إلى الأخذ بما جاء به الدين الإسلامي (١).

رق اليهودى ليهودى آخر مثله

قامت في بعض الأوقات حروب بين بعضهم البعض وقد بينا ذلك عند الكلام على الحرب الأهلية بين اليهود .
والآن نبين ما ينشأ عن هذه الحروب من وجود الأسرى والقوانين المتعلقة بموقف هؤلاء الأسرى دينياً.

قبل أن نبدأ هذا الموضوع نقول إن رق اليهودى ليهودى آخر ينشأ عن مصادر عدة أهمها : (١) الحرب (٢) الخطف (٣) عجز المدين عن الوفاء بدينه (٤) السارق الذى لا يستطيع دفع التعويض المسالى الذى يحكم عليه به لصالح المسروق منه (٥) أجاز للوالد بيع ابنته ببيع الأرقاء لمن يقبل زواجها لنفسه

(١) يوسف كارو ولد في إحدى مدن الأندلس سنة ١٤٨٨ م وسافر وهو طفل مع أبيه وعائلته إلى تركيا هرباً من اضطهاد المسيحيين في الأندلس وتعلم أثناء إقامته في تركيا الشريعة اليهودية رتفقه فيها وأصبح من كبار علماءها حتى أنه انتخب ضمن أربعة علماء من بين خمسة وعشرين عالماً يهودياً وهذا يشهد له بما كان عليه من سعة اطلاع .

وقد ترك للشريعة اليهودية مؤلفاً يعد من أهم المراجع التي يعتمد عليها علماء الشريعة حتى عصرنا هذا وهذا المؤلف اسمه شلعان عروج .

أو لأحد أبنائه (٦) أجازت التوراة للإسرائيليين أن يبيع نفسه بيعاً اختيارياً لأخيه (أي لإسرائيلي آخر) فيصبح رقيقاً له ويحب أن يكون رجلاً لا امرأة لكل هذه الأنواع من الرق كان رقاً مؤقتاً ينتهي في وقت معلوم (١) ما عدا الرق الناشئ عن حرب اليهود ليهود آخرين فإن هذا محرم عندهم دينياً يقول الدكتور على عبدالواحد وافي وأما حروبهم بعضهم مع بعض فقد حرمت عليهم كتبهم المقدسة استرقاق من يؤسرون فيها أو من يغلبون من بني إسرائيل (٢) ولكن يبدو من شواهد تاريخية كثيرة أنهم كانوا أحياناً يخالفون هذه الوصايا ويعاملون الإسرائيليين أسير الحرب الداخلية معاملة الأسير غير الإسرائيليين فيضربون الرق عليه .

وقد قام أحد الأنبياء اليهود يعاتبهم على مخالفتهم لوصايا التوراة واتي تحرم الحرب بينهم وأخذ أسرى منهم ومن بينهم، فتقول التوراة بشأن ذلك ما يأتي:

قامت الحرب بين ملك يهوذا المدعو آحاز وبين ملك إسرائيل المدعو فقع بن رمليا وحدث سبي من كلتا الدولتين وكان هذا محرماً وأن السبي عمل يأثمون عليه اليهود أمام الله — وتصف التوراة هذه الحرب فتقول: وقتل فقع بن رمليا ملك إسرائيل في يهوذا مئة وعشرين ألفاً في يوم واحد الجميع بنو بأس وسبي بنو إسرائيل من إخوانهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات ونهبوا أيضاً منهم غنيمة وافرة وأتوا بالغنيمة إلى السامرة (عاصمة إسرائيل) وكان هناك نبي للرب اسمه إعويد فخرج للقاء الجيش الآتي إلى السامرة وقال لهم هوذا من أجل غضب الرب إله آبائكم على يهوذا قد دفعهم ليديكم وقد قتلتهم وبغضب بلغ السماء والآن أتمم عازمون على إخضاع بني يهوذا وأورشليم

(١) انظر في ذلك كتابي الربا عند اليهود ومركز المرأة في الشريعة اليهودية

تأليف السيد محمد عاشور .

(٢) قصة المكية للدكتور على عبد الواحد وافي وآخرين .

عبيداً وإماماً لكم أما عندكم أتم آثام للرب إليكم والآن اسمعوا لي وردوا السبي الذي سيئتموه من إخوتكم لأن حو غضب الرب عليكم ثم قام رجال من رؤوس بني أفرايم عزرنان بن يوحانان ويريخيا بن شليموث وعماسا ابن جدلاي المقبلين من الحرب وقالوا لهم لا تدخلوا بالسبي إلى هنا لأن علينا إثمنا للرب وأتم عازمون أن تزيدوا على خطايانا وعلى إثمنا لأن لنا إثمنا كبيراً وعلى إسرائيل حو غضب فتحرك المتجددون السبي والنهب أمام الرؤساء وكل الجماعة ، وقام الرجال المعينة أسماؤهم وأخذوا المسييين وألبسوا كل عراتهم من الغنيمة وكسومهم وأخذوهم وأطعموهم وأسقوهم ودهنوهم وحملوا على حمير جميع المعيين منهم وأتوا بهم إلى أريحا مدينة النخل إلى إخوتهم ثم رجعوا إلى السامرة (١) .

القرآن الكريم يندد بأفعال اليهود تجاه هذا النوع من الرق

ينعى القرآن الكريم على اليهود إتيانهم هذا النوع من الرق ويذكرهم بأنه محرم عليهم ويخبرهم بأن التوراة تأتي هذا النوع من الاسترقاق . يقول الله تعالى في كتابه الكريم : « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أتتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوك أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم لإخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ، (٢) .

(١) سفر الأخبار الثاني ٩/٢٨ .

(٢) القرآن الكريم سورة البقرة الآيات ٨٤ و ٨٥

وقد فسر الإمام القرطبي هاتين الآيتين بقوله : « تسفكون دماءكم ، المراد بيا بنو إسرائيل — وهل يسفك أحد دمه ويخرج نفسه من داره قيل له لما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحد وكان في الأمم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضاً وإخراج بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ونفياً لها .

وإنما كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة ميثاقاً ألا يقتل بعضهم بعضاً ولا ينفيه ولا يسترقه (١) .

(١) تفسير القرطبي .

الباب الثالث عشر

انهزام اليهود

الفصل الأول

الانتحار

وموقف الشريعة اليهودية منه

الانتحار محرم في الشريعة اليهودية حيث أن النفس لها حرمتها وتبذل كل جهدها لأن تحافظ على الإنسان حياً وميتاً حتى إن الشريعة حرمت على الطب تشريح جسم الميت أو العبث به ، والمنتحر في رأى الشريعة اليهودية لا يدخل تحت رحمه الله ، ومن مظاهر هذا العقاب :

١ -- لا يدخل المنتحر زمرة الرب .

٢ -- لا يدفن في مدافن اليهود .

٣ -- لا يدفن إلا بعد غروب الشمس .

وسنحاول شرح ذلك بالتفصيل :

منعت الشريعة اليهودية دفن المنتحر في مقابر اليهود ، وهذه المقابر تكون في العادة داخل المدينة ، وقالت الشريعة بأنه يجب دفنه خارج المدينة .

كما أنه لن تقام له الصلوات ولا الطقوس الدينية التي تقام للميت . فمثلاً لا يقرأ له القاديش .

وقد أتى بعض رجال الدين أنه يصح دفن المنتحر في مقبرة بعيدة عن مقابر العائلة .

ويرى فريق آخر أنه يمكن دفن المنتحر في مقبرة خاصة في جهة خاصة .
ولكن الرأيين الأخيرين ليسا من التوراة في شيء وإنما هو تطور واجتهاد فقط .

والحقيقة هي أن الديانة اليهودية تلفظ المنتحر من الجماعة اليهودية .

تقول التوراة : « ثم ذهب أيبالك ^(١) إلى تاباص ونزل في تاباص واحد .
فجاء أيبالك إلى البرج وحاربه واقرب إلى باب البرج ليحرقه بالنار فطرحت
امرأة قطعة رحي على رأس أيبالك فشجت جمجمته فدعا حالا الغلام حامل
عدته وقال له اخترط سيفك واقتلني لئلا يقولوا عنى قتلت امرأه فطعنه
الغلام فمات ، ^(٢) .

وجاء عن انتحار شاول ما يأتي :

تقول التوراة : وحارب الفلسطينيين إسرائيل فهرب رجال إسرائيل
من أمام الفلسطينيين وسقطوا على جبل جلبوع فشد الفلسطينيون وراء شاول
وبنيه وضرب الفلسطينيين يونانان واينباداب ومكليسوغ أبناء شاول واشتدت
الحرب على شاول فأصابه الرماة ورجال القسي فانسرح جداً من الرماة . فقال
شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعنى به لتلا يأتى هؤلاء الغلاف
ويطعنون وتقبحونى فلم يبتأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً . فأخذ شاول
السيف وسقط عليه ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً

(١) أيبالك أحد القضاة حكم إسرائيل بعد موسى بحوالى مائة سنة .

(٢) سفر القضاة : ٥ ، ٩ .

على سيفه ومات معه . فات شاؤل وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم ، (١) .

ولما سمع سكان يابيش جلعاد بما فعل الفلسطينيون بشاؤل قام كل ذى بأس وساروا الليل كله وأخذوا جسد شاؤل وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاؤا بها إلى يابيش وأحرقوها هناك وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة في يابيش .

٣ - انتحار اخيتوفل:

عندما قامت الحرب بين اذلك داؤد وبين أبشالوم ابنه بالسبب الحكم والحصول على السلطة - كان اخيتوفل مستشاراً لأبشالوم وقائداً لجيشه وقد أشار على أبشالوم ببعض الآراء لكن أبشالوم لم يأخذ برأيه واستمع إلى رأى بعض الشيوخ - وكان نتيجة ذلك انهزام جيش أبشالوم وقتله .

أما اخيتوفل فلما رأى أن أبشالوم لم يستمع إلى آرائه وكان نتيجة ذلك انهزامه وقتله قام اخيتوفل بقتل نفسه وانتحر .

تقول التوراة « وأما اخيتوفل فلما رأى أن مشورته لم يعمل بها شد على الحمار وقام وانطلق إلى بيته إلى مدينته وأوصى لبيته وخنق نفسه ومات ودفن في قبر أبيه ، (٢) .

ثانياً - زمان الدفن:

تقضى الشريعة اليهودية بأن يدفن الميت في أسرع وقت ممكن . وأنه يجب ألا تمر بضع ساعات على موته حتى يدفن .

(١) سفر صمويل أول : ١٧/١

(٢) سفر صمويل الثاني ١٧/٢٣

أما دفن المنتحر فله نظام خاص إذ قضت الشريعة ألا يدفن إلا بعد غروب الشمس فلو انتحر وظهر أنه منتحر في الساعة السابعة صباحاً فلا يدفن إلا بعد غروب شمس هذا اليوم ولا داعي للاستجعال لدفنه بخلاف الميت العادي فإنه لو توفي في الساعة السابعة فلن يتأخر حتى لا يكون مخالفاً للشريعة اليهودية .

هل اتبع اليهود شريعتهم :

إذا نظرنا إلى كثير من كبار قادتهم الذين انتحروا نجد :

- ١ - إما أن جثثهم حرقت وهذا يخالف الديانة اليهودية .
- ٢ - أو أن جثثهم تدفن في قبور آبائهم كما حدث في أختيفول وهذا أيضاً يخالف الشريعة اليهودية .

وكان الواجب حسب الشريعة اليهودية أن يدفن شاول وأبيالك وأختيفول خارج قبور اليهود حيث يعتبرون بانتحارهم قد خرجوا عن تعاليم الشريعة اليهودية .

وصيتي إلى موسى ديان

قائد الجيش الإسرائيلي

بيننا كيف أن بعض قادة إسرائيل كانوا ينتحرون عند انهزامهم في الحروب واليوم نقول لموسى ديان بعد انهزامه في حرب سنة ١٩٧٣ على يد الجيش المصرى الباسل .

ما هو مرقفك من الهزيمة - المفروض عملاً بما عمله أجدادك أن تنتحر كما انتحروا - لقد انتحر أبيالك وشاول وأختيفول :

(١) دائرة المعارف البرية : تحت كلمة الدفن .

وإذا عملت بسنتهم واتجرت فستدفن خارج أسوار إسرائيل وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وإن يقرأ عليك القديس (١) ، فتخسر رحمة
الله عليك كما يعتقد رجال الدين اليهود .
أرجو أن تنفذ وصايا سلفك فتكون من المنتحرين بعد أن أصبحت
من المندحرين .

(١) القديس : عبارة عن بعض فقرات تقرأ على الميت قبل دفنه وبعد دفنه
وكذلك تقرأ عليه يومياً في الأسبوع الأول عقب الموت وهو يشبه الفاتحة
وصلاة الجنازة عند المسلمين .
والقديس أنواع وبه ألفاظ آرامية مما يدل على تأثير اللغة الآرامية على
اللغة العبرية .

الباب الرابع عشر

الفصل الأول

الحرب الأهلية في إسرائيل

لم يقتصر اليهود على شن الحرب بينهم وبين الدول الأخرى المجاورة لهم مدعين أن التوراة أوصتهم بشن هذه الحروب ولكنهم قاموا بشن الحروب على بعضهم البعض مخالفين بذلك وصايا التوراة إذ قامت الحروب بين قبائلهم وبين بعضهم البعض كما قامت بين دولتي اليهود وبين بعضهما البعض .

وفي كل هذه الحروب كانت هناك أسرى وغنائم وعقد معاهدات مع دول أجنبية لمساعدة إحداهما ضد الدولة اليهودية الأخرى .

وسنفضل بعض ما أجملناه فنقول إن حرباً وقعت بين قبيلة بنيامين وبين القبائل اليهودية الأخرى ذلك أن بني بنيامين اجتمعوا لمحاربة قبائل الإسرائيليين الأخرى وسقط من بني بنيامين خمسة وعشرون ألف رجل مخترطى السيف في ذلك اليوم بعد أن ضربهم باقي الإسرائيليين بحمد السيف وأسروا الباقي وأحرقوا المدن بالنار (سفر القضاة : ٢٠) .

وقامت الحرب مرة ثانية بين الملك داود وبين شاول كما قامت الحرب بين داود وبين ابته أشالوم وقد دونت التوراة تلك الحرب التي دارت بين داود وابنه فقالت : وأحصى داود الشعب الذي معه وجعل عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات وأوصى الملك يواب وأيشاي واتاي قائلاً : ترفقوا لي بالنبي أشالوم .

وكان القتال هناك منتشرأ على وجه كل الأرض وزاد الذين أكلهم
الوعر من الشعب على الذين أكلهم السيف في ذلك اليوم .

وصادف أبشالوم عبيد داؤد وكان أبشالوم راكباً على بغل فدخل البغل
تحت أغصان البطمة العظيمة الملتفة فتعلق رأسه بالبطمة وعلق بين السماء
والأرض والبغل الذي تحته مر . وأحاط به عشرة غلمان حاملو سلاح
يوآب وضربوا أبشالوم وأماتوه،^(١) .

وقامت الحرب بين دواتي اليهود فكانت حرب بين دولة إسرائيل
في الشمال وبين دولة يهوذا في الجنوب فقد أعان ملك يهوذا الحرب على الملك
بعشا ملك إسرائيل وصعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكي
لا يدع أحداً يخرج أو يدخل إلى آسا ملك يهوذا وأخذ آسا جميع الفضة
والذهب الباقية في خزائن بيت الملك ودفعا ليد عبيده وأرسلهم الملك آسا
إلى بنهدد ملك آرام الساكن في دمشق^(٢) .

(١) سفر صمويل ثمان : ١٨

(٢) سفر الملوك الأول : ١٥

الفصل الثاني

الانقلابات العسكرية في التاريخ اليهودي

كان بعض القادة في إسرائيل كثيراً ما يقومون بثورات ضد حكوماتهم للاستيلاء على الحكم وتكرار ذلك في أزمته مختلفة ومن هنا تشاهد أن معظم حكومات إسرائيل كانت حكومات عسكرية نشأت عن انقلابات .
كان كل قائد يأنس في نفسه القوة يعتمد إلى الثورة على الحكام ويستولى على السلطة وينصب نفسه حاكماً .

والتوراة حافلة بكثير من هذه القصص الخاصة بوصف هذه الانقلابات العسكرية .

وقد اخترنا بعض هذه الانقلابات على سبيل المثال لا الحصر
وانتي أهمها :

١ - ثورة يريعام : كان يريعام بن نباط افرامى من صرورة عيد سليمان الملك واسم أمه صرورة وهي امرأة أرملة رفع يده على الملك وكان يريعام جبار بأس - وقف يريعام ضد الملك سليمان فطلب سليمان قتله فهرب إلى مصر إلى الملك شيشنق ملك مصر وبقى فيها حتى وفاة سليمان ثم رجع إلى يهوذا في فلسطين وثار ضد رحبعام خليفة سليمان .

وكان من نتيجة الثورة أن انقسمت مملكة سليمان إلى مملكتين مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها سامراء ومملكتها يريعام الذي كان قد هرب إلى مصر .
والمملكة الثانية هي يهوذا وعاصمتها اورشليم^(١)، ومملكتها رحبعام بن سليمان .

(١) سفر الملوك أول : ١١/٢٣

٢ - ثورة زمري :

في السنة السادسة والعشرين لاساملك يهوذا ملك إبلة بن بعشاعل إسرائيل في ترصة سنتين فقتن عليه عبده زمري رئيس نصف المركبات وهو في ترصة يشرب ويسكر في بيت أرسا الذي على البيت في ترصه فدخل زمري وضربه فقتله .

٣ - ثورة عمري :

قام عمري - وكان رئيس الجيش - بثورة ضد الملك وانقسم الشعب بين مؤيد ومعارض إلى أن تغلب رأى الفريق المؤيد لعمري وأصبح ملكا .

٤ - ثورة ياهو :

كان ياهو قائد جيش الملك آخاب بن عمري وثار ضده ياهو رئيس جيشه واستولى على الملك بعد أن قتل الملك آخاب وأمه إيزابلا .
كان آخاب عبداً لبعل (الأوثان) وانحرف عن عبادة الله وتبعه أناس كثيرون وأصبح له أتباع مخلصين له .

وجد ياهو بعد استيلائه على الملك أن أتباع الملك آخاب لن ينسوا الملك آخاب وقد يشورون انتقاماً له فلجأ ياهو إلى حيلة هي غاية في المكر والدهاء للقضاء على أتباع آخاب تلك الحيلة تشبه ما اتبعه والى مصر في القضاء على المماليك تظاهر ياهو بأنه يعبد البعل كما كان يفعل الملك السابق وأنه يريد أن يقيم لهم حفلا بهذه المناسبة .

اتفق مع أحد جنوده على الطريقة التي يطبخ برؤس هؤلاء الأتباع ، جمع ياهو كل الشعب وقال لهم : إن آخاب قد عبد البعل قايلا وأما ياهو فإنه يعبده كثيرا والآن فادعوا إلى جميع أنبياء البعل وكل عابديه وكل كهنته لا يفقد أحد لأن لي ذبيحة عظيمة للبعل - كل من فقد لا يعيش وقد فعل ياهو بمكر لسكى

يفنى عبدة البعل وقال ياهو قدسوا اعتكافا للبعل فتنادوا به وأرسل ياهو في كل
إسرائيل فأتى جميع عبدة البعل ولم يبق أحد إلا أتى ودخلوا بيت البعل فامتأوا
بيت البعل من جانب إلى جانب فقال للذي على الملابس أخرج ملابس لكل
عبدة البعل فأخرج لهم ملابس ودخل ياهو ويوناداب بن ركاب إلى بيت البعل
فقال لعبدة البعل تثشوا وانظروا لثلا يكون معكم ههنا أحد من عبيد الرب
ولكن عبدة البعل وحدهم ودخلوا ليقتربوا ذبائح ومخرقات وأما ياهو فأقام
خارجا ثمانين رجلا وقال الرجل الذي ينحو من الرجال الذين أتيت بهم إلى
أيديكم تكون أنفسكم بدل نفسه ولما اتهموا من تقريب المحرقة قال ياهو للسعاة
والثوالم ادخلوا اضربوهم . لا يخرج أحد فضربوهم بحد السيف وطرحهم
السعاة والثوالم وساروا إلى مدينة بيت البعل وأخرجوا تماثيل بيت البعل
وأحرقوها .

الباب الخامس عشر

قانون العودة - نداء العودة

يقصد بهذا القانون طالب الحكومة الإسرائيلية من يهود العالم الساكنين في دول غير إسرائيل الرجوع إليها والسكن فيها .

وقد صدر هذا القانون عن الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) عام ١٩٥٠ وخضع لتعديل لاحق في أغسطس سنة ١٩٥٤ وهو ينطلق من الافتراض الصهيوني المبدئي بأن التزام اليهودي بالتعيش في إسرائيل يعلو أى التزام آخر وأن كل يهودي يعيش خارج إسرائيل لم يحقق مثاليته وأن الهجرة إلى إسرائيل ستقضى على التشتت وتحقق وحدة الشعب اليهودي .

ولم يأت هذا القانون بالفائدة المرجوة فلم يهاجر إليها العدد الذى كان يؤمل منه حين صدر هذا القانون وكان ذلك داعياً إلى تعديل هذا القانون فأصبح لا يشترط الإقامة في إسرائيل بل يكتفى بأن يعرب المهاجر عن نيته في الاستقرار في إسرائيل (١) .

وقد ظهرت عدة قوانين للعودة قبل قانون سنة ١٩٥٠ نذكر منها :

١ - نداء إلى الشعب اليهودي وهذا النداء أطلق عليه التحرير الذاتى

Autoemancipation .

وقد أصدر الدكتور ليوبنسكر هذا النداء سنة ١٨٨٢ م في برلين باللغة الألمانية وشرح في هذا النداء بقوة إقناع عظيمة المأساة الاقتصادية والروحية

(١) المرسوعة ص ٢٨٦ .

المزدوجة وألا أمل في تحرير اليهود إلا بمحشد اليهود في وطن خاص لهم
أينما كانوا وأن العلاج الوحيد هو إيجاد وطن واحد لجميع اليهود (١).

ولم يصغ من اليهود لهذا النداء غير يهود روسيا وقام بعضهم بحركة أطلق
عليها « بيلو » .

٢ - بيلو : جماعة يهودية سميت بهذا الاسم وهو اختصار يا آل بيت
يعقوب هلم نسير « بيت يعقوب لخو ونلخو » واتجه بعض هذه الجماعة إلى
فلسطين وسكنوا مدينة يافا وأسسوا مدرسة للزراعة .

٣ - جماعة محبي صهيون وقد قامت هذه الجماعة أيضاً استجابة
لنداء بنسكر (٢) .

٤ - المؤتمرات الصهيونية التي قامت منذ سنة ١٨٩٧ والتي دعت إلى
الرجوع إلى فلسطين وكان من ضمن مقرراتها ونشراتها النداءات المتعددة ببحث
اليهود والمشتتين في بقاع الأرض للرجوع إلى أرض فلسطين ومن هنا نجد

(١) كتاب مائة سنة من تاريخ اليهود (١٨٤٠ - ١٩٣٩) تأليف مينخايل
أساف ص ٧٦ .

(٢) بنسكر : اسمه ليويهودا بنسكر طبيب روسي صهيوني ولد سنة ١٨٢١
كان زعيماً لجماعة محبي صهيون تعلم في مدارس روسية وقال لإجازة الحقوق ثم الطب
وأخذ يدعو إلى وطن قومي لليهود ويعترف بأن اليهود عنصر قومي غريب يعيش
بين الأمم التي تستعصم وقد كان يرى أن اليهود يمكن أن يعيشوا في أي وطن
خاص بهم غير فلسطين إلا أنه غير رأيه وطالب بفلسطين تحت تأثير الزعيم
الصهيوني ليلينلوم وتوفي سنة ١٨٩١ .

وانظر أيضاً مذكرات الدكتور رشاد الشامي التي ألقاها على طلبة السنة
الثالثة - كلية الآداب قسم اللغة العبرية - جامعة عين شمس .

أن النداء لرجوع اليهود إلى فلسطين أخذ يظهر منذ القرن التاسع عشر الميلادي .

هل هذا النداء يرجع إلى التوراة : لقد جاء في التوراة مثل هذا النداء وجاء فيه على لسان أنبيائها وزعمائها ويتبين ذلك بما يأتي . . جاء في التوراة : فقام عزرا واستحلف رؤساء السكينة واللاويين وكل إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا ثم قام عزرا من أمام بيت الله وذهب إلى مخدع وهو حانان بن الياشيب فانطلق إلى هناك وهو لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء لأنه كان ينوح بسبب خيانة أهل السبي وأطلقوا نداء في يهوذا وأورشليم إلى جميع بني السبي لكي يجتمعوا إلى أورشليم وكل من لا يأتي في ثلاثة أيام حسب مشورة الرؤساء والشيوخ يحرم كل ماله وهو يفرز من جماعة أهل السبي (١) .

هذا النداء صدر من زعيم يهودي كان في السبي البابلي ثم رجع إلى فلسطين ونادى برجوع اليهود الذين في الشتات إلى أورشليم إنما يشبه قانون العودة الذي صدر في سنة ١٩٥٠ ميلادية والذي يقضى بأن التزام اليهودي بالعيش في إسرائيل يعلو على أي التزام آخر وأن كل يهودي يعيش في خارج إسرائيل لم يحقق مثاليته وأن الهجرة إلى إسرائيل ستقضى على التشتت وتحقق وحدة الشعب اليهودي .

وقد أدخل تعديل على هذا القانون وهو تعريف من هو اليهودي إلى أن اتفق على أن اليهودي « هو المولود من أم يهودية » أو « لمنتهى للدين اليهودي والذي ليس على دين آخر والغرض من هذا التعديل هو تسهيل طريق العودة إلى فلسطين .

وإذا قارنا قانون العودة الذي صدر حديثا في إسرائيل بقانون العودة

(١) سفر عزرا اصحاح ١٠/٥

الذى أصدره عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد نجد تشابها تاما بينهما إذ ينادى كل منهما اليهود بالرجوع إلى أورشليم كما أن كثيراً من اليهود المشتتين لم يستمع إلى النداء بل بقوا في الشتات لمصلحتهم الخاصة إلى أن هناك بعض الاختلافات التي تتركز في :

أولاً : إن نداء عزرا بالعودة أعطى مهلة ثلاثة أيام للعودة بينما نرى أن قانون العودة الصادر سنة ١٩٥٠ م لم يشترط أية مدة للرجوع .

ثانياً : إن قانون عزرا عاقب كل من لا يرجع إلى أورشليم بعقوبات عدة مثل تحريم ماله (أى مصادرتها) واعتباره خارجاً على الدين اليهودى .

بينما نرى قانون العودة الصادر سنة ١٩٥٠ يكتفى بأن من لا يرجع إلى إسرائيل فإنه يكتفى منه بأن يعرب المهاجر عن نيته في الاستقرار في إسرائيل^(١) وإن لم يكن قد هاجر فعلاً .

ثالثاً : إن قانون عزرا لم يدخله تعديلات بينما نرى قانون العودة الصادر سنة ١٩٥٠ عدل مرارا مثل تعديل سنة ١٩٥٤

رابعاً : لم يبين لنا عزرا من هو اليهودى إذا اعتبر عزرا أن اليهود المشتتين هم يهودا وكفى بينما نرى قانون العودة الصادر سنة ١٩٥٠ ميلادية يحدد من هو اليهودى .

التمسك بالأراضي المحتلة

يعتقد اليهود اعتقاداً راسخاً بوجود التمسك بكل الأراضي التي يستولى عليها الجيش اليهودى سواء أكان هذا الاستيلاء بالقوة أو بالانصباب .

(١) الموسوعة ٢٨٩

ويرجع هذا الاعتقاد إلى أسباب عدة :

(١) التوراة .

(٢) التلود .

(٣) أقوال الرعاء ورجال الدين اليهود .

فالتوراة تحت اليهود على التمسك بكل شبر يستولون عليه ، كما تأمرهم بطرد السكان الأصليين من أراضيهم .

وتقول التوراة في هذا الصدد ما يأتي :

« وكلم الرب موسى في عربات مؤاب على أردن أريحا قائلاً :

« كلم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون كل تصاويرهم وتبيدون أصنامهم المسبوكة وتخربون كل مرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم » (١) .

وجاء أيضاً « لاتقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطيء إلى إذا عبت آلهتهم فإنه يكون لك نكأ » (٢) .

وجاء أيضاً في التوراة « كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تحكم . لا يقف إنسان في وجهكم الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها

(١) سفر العدد ٢٣/٥٠

(٢) سفر الخروج ٣٣، ٣٢

كما كلمكم ، (١) .

وجاء أيضاً ، ان يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لأبائكم ماعدا كالب بن يفنة هو يراها وله أعطى الأرض التي وطئها ولبنيه لأنه قد اتبع الرب تماما . (٢) .

وجاء أيضاً ، فخلف موسى في ذلك اليوم قائلاً إن الأرض التي وطئتها رجلك لك تكون نصيباً ولأولادك إلى الأبد لأنك اتبعت الرب إلهي تماما . (٣)

وجاء أيضاً ، وكان بعد موت موسى عند الرب أن الرب كلم يشوع ابن نون خادم موسى قائلاً ، موسى عبدى قد مات ، فالآن قم اعبّر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أى لبني إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيتها كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تحكمكم ، (٤) .

وجاء أيضاً ، إحذر من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض ، (٥) لا تقطع لهم عهداً .

وجاء أيضاً ، وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكا وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلاً ، (٦) .

(١) سفر التثنية ١

(١) سفر التثنية ٢٢/١١

(٤) سفر يشوع ٣/١

(٢) سفر يشوع ٩/١٤

(١) سفر الخروج ٣/٢٣

(د) سفر الخروج ١٥/٢٤

استمرار عقيدة تملك الأراضي بالقوة في العصور الحديثة

استمرت هذه العقيدة لدى اليهود من الزمن القديم حتى يومنا هذا يغذيها أقوال الزعماء وتنميتها القوانين التي أصدرتها حكومة إسرائيل بعد استيلائها غصباً على أراضي العرب وممتلكاتهم .

وسنبداً بأقوال أحد زعماء اليهود وهو « بن جوريون » ، إذ يقول « سنتمسك بكل ما تحتله الآن »

ويقول أيضاً « إن البلدان التي لم يستطع يوشع أن يحررها حررها الجيش الإسرائيلي في أيامنا هذه » .

أما القوانين الحالية التي صدرت لتبرير استمرار التمسك بأراضي العرب المحتملة فهي كما يأتي :

فسكرة الأرض في العصور الحديثة :

١ - يرى الصهيونيون أن أرض فلسطين مقدسة وأنها أفضل من غيرها من أراضي العالم فهم يرون أن ثمار هذه الأرض أفضل من ثمار سائر الأراضي ومجرد سكانها يوفر فرصاً للخلاص تكاد تكون قدسية .

٢ - يرى علماء اليهود أنه « حيثما دفن يهودي وضعت في قبره أو في تابوته حفنة من غبار الأرض المقدسة أو رابها » .

٣ - جاء في آراء رجال الشريعة اليهودية في العصور الوسطى نص على أن أرض إسرائيل لا يمكن أن تغدو ملكاً للأجانب .

٤ - القوانين الحديثة التي تصدرها إسرائيل لطرده العرب من أراضيها :

(أ) صرحت جولدا مائير وزبيرة خارجية إسرائيل سنة ١٩٥٢ عندما

أثيرت قضية اللاجئين بقولها « إن إسرائيل على استعداد لأن تدفع تعويضات العرب الذين مازالوا يقيمون فيها حتى يرحلوا عنها » .

(ب) تقول السلطات الإسرائيلية إنها مستعدة دائماً لتقديم التسهيلات اللازمة لتهجير السكان العرب .

(ج) قوانين الحاكم العسكري :

قال الحاكم العسكري الإسرائيلي : « إن هناك مناطق معينة تعتبر (مناطق مغلقة) وكانت هناك قيود خاصة تعلن بهذه المناطق المغلقة مثل الانتقال منها وإليها . ولما كانت هذه الأراضي يسكنها العرب فإن هذا القانون يعتبر فعلاً مطبقاً على العرب ومعنى هذا تقييد حرية العرب في الانتقال وهذا هو الضغط على حريتهم، وكان ذلك يؤدي إلى ترك الكثير منهم أراضيهم » .

وتعلق جريدة معاريف على معنى « منطقة مغلقة » بما يأتي :

يقول ضابط مخبرات إسرائيلي يدعى سيجف : « إن إغلاق منطقة يعني إعدامها للاستيطان اليهودي الذي أصبح أكثر إلحاحاً مع ازدياد أمواج الهجرة » .

(د) قانون أملاك الغائبين :

صدر هذا القانون سنة ١٩٥٠ ويقضى هذا القانون بأن تحول أملاك العرب إلى القيم على أملاك الغائبين ، تمهيداً لمصادرتها لحساب الدولة ويبدو أن المقصود بهذا القانون أملاك هؤلاء الذين تركوا فلسطين إلى خارجها قبل أو أثناء أو بعد الأعمال الحربية التي جرت خلال عام ١٩٤٨ .

ولما كان بعض العرب هم الذين تركوا فلسطين فإن هذا القانون يطبق على أملاك هؤلاء العرب .

(هـ) قانون استملاك الأراضي :

يطبق هذا القانون على كل أرض تحتاجها الحكومة أو السلطات البلدية (١٧- التوراة)

أو المؤسسات العامة الأخرى وتريد امتلاكها وقد استغلت جميع الصلاحيات التي تمنحها تلك القوانين للسلطات وحوالت ملكية الأراضي التي كان بالإمكان مصادرتها إلى ملكية الدولة .

(و) احتكار بيع وشراء المنتجات الزراعية :

حظرت السلطات اليهودية على العرب التصرف بمحصولاتهم الزراعية وحثت عليهم تقديمها لشركة يهودية عينتها لهم وهذه الشركة تستولى على الكمية التي تريدها من المحصول وما يزيد عن حاجتها في أغلب الأحيان هو دون احتياجات الأهالي الضرورية أما السعر الذي تدفعه فهو بالتأكيد أدنى من سعر المحصولات اليهودية بكثير وغالياً أقل من تكلفة الانتاج ومثل ذلك ما حدث سنة ١٩٥٤ حين تكاف طن الزيتون المنتج العربي ١١٠٠ ليرة لإسرائيل وسكنه أرغم على بيعه للمشتري اليهودي بمبلغ ٧٠٠ ليرة فقط (١) .

ونتيجة لهذا الاحتكار خسر الفلاح العربي واضطر إلى بيع أرضه للإسرائيليين أو قيل أن يشتغل عاملاً أو أجيراً بها .

(ز) قانون تقادم الزمن :

صدر هذا القانون سنة ١٩٥٨ ويقضى بأن من يدعى ملكية أرض غير مسجلة في دائرة المساحة عليه أن يبرهن أنه يسيطر على هذه الأرض ويفلحها منذ خمسين سنة متتالية .

ولما كان عدد كبير من الفلاحين العرب قد طوروا (أصلحوا) خلال فترة طويلة وبجهود كبيرة مساحات واسعة من الأراضي لكن هذه الأراضي لم تسجل بأسمائهم لأنه لم تجر عملية تسجيل في مناطقهم أيام الانتداب البريطاني لذا فقد حرّمهم القانون المذكور من هذه الأراضي .

(١) مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - الموسم الثقافي سنة ٧٢ ص ٩٧٢ .

(ح) قانون الأحراش :

توجد مساحات كبيرة بها أحراش وغابات كان العرب يستعملونها لرعى أغنامهم وقطع الأخشاب اللازمة لهم إلا أن السلطات الإسرائيلية أعلنت أن هذه الأحراش تعتبر مناطق حكومية يجب المحافظة عليها حسب قانون الأحراش .

ومعنى هذا منع دخول هذه المناطق أى استيلاء الحكومة الإسرائيلية عليها تم تحويلها إلى أراضى زراعية أو سكنية للمهاجرين الإسرائيليين وطرد العرب منها .

الباب السادس عشر

الأسماء العبرية

كان للأسماء في الحضارات القديمة دلالة خاصة، إلا أن الاسم كان في بعض الأحيان يتغير باسم آخر حينما يدخل مرحلة جديدة من حياته .

والتغيير في الاسم كثير الحدوث عند الإسرائيليين نتيجة ظروف خاصة بعضها ديني وبعضها سياسي أو اجتماعي؛ وإليك بعض الأمثلة :

- ١ - إبراهيم كان اسمه ابرام وتغير بعد ذلك إلى ابراهام وإبراهيم .
- ٢ - يعقوب تحول إلى بسراييل .
- ٣ - ماركو كيا تحول إلى بر كوزبا .

وقد روى في التوراة نصوص تدلنا على تغيير أسماء بعض رجال يهوذا .
تقول التوراة : « ودعا موسى هوشع بن نون يشوع ، أى أنه غير اسم هوشع إلى يشوع .

وتقول أيضاً : « وأخذ شعب الأرض بهوآحاز بن يوشيا وعزله ملك مصر في أورشليم وملكوه عوضاً عن أبيه في أورشليم وغرم الأرض مئة وزنة من الفضة وبوزنة من الذهب وملك ملك مصر الياقيم أخاه على يهوذا وأورشليم وغير اسمه إلى يهوياقيم ، .

وجاء أيضاً : « في السنة الثالثة من ملك يهوذا ذهب نابوخدناصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها وأمر الملك اشفتز رئيس خصيانه بأن يحضر من بنى إسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء فتيماناً لا عيب فيهم حسن المنظر... وكان من بينهم من بنى يهوذا دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا فجعل لهم رئيس الخصيان أسماء فسمى دانيال بلطشاصر وحننيا مشدراج وميشائيل مبعشج وعزريا عبيد نطق .

بیان با سماء یہودیة قبل وبعد التخییر

بنزایون	: أصله بن صیون - ابن صهیون .
موسی	: موشه - مویز .
صمویل	: شمویل - سام - صامویل .
بن جور یون	: بن جرین .
ابراہیم	: ابرام - ابراہام - ابرانیو .
یوسف	: جوزیف - یوسفیموس - جوزیا - یوسی .
باروخ	: برخاہ - برکات .
داؤد :	: دافید - دیدی .
إسحاق	: یسحق - ایزاک - زکی - جاک - زکای .
یعقوب	: جاکوب .
مشیل	: میثائل .
سلیمان	: شلومو - سلامه .
بارایف	: بارلب .
ریشون لزیون	: ریشون لصهیون .
بنیامین	: أبو الیمین .
منسی	: منشة .
هارون	: آرؤن - ہاری .
عساف	: آساف - آصف .
روبین	: روؤین - رایین .
ایل	: إلیاہو - ایلیا .
زکریا	: زخاری . ذکرى .
عزرا	: عزیر - آزر - عازار .
راشیل	: راحیل .

أورشليم : بروشليم .
شمعون : سيمون .
أرييه : هارى .
توليدانو : من كبة طليطلة حيث كان بعض اليهود يقيمون بهذه
المدينة الأسبانية وهى مدينة عربية .

إن الهدف من كتابة هذا الفصل هو :

(أ) أن يقف القارىء على حقيقة الاسم الخاص بالشخصية اليهودية التى
أمامنا هل اسم هذا الشخص هو الاسم الأصيل أو الاسم المختصر أو الاسم
الدلع ، أو التويه .

(ب) معرفة الاسم الحقيقى لأى قائد أثناء الحروب وبهذا تتجنب اختلاط
الاسماء المتشابهة فقد يكون هناك اسم لقائد بدرجة كولونيل وضابط عادى
وبشئ من الرجوع إلى هذه الأسماء يمكن التمييز بينهما .

(ج) يمكن معرفة رتبة الشخص الدينية والسياسية أو الحربية إذ أن الاسم
يتغير بحسب الرتبة الدينية أو الدرجة الحربية .

الباب السابع عشر

هل أباد اليهود

الشعوب التي كانت تسكن فلسطين

تدعى اليهود مستندة إلى ما جاء في توراتهم - أنهم أبادوا جميع سكان فلسطين أي أنهم أبادوا شعب كنعان وشعب ييوس والفلسطينيين وغيرهم من الشعوب التي سكنت منطقة فلسطين قبل أن يدخلها اليهود .

إن هذا الادعاء اليهودي كذب وافتراء يدحضه التاريخ والواقع والآثار بخلاف ما جاء من تناقض في التوراة نفسها؛ وإذا كنا لا نعلم إلا على التوراة كدليل على كذب ادعاءات اليهود لكفى .

١ - سيظهر من خلال بحثنا لهذا الموضوع أن هذه الشعوب وهي كنعان وغيرهم من ذكرناهم - هزموا اليهود في مواقع حربية كثيرة؛ ومعنى ذلك أنهم لم يبديهم .

٢ - سيظهر من للتوراة نفسها أن اليهود سكنوا بجوار الكنعانيين في أرض كنعان؛ ومعنى ذلك وجود شعب كنعان مع اليهود في مدينة واحدة أي أنهم لم يبادوا .

٣ - سكن الكنعانيون وسط اليهود؛ ومعنى ذلك بقاؤهم مع اليهود ولم يبديهم اليهود .

٤ - حارب القضاة هذه الشعوب واستمرت الحرب سجالات بينهم حتى شاول ونرى كيف قام جليات الفلسطينيين لمحاربة اليهود .

٥ - كانت ييوس تابعة لليوسين حتى عصر داود وبقى منهم حتى العصر الروماني، وسنبحث هذا الموضوع بالتفصيل كما يأتي :

(١) شعب عاي يهزم يشوع :

لقد هزم شعب عاي الإسرائيليين وانهزم يشوع قائدهم بما يدحض كذب ماجاء في التوراة من أن بنى إسرائيل كانوا ينتصرون في كل حروبهم مع سكان فلسطين وجاء في التوراة نفسها ما يثبت انتصار شعوب فلسطين على الإسرائيليين.

تقول التوراة وأرسل يشوع رجالا من أريحا إلى عاي التي عند بيت آون شرقي بيت إيل وكلهم قائلا اصعدوا تجسسوا الأرض، فصعد الرجال وتجسسوا عاي، ثم رجعوا إلى يشوع وقالوا له لا يصعد كل الشعب بل يصعد نحو ألفي رجل أو ثلاثة آلاف رجل ويضربوا عاي، لا تكلف كل الشعب إلى هناك لأنهم قليلون فصعد من الشعب إلى هناك نحو ثلاثة آلاف رجل وهربوا أمام أهل عاي، فضرب منهم أهل عاي نحو ستة وثلاثين رجلا ولحقوهم من الماء، فزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل ووضعوا ترابا على رؤوسهم وقال يشوع آه ياسيد الرب لماذا عبرت هذا الشعب الأردن تعبيراً لكي تدفعنا إلى يد الأوربيين ليبيدونا، ليتنا ارتضينا وسكننا في عبر الأردن، أسألك ياسيد، ماذا أقول بعد ما حوّل إسرائيل قفاه أمام أعدائه. فبسمع الكنعانيون وجميع سكان الأرض ويحيطون بنا ويقرضون اسمنا من الأرض،^(١).

من هذا يتضح أن الكنعانيين وغيرهم من سكان فلسطين هزموا إسرائيل في عهد يشوع الذي يقول إنه هزم بل استأصل جميع الشعوب الساكنة في أرض فلسطين.

(١) سفر يشوع: لإصحاح ٢٧

(ب) الفلاسطيونيون يهزمون الإسرائيليين أيام القضاة :

تقول التوراة « ثم ذهب أيبالك (١) إلى تاباص ونزل في تاباص واحد فجاه أيبالك إلى البرج وحاربه واقرب إلى باب البرج ليحرقه بالنار فطرحت امرأة قطعة رحي على رأس أيبالك فشجته فجممته فدعا حالا الغلام حامل عدته وقال له اخترط سيفك واقتلني لئلا يقولوا عني قتلت امرأة فطعنه الغلام فمات، (٢) .

(ج) الفلاسطيونيون يهزمون اليهود في عهد شاول :

تقول التوراة « وحارب الفلاسطيونيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلاسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع ، فشد الفلاسطيونيون وراء شاول وبنيه وضرب الفلاسطينيون يونانان وبيناداب وملسكيشوع أبناء شاول، واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة ورجال القسي فانجرح جداً من الرماة، فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك واطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلاف ويطعنوني ويقبحوني ، فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً فأخذ شاول السيف وسقط عليه ، ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه، فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معاً .

ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الاردن أن رجال إسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فأبى الفلاسطيونيون وسكنوا بها .

وفي الغد لما جاء الفلاسطيونيون ليعروا القتلى وجدوا شاول وبنيه الثلاثة

(١) أيبالك هو أحد قضاة إسرائيل .

(٢) سفر القضاة: ٩/٥

ساقطين في جبل جلبوع، فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وأرسلوا إلى أرض
 الفلسطينيين في كل جهة لأجل التبشير في بيت أصنامهم وفي الشعب، ووضعوا
 سلاحه في بيت عشتاروت وسمروا جسده على سور بيت شان، ولما سمع
 سكان يابيش جلعاد بما فعل الفلسطينيون بشاول فام كل ذى بأس وساروا
 الليل كله وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاءوا بها
 إلى يابيش وأحرقوها هناك وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الآثلة في يابيش
 وصاموا سبعة أيام، (١).

(د) الأدلة على وجود سكان فلسطين حتى عصر سليمان :

تقول التوراة ، ولم يطرد منسى (قبيلة يهودية) أهل بيت شان وقراها
 ولا أهل تعنك وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان ييلعام وقراها
 ولا سكان مجدو وقراها .

فعمم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض وكان لما تشدد إسرائيل
 أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ، ولم يطردهم طرداً وأفرايم لم يطرد
 الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسط جازر .
 زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون
 في وسطه وكانوا تحت الجزية ، ولم يطرد أشير سكان عكو ولا سكان صيدون
 وأملب وأكزيب وحلبه وأفيق ورموب .

فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم
 ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة بل سكن في
 وسط الكنعانيين سكان الأرض، (٢).

وجاء في سفر يشوع الإصحاح الخامس ما يأتي :

(١) سفر صمويل الأول: ١/٣١

(٢) سفر القضاة ١/٢٧

«وأما اليوسيون الساكنون أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم» .

وجاء في نفس السفر الإصحاح السادس عشر : « فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسط افرايم إلى هذا اليوم » .

ولم يتمكن اليهود من طرد أو إبادة الفلسطينيين حتى عصر داود . بل إن الفلسطينيين كانوا أقوى من اليهود حربياً بدليل أن الملك شاول لم يتمكن من محاربة جالوت الفاسطيني لولا ظهور داود . وبقى سكان فلسطين من القوة حتى أن سليمان لم يتمكن من التفوق عليهم إلا بمساعدة ملك مصر الذي تفوق عليهم وانتصر وفي هذا تقول التوراة « وهذا هو سبب التسخير الذي جعله الملك سليمان لبناء بيت الرب وبيته والقلعة وسور أورشليم وحاصور ومجدو وجازر صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة . وأعطاهم مهراً لابنته امرأة سليمان جميع الشعب الباقين من الأموريين والحيتيين والفروزيين والحوبيين واليوسيين الذين ليسوا من بني إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يجرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم » سفر الملوك الأول إصحاح ٩/١٥ .

ومن النصوص السابقة نستخلص ما يأتي :

١ - أن الكنعانيين لم يبادوا بل بقوا يسكنون أرض كنعان وفلسطين حتى عهد سليمان ولم يتمكن اليهود حتى من طردهم وأن اليهود هم الذين سكنوا في وسطهم كما سكن الكنعانيون وسط اليهود .

٢ - لم يكن اليهود من القوة بحيث يمكن أن يبدهم أو يطردوهم بدليل النص «وأما اليوسيون فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم» .

٣ - قوة الفلسطينيين التي ظهرت في محاربة جليات لليهود وكيف كان الفلسطينيين متفوقين عليهم حربياً .

٤ - إن فرعون مصر هو الذي تفوق على الكنعانيين وليست اليهود وهذا دليل على وجودهم في كنعان حتى عصر سليمان .

٥ - تقول التوراة « والذين ليسوا من بني إسرائيل أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم » ومعنى ذلك أن نسل الكنعانيين والفلسطينيين كانوا وما زالوا في فلسطين حتى عصر سليمان وكيف أباد اليهود الكنعانيين بينما تقول التوراة « فقال موسى لماذا تتجاوزون قول الرب فهذا لا ينجح لا تصعدوا لأن الرب ليس في وسطكم لثلاث تنهزوا أمام أعدائكم. لأن العاقبة والكنعانيين هناك قدامكم تسقطون بالسيف . . . فنزل العاقبة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضر بهم وكسروهم إلى حرمة » (سفر العدد ١٤/٤١)

وبقي الفلسطينيون في وطنهم تكتسحه الموجات اليهودية أحياناً وتنحسر عنه أحياناً حتى فصل إلى أيام الرومان ونجد الفلسطينيين مايزالون في بلادهم إذ يخبرنا العلامة المؤرخ اليهودى يوسفوس أن الملك اسكندر يتاى Yannai المكابى كان يستعين بالمرتزقة في جيشه ولم يكن يقبل الفلسطينيين ضمن أولئك المرتزقة لعلبه بشدة عداوتهم لليهود وتأصل هذه العداوة في نفوسهم .

وفيما يرويه التلود عن الربى شمعون بن شطح عند ما تقدمت به السن وكان يرتزق من تجارة الأقمشة يحملها على كتفه ويبيعها متجولاً ، فكر تلاميذه في أن يتعاونوا فيشتروا له حماراً من سوق الماشية بمدينة القدس ومن خلال هذه القصة نعرف أن اليانغ كان فلسطينياً من غير اليهود، وتلاميذ هذا الحاخام ما كانوا يشترون الحمار لو أنهم وجدوا في هذا السوق تاجراً يهودياً مما يدل على أن أنواعاً مهمة من التجارة كانت في أيدي الفلسطينيين الأصليين

في قلب مدينة أورشليم حتى في العهد اليوناني الروماني الذي عاش فيه
شمعون بن شطح .

وقد لحظ الأستاذ عادل رياض هذا الموضوع في رسالة الماجستير بقوله
« ويتضح من نصوص التوراة ما يلي :

- ١ - عدم ثبات موقف اليهود .
- ٢ - عدم إمكان قيام اليهود بطرد السكان الأصليين .
- ٣ - تعايش الإسرائيليين إلى جوار السكان الأصليين .
- ٤ - تعدد موقف الإسرائيليين في كثير من المرات خلال المراحل
المختلفة .

٥ - عدم تمكن الإسرائيليين من الاستيلاء إلا على أراض محدودة
لفترات قصيرة .

٦ - عدم وجود سلسلة سياسية في عصر القضاة يجمع بين الإسرائيليين
بل إنهم كانوا قبائل متفرقة في بحر من الأجناس الأخرى من السكان
الأصليين (١) .

(١) رسالة ماجستير مقدمة من المقدم طيار أركان حرب عادل محمود رياض

بمؤان: (الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة) - ص ٥٦ .

الباب التاسع عشر

اليهود في بلاد العرب

عندما تغلب القائد الروماني تيتوس على اليهود في فلسطين سنة ٧٠ م كان أول عمل قام به هو هدم هيكل سليمان وهو أهم معابد اليهود في القدس . كما عمل جهده في تشتيت اليهود من هذه المدينة المقدسة وتشتتوا في بلاد كثيرة وكان من بين الدول التي ذهب إليها هؤلاء اليهود - بلاد العرب (الجزيرة العربية) .

ثم جاء هادريان القائد والإمبراطور الروماني فهدم مدينة القدس هدماً تاماً ودمرها تدميراً كاملاً بحيث لم يبق فيها حجر على حجر وقتل وشتت كل اليهود في هذه المدينة وأطلق عليها اسم إيليا كابوتلينا .

بعد هذه الحوادث وتفرق اليهود أشتاناً في دول كثيرة ومنها الجزيرة العربية نقول إن قبائل كثيرة سكنت الجزيرة العربية واشتغلوا بالزراعة والتجارة في يثرب (والتي سميت المدينة المنورة بعد هجرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) كما اشتغلوا بالربا واشتهروا بهذا العمل حتى أصبحت كلمة يهودى تعنى المرابي .

كانت أم القبائل اليهودية التي سكنت الجزيرة العربية هي خمير = بنو قريظة = بنو النضير = بنو قينقاع ،

كانت هذه القبائل في نزاع بين بعضها البعض وكثيراً ما كان بعضها يتحالف مع القبائل العربية مثل قبيلتي الأوس والخزرج ، فمثلاً كانت قبيلة بنو قريظة

حليفاً لقبيلة الأوس بينما كانت قبيلتنا بنى قينقاع وبنى النضر حليفاً لقبيلة الخزرج .

وظل الأمر على هذا النظام إلى أن جاء الإسلام وهاجر النبي عليه السلام إلى المدينة المنورة فانهى هذا الحلف حيث أن قبيلتي الأوس والخزرج دخلتا الإسلام وأصبحت القبيلتان أخوة في الإسلام .

الأوس والخزرج

عندما تهدم سد مأرب في اليمن تفرق أهلها وذهبت كل قبيلة إلى المنطقة التي اختارتها - اتجهت قبيلتا الأوس والخزرج إلى يثرب وسكنوها وقام التنافس في أول الأمر بين القبائل العربية (الأوس والخزرج) وبين القبائل اليهودية (بنو قريظة وبنو قينقاع ، وبنو النضير وخيبر) وكانت هذه الحروب تنتهي بالنصرة تارة وبالهزيمة تارة أخرى إلى أن تغير الحال وتبدل فأصبحت القبائل اليهودية تتنازع فيما بينها واضطرت إلى محالفة هذه القبائل العربية لتحميها ضد إخوتها اليهودية وأصبحت قبيلة بنى قريظة حليفاً لقبيلة الأوس العربية كما حالفت بنى قينقاع وبنى النضير قبيلة الخزرج العربية وظل التحالف على هذا النظام قائماً بينهم حتى ظهور الإسلام وهجرة النبي عليه الصلاة والسلام إلى يثرب .

كان هذا التحالف لا بد وأن ينقسم عراه بسبب الإسلام لأن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاء بمبادئ الأخوة الإسلامية فأصبح الأوس والخزرج أئمة في الإسلام لا يرفع أحد منهما سيفه على الآخر ولا يحالف أحدهما ضد الآخر ،

كما عقد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام معاهدة وضع فيها المبادئ التي تشير عليها الطوائف المختلفة التي تمسكن يثرب .

المعاهدة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب من تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

إنهم أمة واحدة من دون الناس . المهاجرون من قريش على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم وهم يفتدون غايتهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنوعوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانها بالمعروف والقسط بين المؤمنين (ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى النجار وبنى عمرو بن عوف وبنى النبيت) . وأن المؤمنين لا يتركون مفرجاً بينهم^(٢) أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى وسيعة ظلم^(٣) أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافرأ على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يحجر عليهم أدفاهم وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة^(٤) غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأن تسلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ،

(١) على ربعتهم : على استقامتهم وعلى الأمر الذي كانوا عليه .

(٢) المفرج : المنقل بالدين والكثير العيال .

(٣) وسيعة : طيبة .

(٤) الأسوة : المساواة في المعاملة .

وأن كل غازية غزت منا يعقب بعضها بعضاً وأن المؤمنين يجر (١) بعضهم عن بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يحيز مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن وأنه من اعتبط (٢) مؤمناً قتيلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم قيام عليه وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً (٣) ولا يؤويه وأنه من نصره أو آواه فإنه عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد عليه الصلاة والسلام .

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللسليين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو إثم فإنه لا يوقع إلا نفسه (٤) وأهل بيته وأن ليهود بنى النجار ويهود بنى الحارث ويهود بنى ساعدة ويهود بنى جثم ويهود بنى ثعلبة ولجننه ولبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف وأن موالى ثعلبة كأنفسهم وأن بطانه يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد عليه الصلاة والسلام وأنه لا يتحجر على نار جرح (٥) وإن فكك فينفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم وأنه لم يأتهم اسرؤ بجلفيه وأن انصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع

(١) يجر : يقتل بلا جناية .

(٢) اعتبط : يهلك ويفسد .

(٣) محدثاً : جانياً .

(٤) لا يلتئم جرح على نار .

المسلمين ما داموا محاربين وأن يثرب حرام جوؤها لأهل هذه الصحيفة وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها وأن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فسادة فإن مرده إلى الله وإلى محمد عليه الصلاة والسلام وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره وأنه لا تجار قریش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى الصلح يصلحونه ولبسونه فإنهم يصلحونه ولبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل إناس حصتهم من جانهم الذي قبلهم .

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة وأن البر دون الإثم لا يكسب كسب إلا على نفسه وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره وأن لا يحول هذا الكتاب دون ظلم أو آثم . وأن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم وأن الله جار لمن بر وتقى .

وقد علق بعض الكتاب على هذه المعاهدة بقولهم إنها ميثاق بين السياسة الداخلية والخارجية للإسلام وأنها جاءت قانوناً عاماً يشتمل على الداخلي والخارجي وكونت عصبية من الأمم الإسلامية والمسيحية واليهودية لم يصل إلى تحقيقها الرسل والأنبياء السابقون ولا الساسة والفقهاء اللاحقون وضمنت للأقليات حقوقها وتمتع بأداء شعائرها وواجبات دينها وحققت نظرية الحرب المشروعة وحددت التدخل في حالة الحرب واشترطت الاستنصار وإذن أهل الحرمة ، (١) .

(١) علم الدولة للأستاذ أحمد وفق

الفصل الأول

الحرب بين المسلمين واليهود

قلنا إنه عندما هاجر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة عقد معاهدة بينه وبين اليهود وبين فيها المبادئ التي سيسير عليها المسلمون واليهود تجاه الأعداء وكان من الطبيعي أن تأخذ الأمور مجراها كما هو مبين في هذه الوثيقة إلا أن الأمور سارت بعكس ما كان مبرماً . ذلك أن قبيلة بنى قينقاع اليهودية نقضت الوثيقة إذ نشب نزاع بين المسلمين وبين بنى قينقاع واضطر المسلمون إلى إجلأهم بعد انتصارهم عليهم وكذلك فعلوا ببني النضير التي نقضت عهدها مع النبي عليه الصلاة والسلام .

كان من الممكن أن يجعل المسلمون من بنى قينقاع وبني النضير سبائاً كما تقضى تقاليد اليهود إلا أن المسلمين كانوا أكثر سماحة وأرحم إذ تركهم المسلمون يهاجرون إلى المناطق التي يرغبونها خارج المدينة واكتفى المسلمون بذلك .

الحرب بين المسلمين وبني قريظة

اكتسبت هذه الحرب أهمية كبرى لدى معظم المؤرخين للأسباب الآتية :

١ - أنها قامت بين المسلمين واليهود مع وجود معاهدة بينهما تنظم موقف كل منهما في حاتى السلم والحرب .

٢ - نظمت المعاهدة موقف كل منهما في وقت الحصار .

٣ - إنهاء الحرب بين المتحاربين (المسلمين واليهود) ونتيجة هذه الحرب ورأى المؤرخين في هذه النتيجة وموقف بعضهم كعارض والبعض الآخر كجانب .

والآن نتكلم عن هذه الحرب بشيء من التفصيل :

مقدمات الحرب :

بعد أن عقد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام المعاهدة بينه وبين اليهود كان من واجب اليهود احترام هذه المعاهدة والسكوت سرعان ما نقضوها إذ أخذوا ينشرون الإشاعات والأكاذيب بين المسلمين لعرقلة سير الدعوة الإسلامية كما أنهم نافقوا الرسول وآمروا عليه مراراً .

ولم يقف الأمر عندهما الحد بل أخذوا يعلنون موقفهم العدائى بصراحة وبطريقة مباشرة عندما أعلنوا موقفهم بانضمامهم إلى جانب قريش ضد المسلمين في غزوة الخندق^(١) وهذا ما يخالف نصوص المعاهدة المبرمة بينهم وبين المسلمين إذ كان من واجب بني قريظة أن تقف بجانب المسلمين وليس بجانب قريش ولما انتهت غزوة الأحزاب (الخندق) بانتصار المسلمين وهزيمة الأحزاب وجد النبي عليه الصلاة والسلام أنه لا بد من معاقبة بني قريظة على نقضهم للعهد بانضمامهم إلى الأعداء قريش وحلفائهم .

وكانت أسباب محاربة المسلمين لبني قريظة هي :

- ١ - انضمت بنو قريظة إلى قريش في حروبها ضد النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق والمفروض أنها تقف بجانب المسلمين بحسب المعاهدة المبرمة بينهما .
- ٢ - أن وقفها بجانب قريش يعتبر خيانة كبرى للدولة (وهي المدينة المنورة) يثرب .
- ٣ - إثارة المتاعب داخل الدولة وهي الدولة الجديدة التي أقامها النبي عليه الصلاة والسلام .

(١) بنو قريظة هي القبيلة اليهودية التي انضمت إلى قريش ضد النبي عليه الصلاة والسلام .

- ٤ - اعتبر المسلمون مساعدة بنى قريظة لقريش اعتداء عليهم .
- ٥ - اعتبر بنو قريظة غزاة لأنهم ساعدوا الغزاة .
- ٦ - قام بنو قريظة بتموين جيوش الأعداء وتسليحه وقت الحرب .
- ٧ - اتصاهم بالعدو ونقلهم أسرار المدينة بما يفيد العدو بينما يعرض سلامة جيش المسلمين بل المدينة كلها - وهى فى الوقت نفسه موطن لليهود - لأشد الأخطار وهذه خيانة .
- ٨ - استعدادهم لضرب المدينة فى ظروف أشد وأدق ماشهد النبى صلى الله عليه وسلم .
- ٩ - رفعوا السلاح ضد سلطان المدينة ودسوا الدسائس لدى العدو ضد المسلمين كما سهلوا له مهاجمة البلاد .

نصوص المعاهدة وماذا تعنى

قرر النبى محمد صلى الله عليه وسلم معاقبة بنى قريظة وبيننا الأسباب لذلك العقاب .

والآن هل تتفق هذه الأسباب مع نصوص المعاهدة؟

إن هذه الأسباب تتفق ونصوص المعاهدة كما يتبين فيما يلى :

- ١ - كان اليهود والمسلمون يسكنون يثرب (المدينة المنورة) فكانوا هم والمسلمون من الناحية القانونية فى العرف الحديث يشكلون وحدة وطنية من حيث كونهم سكان بلد واحد بعد الإسلام .
- ٢ - التزم الفريقان فى هذه المعاهدة المكتوبة بالدفاع عن الوطن المشترك (يثرب) ضد أى اعتداء يأتى من الخارج سواء أكان المقصود بهذا الاعتداء اليهود أو المسلمين وهذا حسب ما تنص عليه المعاهدة ، وأن بينهم

أى بين المسلمين واليهود النصر على من دهم يثرب وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة أى المعاهدة وأن بينهم النصح والبر دون الإثم.

٣ - اعترف اليهود بتوقيعهم على المعاهدة بأنهم هم والمسلمون أمة واحدة يجمعهم وطن واحد يلزمهم ما يلزم المسلمين كل مواطن إزاء وطنه كما التزم كل فريق بحريته الدينية .

٤ - ليس لليهود أن يقدموا تسميات لأى عدو يريد احتلال المدينة لأن نصوص المعاهدة تقرر د أنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، فمن يخالف هذا النص يعتبر أمام القانون الدولى خائناً ويستحق عقوبة الخيانة العظمى ضد وطنه فى الظروف الحربية .

٥ - اعترف اليهود فى هذه المعاهدة بالحكم الإسلامى القائم فى يثرب .

٦ - أقر اليهود بأنهم مواطنون يثريون يجرى عليهم فى ظل هذا الحكم ما يجرى على غيرهم ماعدا الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والإرث .

٧ - كل شجار ونزاع يرجع عند فضه إلى القائد الأعلى وهو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

٨ - لا يخرج أحد من اليهود إلا بإذن النبي عليه الصلاة والسلام والنس هو د وأن بظانة يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد .

حصار بنى قريظة :

حاصر المسلمون بنى قريظة بعد أن تبين لهم خيانتهم ونقضهم للمعاهدة ، وقامت الحرب وانتصر المسلمون وانهمزت بنى قريظة .

نتيجة الحرب :

لم ينتظر بنو قريظة بعد هزيمتهم - ماذا سيطبق عليهم سيدنا محمد عليه السلام من قوانين واسكنهم طلبوا أن يكون أحد قبيلة الأوس التي كانت حليفة لهم قبل الإسلام - وسيطاً بينهم وبين محمد عليه السلام وترك لهم النبي أمر الاختيار فاختاروا سعد بن معاذ زعيم الأوس ليحكم فيهم فأصدر حكمه بعد أن أخذ منهم موثقاً بتنفيذ ما يحكم به عليهم ووافقوه على ذلك ، وأصدر سعد بن معاذ حكمه كما يأتي :

« إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي النساء والذرية وأن تقسم الأموال » .

مناقشة حكم سعد بن معاذ

في بني قريظة

اختلف المؤرخون حول عدالة الحكم الذي أصدره سعد بن معاذ، فمنهم من وافق عليه ومنهم من عارضه . وسنقدم آراء كل من الفريقين وحججهم بعد تبين الحكم الصادر ضد بني قريظة .

أولاً - الحكم الصادر جاء نتيجة التحكيم :

هل كان التحكيم معروفاً عند اليهود :

قلنا إن اليهود بعد هزيمتهم طلبوا تحكيم سعد بن معاذ فهل كان التحكيم معروفاً حتى يصبح قانوناً سارى التنفيذ ؟

عرفت الشعوب السامية منذ الأزمنة القديمة نظام التحكيم وطبقته خصوصاً تلك التي اشتغلت بالرعى وكان العرب في الجاهلية يعرفونه كطريقة من طرق فض المنازعات فقد حكموا النبي عليه الصلاة والسلام عندما اختلفوا فيمن

يضع الحجر الأسود في مكانه ونزلوا جميعاً على حكمه، وعرف اليهود التحكيم وهذا ما رأيناه من نص المعاهدة التي أبرمت بينهم وبين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام : وإن كان من أهل هذه الصحيفة فإن مرده إلى الله وإلى الرسول .

وقد كان معروفاً عندهم منذ زمن بعيد ، ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً » (١) .

وجاء في التوراة « ولكنني أريد أن أكلم القدير وأن أحاكم إلى الله » (٢) ، وجاء أيضاً « ذكرني إفتحاكم معاً . حدث لكي تتبرر » (٣) .

آراء المعارضين والمجذبين

الحكم سعد بن معاذ

اختلف المؤرخون في الرأي وانقسموا بين معارض ومجذب حول الحكم الذي أصدره سعد بن معاذ في بني قريظة .

قال المعارضون :

يعلن هذا الفريق استنكاره للحكم النافذ في هؤلاء اليهود (وخاصة عقوبة الإعدام) ، ويصفونها بأنها عمل يتسم بالوحشية والقسوة .

(١) القرآن الكريم سورة النساء آية ٦٥

(٢) سنن أبوب : الإصحاح ١٣

(٣) سفر أشعيا : ٢٦/٤٣

وهذا الفريق يحاول نشر ظلال من الشكوك حول دعوة الإسلام وإيجاد المطاعن في قطب هذه الدعوة وحامل لواء رسالتها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول هذا الفريق إن هذه العمالية الانتقامية تتنافى مع قواعد الإنسانية وروح القرن العشرين المتمدنة ، لاسيما وأن اليهود قد وقعوا أسرى في أيدي المسلمين .

آراء الذين جذبوا الحكم

١ - لم تكن بنو قريظة في حربهم مع النبي أعداء فقط بل خونة تآمروا وتواطؤوا مع العدو ضد دولتهم - يثرب - وهم في نظر القانون الدولي ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى وبذلك عاملهم النبي بهذه الجريمة .

٢ - إن الحكم الذي صدر ضد بنى قريظة جاء وفق الشريعة الموسوية إذ تنص التوراة على أن اليهود إذا اتصروا في حرب على دولة ما فعليهم أن يقتلوا كل رجال هذه الدولة نساؤهم وأطفالهم وحرق المدينة بمن فيها وما فيها (١) .

وكذلك تقول التوراة « وإن لم تسالملك أى مدينة بل حاربتك فحاصرها وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك (إذا انتصرت عليها) فاضرب جميع ذكورها بحا. السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك ، .

(١) انظر فى ذلك الفصل الخاص بالتحريم فى هذا الكتاب وكذلك كتاب

« غزوة بنى قريظة ، للأستاذ محمد أحمد باشميل ص ٢٦٧

فلنفرض أن انتصر اليهود على المسلمين في هذه الغزوة، ماذا يكون الحال؟
سيكون حكم اليهود أقسى من حكم سعد بن معاذ .
ومن هنا كان الحكم النازل باليهود إنما جاء تماماً وفقاً لشرعية اليهود فهو
إذا جزاء أوفاقاً .

٣ - القوانين المعاصرة :

عرفنا كيف خان بنو قريظة العهد وعرضوا الدولة للعدو فارتكبوا جريمة
الخيانة العظمى وهذه الجريمة عقابها في القوانين المعاصرة الإعدام فالقانون
المصرى المعاصر ينص على :

أولاً : يعاقب بالإعدام كل مصرى رفع السلاح على مصر أو التحق على
وجه بعمل في القوات المسلحة لدولة تحارب مصر .

ثانياً : كل من أتى الدسائس إلى دولة أجنبية أو إلى أحد من مأموريها أو
إلى أى شخص يعمل لمصالحها أو تخاب معه بقصد استعدائه على مصر أو
تمكينه من العدوان عليها يعاقب بالإعدام سواء تحقق الغرض أم لم يتحقق .

ثالثاً : يعاقب بالإعدام كل من سهل دخول العدو إلى البلاد أو سلمه
مواقع أو سفناً أو طائرات مما تستعمل في الدفاع عن البلاد أو نقل إليه أخباراً
أو أرشده أو حرض الجنود على الانضمام إليه أو أثار الفتن والشائعات
أو نحو ذلك^(١) .

٤ - يقول المؤلف الانجليزي الدكتور منتجمرى وات في كتابه : محمد نبى
ورجل دولة « إن الحكم النافذ في حق بنى قريظة لم ينفذ لأنهم يهود بل لأنهم
خونة ارتكبوا الخيانة العظمى » .

٥ - يقول الدكتور على عبد الواحد وفى حوله معاملة اليهود للدول المهزومة :
« كان اليهود يضربون الرق على البلد المغلوبة على جميع أهلها من النساء

(١) القانون المصرى عن كتاب غزوة بنى قريظة ص ٢٧١

والأطفال . أما الرجال فقد أمرتهم كتبهم المقدسة بأن يضربوا رقابهم بحد
السيف وألا يبقوا على أحد منهم، ” .

ومن ذلك نستنتج أن حكم سعد بن معاذ كان صحيحاً إذا طبقنا شريعة
اليهود عليهم أو طبقنا ما تملسه قواعد القانون الدولي فيما يخص جريمة الخيانة
العظمى .

٦ — كانت جريمة الخيانة العظمى ضد الدولة عقابها الموت عند الرومان
وذلك قبل الإسلام فقد أدان تراجان امبراطور الرومان أحد ولاته بالموت
لأنه ثبتت عليه تهمة الخيانة العظمى ضد الدولة .

فهل كان محمد صلى الله عليه وسلم قاسياً على اليهود؟ وهل كان سعد بن معاذ
قاسياً على بني قريظة؟ (٢) .

وبعد .. يمكن القول بأن سعد بن معاذ حكم بقتل اليهود بحسب شريعتهم
هم ، والتي كانوا ينفذونها في حالة انتصارهم على عدوهم .

أما النساء فلم يقتل المسلمون منهن أحد ، لأن آداب الحرب في الإسلام
تحرّم تحريماً قاطعاً قتل نساء العدو إلا جأاً أو قصاصاً أو في الميدان إذا كانت
المرأة تقاتل .

ولهذا فإنه لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة أمر النبي صلى
الله عليه وسلم بقتلها قصاصاً برجل من المسلمين قاتل هذه المرأة باغتتاله .

(١) قصة الملكية للدكتور على عبد الواحد وافي ص ٤٤ .

(٢) مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البودية تأليف دكتور

عبد اللطيف أحمد على ص ١٨٤ .

رأى بعض المؤرخين فى العصر الحديث

عما كان يفعله اليهود من هدم للبدن

وقتل للأبرياء.

ما الذى كان يفعله الإسرائيلون بالأسرى :

١ - إفتاء وإبادة جسدية مادية شاملة .

٢ - إتلاف وتدمير كل ما تقع عليه أيديهم من إنجازات مادية

وحضارية وتدمير مدن بأكملها .

وجاء فى العهد القديم (التوراة) :

« اهتفوا لأن الله أعطاكم المدينة ودمروا كايا كل ما كان فى المدينة . كل

الرجال والنساء . كل الشباب والشيوخ والثيران والخراف والحمير بحد السيف .»

وجاء عما فعله يوشع بن نون فى مدينة عاي :

« هكذا أحرق يوشع المدينة وجعلها ركماً إلى الأبد بل وقفراً ، ولم يكن

هكذا التقليد وقفا منذ أيام موسى أو يوشع كما جاء فى توراة اليهود (١) بل

امتد إلى عهد داؤد حيث يقولون إنه كان يقتل الأسرى جملة .

(١) نحن معاشر المسلمين نربأ بسيدنا موسى وسيدنا داؤد أن يوصفا بهذه

الأوصاف فهما نبيان لا يتصفان إلا بالخلق الحسن ، وكما قلنا مراراً إن التوراة

الحالية هى التوراة المحرقة .

وكان الكهنة أنفسهم إذا جاز لنا أن نحكم عليهم من خطبهم التي
ينعتقون بها مولعين بالحروب ولعهم بالمواعظ .

وكانت العادة أن تدمر المدن التي يستولون عليها في حروبهم، وأن تقطع
بحد السيف رقاب جميع الذكور من سكانها، وأن تالف الأرض حتى لا تصلح
للزراع إلا بعد زمن طويل (١) .

(١) المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية تأليف بدبعة أمين ص ٢٨ لشر
دار الطائفة ببيروت .

الفصل الثاني

الإسلام يدعو إلى السلم وتجنب الحروب

دعا الإسلام إلى منع الحروب أو تجنبها وتخفيف ويلاتها وقرر بشأن ذلك عدة مبادئ من أهمها ما يأتي :

- ١ - تحديد أيام خاصة لا تقوم فيها الحروب كالأشهر الحرم .
- ٢ - عدم الاعتداء على أى دولة إلا بشروط خاصة .
- ٣ - إقامة هيئة دولية تقوم بالتحكيم أو منع ظلم دولة لدولة أخرى .
- ٤ - وضع وصايا يجب إتباعها عند قيام الحرب بين الدول وبين بعضها البعض ، ومن هذه الوصايا ما يأتي :

- (أ) إعلان العدو بقبول الصلح إذا طلب ذلك .
- (ب) الرحمة والشفقة بالأعداء كلما أمكن ذلك .
- (ج) تجنب قتل بعض أهل الأعداء ولو كانوا يرضون على الحرب .
- (د) عدم ضرب المدن أو سكانها بعد انتهاء الحرب .
- (هـ) عدم ردم الآبار أو تسميمها أو حرق المزروعات .
- (و) تنفيذ عقد الهدنة مع حسن النوايا .
- (ز) عدم الغدر .
- (ح) معاملة البلاد المفتوحة معاملة حسنة .
- (ر) معاملة الأسرى معاملة أخوة وليست معاملة عبيد .
- (ي) احترام رجال الدين من أهل الأديان الأخرى .

وهذه الوصايا تؤدي بالدولة المهزومة إلى عدم الميل إلى الحرب مرة ثانية نتيجة المعاملة الحسنة لها من قبل الدولة المنتصرة فيسود الهدوء والسلام بينهما وهكذا كانت حال الدول التي انتصر عليها المسلمون وذلك لأن المسلمين في إنتصارهم على الدول المغلوبة كانوا يتبعون تعاليم الإسلام ووصاياه .

تقييد استعمال السيف

أى تقييد الحروب

لم يسمح الإسلام بقيام الحروب إلا في حدود ضيقة جداً وهذه الحدود يقرها العدل والإنصاف^(١) ليست حروباً هجومية وإنما هي حروب لمصلحة الإنسانية ونشر العدل والحرية بين الناس .

١ — أقر الإسلام الحرية الدينية ، وإن لكل شخص أن يختار الدين الذى يرتضيه لنفسه وليس لأحد أن يفرض عقيدته على أى شخص آخر بالقوة ولا أن يضطهده بسبب ذلك .

فالتقرآن يقول : « لا إكراه فى الدين »^(١) :

٢ — إتقاذ البيوت المخصصة لعبادة الله من الدمار سواء أكانت صوامع أم بيعاً أم صلوات أو مساجد فهو يحافظ على بيوت العبادة فى الأديان السماوية الثلاثة ولم يعمل على الحفاظ على الأماكن المخصصة للعبادة الإسلامية فقط بخلاف ما نراه فى الديانة اليهودية وما ترمى إليه من هدم كل ما هو غير يهودى .

يقول الله تعالى « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولو لأدفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً »^(٢) .

(٢) سورة الحج: الآية ٤٠

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦

٣ - عدم الاعتداء ولكن رد الاعتداء .

يقول الله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » (١) .

٤ - أن تكون الحرب لمصلحة الدين وليست لمصلحة توسع في الأراضي أو السيطرة لغرض الغلبة أو التملك لأن الدين لا يقبل ذلك . ويقول الله تعالى في ذلك « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت » (٢) لم يقل وقاتلوا في سبيل التملك أو السيطرة .

٥ - في حالة الدفاع عن النفس .

يقول الله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » (٣) .

٦ - أمر المسلمون أن يوقفوا القتال ولا يعتدوا ولا يستمروا إذا عاد الحق إلى نصابه وجنح الخصم إلى السلم الحقيقي فيقول الله تعالى في كتابه العزيز: « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٤) .

الإسلام يدعو إلى إنشاء هيئة عامة للصلح بين المتحاربين

إذا استعرضنا تاريخ الحروب قديماً لم نجد أية دولة أو فاسفة دعاء إلى إنشاء هيئة تعمل على القيام بالصلح بين المتحاربين أو تخفيف حدة الحرب بينها بأية وسيلة من الوسائل ، وظل العالم يسير متخبطاً في ظلام الجهل حتى ظهر الإسلام وجاء بتعاليمه السمحة التي تدعو إلى تخفيف ويلات الحرب بوسائل كثيرة وقد بينا كثيراً منها في هذا الفصل من هذا الكتاب .

(٢) سورة النساء الآية ١٩

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦١

(٣) سورة الحج: الآية ٢٩

إلا أننا أردنا الكلام بالتفصيل عن وسيلة كان الإسلام فضل السبق في إنشائها لتخفيف ويلات الحرب بين المتحاربين بالصلح بينهم ودراسة أسباب الحرب والأخذ بيد المظلوم والضرب على أيدي المعتدى - كل ذلك دون ظلم بأحد الجانبين حتى لا يكون الصلح على أساس ضعيف . هذه الوسيلة هي إنشاء هيئة للتحكيم بين المتحاربين هذه الهيئة التي دعا إليها الإسلام هي ما جاء عنها في الآية الشريفة من القرآن الكريم :

« وإن طائفتان من المؤمنين اختلفوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفخ إلى أمر الله فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلمكم ترجمون، (١) .

الإسلام أسبق الدول

في إنشاء هيئات الصلح

الإسلام أول دين سماوى دعا إلى إنشاء هيئة دولية تعمل على الصلح بين الدول المتحاربة والوقوف بجانب الدولة المظلومة حتى تنفخ الدولة المعتدية إلى أمر ربها . نعم دعا الإسلام إلى إنشاء هيئة عالمية للأغراض الآتية :

- ١ - الصلح بين المتحاربين .
- ٢ - تقف الهيئة بجانب الدولة المعتدى عليها حتى لا ينتشر الظلم .

(١) سورة الحجرات آيات ٦ و ١٠

- ٣ — تكف الهيئة عن مساعدة الدولة المعتدية .
- ٤ — تكف الهيئة عن مساعدة الدولة المعتدى عليها إذا قامت الدولة الظالمة إلى أمر ربهما .
- ٥ — بحث حالة كل من الدولتين المتحاربتين بحثاً أساسه العدل والحق ووضع صلح على أسس من العدل حتى لا يكون الصلح على قواعد غير عادلة قد تدعو إلى استئناف القتال مرة أخرى .
- ٦ — إن في هذا العمل رحمة بالعالم كله ، لعلمكم ترجمون ، .

الباب التاسع عشر

مقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان

في إنشاء هيئة تعمل للسلام

وصايا الحرب

كان النبي عليه الصلاة والسلام ومن بعده الخلفاء الراشدين — يوصون قواد الجيوش بأن يراعوا قواعد الدين الحنيف ومبادئ الأخلاق الحسنة وأن يستوصوا بأهل الذمة خيراً، وسنأتي ببعض هذه الوصايا على سبيل المثال، وليقارن القراء بين ما جاء فيها من توصيات خلقية سامية وبين ما قرأناه عن أعمال اليهود السيئة أثناء حروبهم مع أعدائهم .

وسنعرف من هذه الوصايا كيف أن على الجيش المسلم ألا يقتل المرأة والطفل والشيخ الفاني والأعمى والمقعّد، ونحوهم . فلا يجوز قتلهم ما لم يكن أحدهم ذا رأى في الحرب يؤلب على المسلمين كما فعل رسول الله بدريد ابن الصمة فقد قتله يوم حنين وهو شيخ ضرير لأنه كان يدبر لقومه ويؤايبهم على المسلمين^(١) .

سمو القواعد الأخلاقية عند المسلمين

أثناء الحرب

في هذا الموضوع يظهر فضل المسلمين في جعل الحرب أقرب إلى الإنسانية والرحمة — وهذا باعتراف الإفرنج كما سنرى — فقد نهى الإسلام عن أمور كثيرة كان أساس النهي فيها مراعاة الشهامة وكرم الأخلاق .

١ — يقول عليه الصلاة والسلام « لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ، »
ويقول أيضاً « لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صغيراً ولا امرأة ، » .

(١) فجر الإسلام الأستاذ أحمد أمين ص ١٠٢

وروى عنه أنه قال « لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع » .

كما حرم التمثيل بالقتلى والإحراق بالنار .

كما حرم تجويع الأعداء بمنع الميرة عن العدو ، فقد روى أن ثمامة ابن آثال منع الميرة عن قريش فأخذهم الجوع حتى أكلوا الجلود والجيف ، فذهب أبو سفيان إلى النبي وشكاه إليه ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمامة أن يرسل الميرة إليهم (١) .

٢- وصية سيدنا أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد مولى النبي عليه الصلاة والسلام وجيشه الذى ولاه عليه وبعثه لمحاربة أهل الردة « ولا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعير ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وقد أورد البارون توبه هذه الوصية باللغة الفرنسية فى كتابه ومحاضراته .

وعلق الأستاذ العلامة أحمد أبو الفتح على هذه الوصية بقوله : إن مضمونها هو ما فهمه المسلمون من قول الله تعالى : « وقتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » (٢) .

وفى وصية أخرى لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه إلى يزيد ابن أبى سفيان قائد أحد الجيوش إلى الشام يقول فيها :

(١) الميرة : ما يجلب للطعام .

(٢) محاضرات المرحوم الدكتور على الزينى عميد كلية التجارة على طلبته قسم

« إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع للعبادة فدعهم ومازعموا، وستجد قوماً قد فحسوا أوساط رؤوسهم من الشعر وتركوا منها أمثال العصائب فاضربوا ما فحسوا بالسيف، وإنى موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرمأً ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا نخلاً ولا تحرقها ولا تحرقن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لما أكلت ولا تجبن ولا تغلل . »

ويتضح من هذه الوصية أن الإسلام قصر الحرب على الجيش المحارب فقط ولا يجوز التعرض للنساء والأطفال والشيوخ والرهبان (١) .

٣- وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

كان عمر رضى الله عنه يوصى قواد الجيش بتقوى الله ، وألا يعتدوا ولا يجبنوا عند اللقاء ، ولا يملأوا عند القدرة ، ولا يسرقوا عند الظهور ، ولا يقتلوا هرمأً ولا امرأة ولا وليداً ، وأن يتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وشتت الغارات ، وألا يغلوا عند الغنأم ، وينزهوا الجهاد عن غرض الدنيا (٢) .

وقال فى وصية أخرى للقائد سعد بن أبى وقاص حين افتتح العراق « أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاه الله عليهم ، فإذا جاءك كتابى هذا فانظر ما أجلب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعالها . »

وقد كنت أمرتك أن تدعو الناس ثلاثة أيام ، فمن استجاب لك وأسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ما لهم وله سهم فى الإسلام .

(١) شريعة القتال فى الإسلام تأليف عثمان السيد الشرقاوى ص ٢٥

(٢) الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد علي الجزء الثانى ص ١١١ .

ومن استجاب لك بعد القتال وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الإسلام لأنهم أحرزوه قبل الإسلام، (١).

ولعل من مفاخر الإسلام أن يضع المسلمون نصب أعينهم لزيادة الإنتاج وعدم تخريبه عناصر الإنتاج في دول الأعداء وأنهم كانوا يحافظون على هذه العوامل حتى لا يكون المسلمون سبياً في خراب هذه البلاد المفتوحة .

وهذه المبادئ الأخلاقية لم تصل إليها قوانين أى دولة حتى يومنا هذا ، يقول سيدنا عمر « لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ، واتقوا الله فى الفلاحين » .

ويقول أيضاً « لا تقتلوا هراً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات » .

(١) الإسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد علي الجزء الثاني ص ٢٢ .

الباب العشرين

كيف يعامل الإسلام أعداءه

في الحرب

يشمل هذا الموضوع ثلاث نقاط رئيسية :

- ١ - معاملة الإسلام للأعداء قبل الحرب .
- ٢ - معاملة الإسلام للأعداء أثناء الحرب .
- ٣ - معاملة الإسلام للأعداء بعد الحرب .

١ - معاملة الإسلام للأعداء قبل الحرب :

اشترط الإسلام لقيام الحرب شروطاً عدة :

أن تكون الحرب دينية بمعنى أنها تكون لحماية الدعوة الإسلامية أو لرد عدوان وقع على أحد منهم أو نقض عهد أو هجوم قام به عدو لهم .

ومن ذلك يتبين أن الدين الإسلامي يحرم الاعتداء على الغير كما أنه لا يرغب في حرب توسعية أو استعمارية .

كذلك نرى أنه لا يقوم بحرب إلا إذا نقض الطرف الآخر عهد قائم بين الطرفين ورأى شبه خيانة لهذا العهد، ومن هنا يتبين أن الإسلام لا يعنى من حربه إلا وجه الله وحماية دينه .

٢ - أثناء القتال :

عرفنا كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك الخلفاء الراشدين من بعده كانوا يوصون قواد الجيوش بحسن معاملة الأعداء .

مالا يحل للمسلمين عمله وقت الجهاد (الحرب)

١ - الغدر والغلول والمثلة :

لا يجوز للمسلمين الغدر والغدر هو الخيانة ونقض العهد، والغلول هو السرقة من الغنائم أى ما يغنم من العدو أثناء الجهاد، أما المثلة فهى تشويه الوجه وقطع الأنف ونحوه من ضروب القسوة والتعذيب التى لا مبرر لها، وبلغ من تشدد الشريعة الإسلامية فى تحريمها على المسلمين أن قرر الفقهاء وجوب القصاص ممن تثبت عليه ، فقد قالوا إنه إذا جنى مجاهد على قوم جنائيات ليس فيها قتل (أى قتل مشروع أثناء الجهاد) كأن قطع أنف شخص ويد آخر ورجل ثالث فيجب أن يقتص منه لكل منهم على حدة فيقطع ثلاث مرات فى أنفه ويده ورجله .

على أنه يلاحظ أن تحريم المثلة مقيد بما إذا حصلت بعد الانتصار على العدو والتمسك منه، أما لو حصلت أثناء الاشتباك فى المعركة فليس من المعقول أن يجازى المجاهد عليها، إذ ليس من المعقول أن يضبط المحارب نفسه فلا يضرب إلا فى مقتل بل تنوال الضربات التى تقع من العدو وعلى العدو دون حساب كما هو الطبيعى فى مثل هذه الظروف .

٢ - لا يجوز الإجهاز على جريح^(١) بل يجب الإبقاء عليه ، وفى تاريخ الحروب العربية أمثلة تثير الإعجاب على شهامة العرب وشهادة الغرب لهم^(٢) .

(١) قاعدة عدم الإجهاز على الجريح لم يتوصل إليها القانون الدولى حتى القرن التاسع عشر الميلادى ومع ذلك يقول لا يجب أن تتبع هذه القاعدة مع أهالى البلاد المتوحشة، وأن من الرحمة بهم الإجهاز عليهم فى الحروب .

(٢) من محاضرات المرحوم الدكتور على الزينى - ألفت على طلبة قسم العلوم السياسية بكلية التجارة سنة ١٩٣٧ مادة القانون الدولى .

٣ - لا يجوز قتل المرأة والصبي غير المكلف والشيخ الفاني والأعمى المقعد إلا أن يكون أحدهم محارباً فعلاً ، ومع ذلك فالظاهر أنه لا يجوز قتل المرأة على أية حال ، فقد ذكر البارون توبه في محاضراته مستنداً إلى الكتب العربية التي أشار إليها وعلى الأخص كتاب الهداية والرقابة وكتاب الإمام ابن الحسين في السير : بأنه لا يجوز في الشريعة الإسلامية قتل المرأة ولو شجعت المحاربين على قتال المسلمين بصياحها فيهم واستنهاضها لهم ، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى امرأة مقتولة في إحدى المعارك فصاح مغضباً :

« هاه ما كانت هذه تقاتل ، » (١) .

٤ - لا يجوز قتل الرهبان وأهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس وينقطعون لعبادة الله ، ولا عبرة بكونهم غير مسلمين ، وهذا من أجل ما عرف عن المسلمين ، ويشهد لهم بالاعتدال في دعوتهم إلى دينهم وبكرم أخلاقهم .

٥ - عدم قتل يابس الشقة ومقطوع الذراع أو الأطراف مالم يقاتل فعلاً ، وفي النهي عن قتل ماورد ذكرهم فيما قلناه - عن قتل المرأة والرهبان - دليل قاطع على أن المسلمين كانوا يفرقون بين المحاربين وغير المحاربين ، وهي قاعدة لم تصل إليها أوروبا إلا حديثاً . زد على هذا أنه يظهر من قواعد الحرب عند الدول في العصر الحديث ، أنها لا تفرق بين المحارب وغير المحارب ، خصوصاً إذا اعتمد فيها على الطائرات أو القنابل الذرية كما حدثت في اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية .

٦ - لا يجوز لأفراد الجيش أو قواده قتل من يقع في أيديهم من الأسرى ، بل يجب أن يترك أمرهم للإمام أو الخليفة .

٧ - لا يجوز للمجاهد قتل أبيه المشرك في الجهاد لقوله تعالى « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ، » .

(١) مذكرات الدكتور علي الزيني

٨ - لا يجوز للجهاديين أن يرتكبوا عملاً من أعمال التخريب؛ ومن ذلك إحراق المباني والحصون وإغراق البلاد وقطع الأشجار المثمرة وعقر المواشي - ولو شق إخراجها من بلاد الأعداء إلى بلاد المسلمين - وتسميم الآبار ونحوها، ولا يجوز ذلك حتى بعد الانتصار عليهم .

أما في أثناء الحصار فقد عرفنا أنه يجوز بشرط أن يغاب على الظن عدم القدرة على كسر شوكة الأعداء إلا به .

٩ - لا يجوز قتل أحد من أهالي البلاد المغزوة إذا علم أن فيها مسلم أو ذمي؛ لاحتمال أن يكون المقتول هو ذلك المسلم أو الذمي .

١٠ - لا يجوز قتل من كف عن القتال وسلم أو أسلم، كما يجب الكف عن القتال إذا كف الأعداء عنه وطلبوا الصلح، لقوله تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» .

١١ - الإحسان إلى الأسير وقد مدح الله من يطعم الأسير في قوله تعالى: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» (١) .

١٢ - تأكيد الرحمة في الحرب ومراعاة الناحية الإنسانية، فلا بد للمسلم من أن يضرب في الحرب أروع الأمثال على الرحمة يقول الله تعالى: «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق (٢) فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها (٣)» .

فالإسلام يدعو جنده عندما ترجح كفتهم على أعدائهم وتظهر الغلبة لهم أن يكفوا عن القتل ويكفوا بالأسر لينجحوا الأسير بعد ذلك حرته، أو يفتدوا به مثله من أسراهم، وهذا يدل على معنى من معاني الرحمة التي شرعها الإسلام

(١) سورة الإنسان: آية ٨

(٢، ٣) سورة محمد: آية ٤

في الحروب فأبدل حكم القتل بالأسر، ثم جعل الأسير أكثر من فرصة ليسترد
حريته^(١).

النَّبذ

هو نقض الهدنة ونبذ الصلح، وهو لا يجوز للمسلمين تحرزاً عن الغدر
الذي نهى عنه ولا يكفي النبذ لكي يعود حق المسلمين في ابتداء القتال إذا
كان أعداؤهم قد تفرقوا عن حصونهم لكي لا يؤخذون على غرة ويكفي أن
تمر مدة تسكفي لعودتهم.

وعدم النبذ واجب في جميع الأحوال إلا في حالة واحدة وهي حالة ما إذا
حصلت من أعدائهم خيانة سواء من جميعهم أو من بعضهم، كأن اقتحموا
مراكز المسلمين أو دخلوا دار الإسلام عنوة أثناء الهدنة، وحتى في هذه الحالة يجب
أن يكون اعتداؤهم بإذن ملأكمهم وإلا وجب النبذ. وطبيعي أن للمسلمين في حالة
الاعتداء عليهم أن يردوا الاعتداء ولو كان حاصلًا من أعدائهم بغير تصريح
من رؤسائهم أو ملوكهم^(٢).

٣ - بعد الحرب :

إذا انتهت الحرب وانتصر المسلمون على أعدائهم فإنه ينتج عن ذلك بعض
مسائل تدعونا لدراستها، هذه المسائل هي :

١ - موقف الأسرى .

٢ - موقف أهالي الدولة المهزومة.

٣ - الغنائم .

(١) السلام والحرب تأليف المقدم محمد فرج

(٢) مذكرات الدكتور المرحوم علي الزيني عميد كلية التجارة سابقاً .

الأسرى

إذا وقع أسرى الحرب في أيدي المسلمين ، فلالإمام أن يتصرف فيهم بأحد الطرق الأربعة الآتية :

١ - المن . ٢ - الفداء . ٣ - الرق . ٤ - القتل .

١ - المن . هو أن يطلق الإمام الأسرى دون أن يأخذ منهم مالا ، ويردهم إلى أهليهم وبلدhem طوعاً واختياراً .

وقد جاء القرآن الكريم مبيناً ذلك في قوله تعالى :

« حتى إذا أئتمتهم فشدوا الوثاق ، فإما مناً بعدوا إما فداء ، » (١) .

وتفيد هذه الآية أنه ليس للإمام حق التصرف في الأسرى إلا بأحد طريقين هما: المن أو الفداء .

وقد من النبي عليه الصلاة والسلام على كثير من الأسرى .

٢ - الفداء : وهو أن يأخذ الإمام من الأسرى مالا فدية لهم لكي يطلق سراحهم .

وهناك طريقة أخرى وهي أن يفتدى الرجل المحارب الأسير بالرجل المسلم الذي وقع أسيراً في أيدي العدو ، أي مانعرفه اليوم « بتبادل الأسرى » .

وقد فادى النبي عليه الصلاة والسلام بجماعة من المسلمين أسارى المشركين الذين أسروا يوم بدر .

واتبع النبي صلى الله عليه وسلم طريقة ثالثة للفداء ، ألا وهي أن يقوم الأسير المتعلم بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

(١) سورة محمد: الآية ٤

٣ - الرقيق : يحدث في الأحيان ألا يمن الإمام على الأسرى أو يفديهم
ولكن يستبقهم أي كانوا رقيقاً أو عبيداً، وكان هؤلاء الأسرى يوزعون
على أساس أنهم غنائم الحرب فتحسم أي يعطى خمس عددهم للدولة أما الأربعة
أخماس فتعطى للمحاربين للراجل سهم وللفارص سهمان أي أن الفارس يأخذ
ضعف المحارب الراجل أي الذي يلسه فرس^(١) .

٤ - القتل : الإمام أن يقتل الأسرى كلهم أو بعضهم، ولكن هذا الحق
لم يستعمله الإمام إلا في حالات نادرة جداً تكاد لا تذكر. فقد ثبت عند جميع
المؤرخين ورواة الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الأسرى
(طيلة حياته) سوى ثلاثة . هم :

(١) عقبة بن أبي معيط وكان من مجرمي الحرب .

(٢) النصر بن الحرث العبدري وكان من كبار مجرمي الحرب .

(٣) أبو عزة (عمر بن عبد الله الجمحي) أسره المسلمون في غزوة بدر،
وأطلق النبي عليه الصلاة والسلام سراحه على ألا يحمل السلاح ضد المسلمين،
ولكنه غدر وحمله مرة أخرى في غزوة أحد، فأسر مرة أخرى فأمر
النبي بإعدامه .

وهناك حالة رابعة قتل المسلمون فيها أسيراً - كان ذلك في عهد عمر
ابن عبد العزيز .

روى رجل من أهل الشام عن كان يحرس عمر بن عبد العزيز قال :
« مارأيت عمر بن عبد العزيز رحمه الله قتل أسيراً إلا واحداً من الترك كان
جاء بأسارى من الترك فأمر بهم أن يسترقوا فقال رجل ممن جاء بهم

يا أمير المؤمنين: لو كنت رأيت هذا — يشير إلى أحدهم — وهو يقتل المسلمين
لكثر بكأوك عليهم ، فقال عمر : فوربك فاقتله . فقام إليه وقتله . .
وتلك حادثة واحدة إذا أضيفت إلى الثلاث حالات التي عرفناها أيام
النبي عليه الصلاة والسلام كانت أربع حالات فقط ، (١) .
وإن هذا من اقتل الجماعى الذى مارسته اليهود فى الدول التى كانت
تذصر عليها باسم التحريم .

(١) فجر الإسلام عن تفسير الطبرى جزء ٢٦ ص ٢٧

الإسلام يدعو

إلى الرحمة والشفقة أثناء الحرب

وضع الإسلام مبادئ سامية تعد من مفاخره، والتي لم تصل إليها قوانين العصر الحالي. وهذه المبادئ السامية التي تدل على خلق كريم إنما هي مظاهر من مظاهر الرحمة والشفقة على المحاربين والأسرى .

من هذه المبادئ :

١ - منع التفريق من الأم وابنها .

أصدر النبي عليه الصلاة والسلام عند توزيع الغنائم على المحاربين أمراً مشدداً بأن لا يفرق أحد بين أم وولدها من سبي بني قريظة عند ما يرغب في بيعهم . فإما البيع معاً وإما الاستبقاء معاً لأن في التفريق بين الأم وولدها تعذيباً شديداً لهما لا يقره الإسلام، بل إن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الشفقة والرحمة إلى أبعد من منع التفريق بين الأم وولدها فأصدر أمره مشدداً بأن لا يفرق أحد بين الأخت وأختها حتى يبلغا .

وقد روى الترمذى في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من فرق بين والده وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة .

وعن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يفرق بين الوالدة وولدها. فقليل إلى متى . قال حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية^(١) .

(١) غزوة بني قريظة ص ٢٣٣ .

حالة أهل البلد المفتوح

ماموقف سكان البلد المهزوم : هل يقتلون وهل تدمر المدن وتحرق ؟
وهل يؤخذ سكانها أسرى؟ - هل تدمر الآبار كما كانت تفعله الدول
الأخرى ؟ .. كلا .

ذلك أنه إذا انتهت الحرب ووقع بعض المحاربين أسرى فإن الإمام
يتصرف فيهم كما بينا من قبل .

ولكن مامركز سكان المدن ؟

لعل الدين الإسلامى هو الدين الوحيد الذى أعطى أهل المدن المهزومة
حرية نامة وتركهم يختارون الطريق التى يرضونها ، بل إن المبادئ التى وصل
إليها الإسلام فى معاملة أهالى البلد المهزوم لم تصل إليها قوانين أى دولة فى
الزمن القديم أو الحديث ، مما يدل على سمو أخلاق المسلمين ومبادئ الإسلام
القويمة .

يقول الأستاذ أحمد أمين :

« أما أهل البلد المفتوح غير المحاربين فالإمام مخير بين استرقاقهم وتركهم
أحراراً يدفعون الجزية .

وقد ترك عمر بن الخطاب أهل سواد العراق أحراراً وفرض على كل
شخص الجزية وحدد مقدارها حسب مركزهم المالى ، (١) .

وحين فتح المسلمون فارس ، وقد فتحت عنوة ، فإن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه تصرف بما أملمته روح الإسلام فاستبقى الأرض لأهلها وفرض عليها
الخراج ، مع أن نصوص الإسلام تبيح للفاتحين المسلمين أن يستأثروا بكل

(١) فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين الجزء الأول ص ٨٦

ما يملك المحاربون، ولكنها الأخلاق الإسلامية السامية التي تركت لأهالي البلد المغلوب أن يتمتع بأرضه وخيراتها .

كما أتاح لها التمتع بمزاياها جميعاً دون قيد أو شرط، بل دعا أهلها إلى الانتفاع بكافة الوسائل من خيراتها، ولم يتم حاجزاً من اللون أو الجنس أو الدين أو اللغة أمام أحد .

فاستطاع الجميع أن يبذلوا نشاطهم لخير الجميع، ولم يكن مرفق من مرافق الحياة العامة موقوفاً على أبناء الفاتحين، حتى إن بعض الولايات العامة كانت من نصيب أهالي الدولة المفتوحة كما أن أموال كل بلد كانت تنفق في مصالحه أولاً فلا يرسل إلى بيت المال العام إلا ما فضل منها، فلم تكن البلاد المفتوحة مستعمرة يعيش الفاتحون من دماء أهلها وأموالهم، بل كان أهلها الأصليون يتمتعون بخيراتها، كما أن الإسلام كفل لأهل البلاد المفتوحة الحرية في مزاوله شعائرهم الدينية^(١) .

الأشهر الحرم والنسيء

يقول الله تعالى « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين . إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله . زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين » .

النسيء :

النسيء هو الزيادة أو التأخير :

قال بعض العلماء إنه التأخير أى تأخير شهر عن وقته الأصلي وإحلال شهر مكانه فمثلاً ترتيب الشهور العربية هي شوال وذى القعدة وذى الحجة ومحرم وصفر فإذا أرادت العرب أن تؤخر شهراً فإنها تقدم شهراً وتؤخر آخر أو تبده ، فيقولون شوال وذى القعدة وذى الحجة وصفر ومحرم ، فيضعون شهر صفر محل محرم . أى أن النسيء هو إبدال شهر مكان شهر دون زيادة في عدد الشهور في السنة فالنسيء هو تقديم شهر وتأخير شهر آخر دون زيادة في عدد الشهور في السنة، وكان الشهر المقدم والشهر المؤخر يسميان

في العال ب باسم شهر واحد . وفي السنة التالية يبدون الشهر المؤخر بالشهر المقدم .

وقال بعض آخر من العلماء إن النسء ينطوى على معنى الزيادة لأن كل زيادة حدثت في شيء فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة لسبب ما حدث فيه نسء ، ولذلك قيل للبن إذا كثر بالماء نسء ، وقيل المرأة الحبل نسوء ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها ،^(١) .

لماذا كان النسء :

كان العرب ينسئون الشهور لأسباب عدة :

١ - أغراض دينية .

٢ - أغراض اقتصادية .

٣ - أغراض حرية .

كان الحج في الخريف ، كما كانت الرجة في الربيع ، وكان الشأن كذلك أيضاً فيما يتعلق بالتجارة ، فقد كانت أسواقهم تجتمع في أوقات معلومة من الحول تحدد بالأشهر ، ولسكنها كانت أوقاناً ترتبط بنضح الثمار والمحاصيل وهبوب الرياح التي تسير السفن فكانت ترتبط بالسنة الشمسية .

كذلك كان النسء عند العرب هو لحاجتهم إما لشن الغارات وطلب الثأر وإفساح الوقت لاستمرار الحرب ، أو من أجل الترخيص في القتال . وبدأ العرب كما يذكر كثير من المؤرخين يعرفون نظام النسء - قبل الهجرة بحوالي مائتي عام تقريباً .

(١) تقويم العرب في الجاهلية عن تفسير الطبرى جزء ٩١/١٠ ، للأستاذ

النسيء عند اليهود

إن كلمة نساء وما اشتق منها موجودة في اللغة العبرية ، والفعل نساء يفيد التأخير والرأسة والزواج ، وأطلق لفظ نساء على المرأة المتزوجة ، لأنه عند زواجها يتأخر حيضها عن ميعاده المعروف .

كان اليهود يلبسؤون أى أنهم كانوا يزيدون شهراً كل ثلاث سنوات ، أى تصبح السنة الثالثة ثلاثة عشر شهراً بزيادة شهر عن السنة العادية . وبالتفصيل نقول إنه كل تسع عشرة سنة يكون من بينها سبع سنوات كبيسة ، أى أن كل سنة من هذه السبع سنين تحوى شهراً زائداً أى ثلاثة عشر شهراً .

لماذا ينسيء اليهود :

عمد اليهود إلى أن تتوافق سنتهم القمرية مع سنتهم الشمسية لكي تكون أعيادهم في فصول خاصة من السنة ، فعمدوا إلى زيادة عدد من الأيام لكي يوائموا بين السننتين القمرية والشمسية وأدى بهم ذلك إلى زيادة شهر على أشهر السنة العادية ، وأصبح لديهم بعض سنين تعرف بالسنة الكبيسة وهى التى تحتوى على ثلاثة عشر شهراً .

ويقول بعض المؤرخين إن اليهود تعلموا فكرة النسيء من البابليين أثناء وجودهم في بابل أيام السبي البابلي .

النسب عند العرب

ذلك أن العرب كانت تسكس لتوأم بين أشهر الحج وأشهر الخصب
أو الأشهر التي يكون فيها الطقس ملائماً .

قلنا إن العرب عرفت النسب كما عرفه اليهود، ولكن من الذي عرفه قبل
الآخر؟ يقول البيروني في كتابه « الآثار الباقية » إن العرب في الجاهلية تعلموا
السكس من اليهود المجاورين لهم قبل الهجرة بقريب من مائتي سنة فأخذ
العرب يعملون^١ بما شاكل فعل اليهود من إلحاق فضل ما بين سنتهم وسنة
الشمس شهر بشهورها،^(١).

أوجه التشبه بين النسب عند العرب في الجاهلية وعند اليهود .

هناك أوجه تشابه يمكن ذكرها فيما يأتي :

١ - اللفظ نسا وما تفرع من اللفظ .

يفيد في اللغتين العربية والعبرية معنى واحد أو هو التأخير .

٢ - استعمال اللفظ في اللغتين في كبس شهور السنة، أي الزيادة في الأشهر

أو عدد الأيام .

٣ - أدى اللفظ بمعنى التأخير فيما يخص النساء فالمرأة يطلق عليها

نسوى في اللغة العربية إذا تزوجت وحملت ، وذلك لأن الحيض يتأخر

بعد زواجها وحملها .

وكذلك يطلق على المرأة التي تزوجت فقط نسوى عند العبريين، وذلك

لأن الحيض يتأخر بعد زواجها .

٤ - سبب الكبس ديني .

ذلك أن العرب كانت تسكبس لتوائم بين أشهر الحج وأشهر النصب أو للأشهر التي يكون فيها الطقس ملائماً .

أما اليهود فكانوا يكبسون أيضاً لكي تلائم أعيادهم وقت ما حددته توراتهم (على حد ما جاء في التوراة الحالية) فثلايحي عيد الكبور في عشرة من تشرين، ويجب أن يكون شهر تشرين موافقاً للخريف (شهر سبتمبر أو أكتوبر من كل سنة) وعلى ذلك يجب الكبس عندهم لملاءمة أعيادهم لفصول السنة كما نصت توراتهم على ذلك .

أوجه الخلاف بين العرب واليهود

حول فكرة النسيء

اختلفت فكرة النسيء عند العرب عنها عند اليهود في بعض مواضع

أهمها :

١ - إن العرب في بعض الأحيان كانوا يقدمون شهراً مكان شهر ، ولكن اليهود لا يفعلون ذلك فهم لا يحملون شهراً مكان شهر .

٢ - أن اليهود يضيفون شهراً في كل عدد من السنين فكما قلنا إن كل ١٩ سنة يوجد من بينها سبع سنوات تحوى كل منها شهراً إضافياً يسمى آذار الثاني .

٣ - إن زيادة الأيام عند العرب لم يكن لها مسمى ، ولكن اليهود أطلقوا على الشهر الزائد اسم آذار الثاني .

٤ - أن الكبس كان بأمر ديني فالتوراة والتلمود تأمرهم بذلك ، فقد جاء في التلمود البابلي - (فصل سنهدين ص ١١ - أ) إن الكبس لا يؤمر به إلا بأمر

رئيس السنهدين، وقد أصدر المحام جمليل الأول رئيس السنهدين والنسب - في الثلث الثاني من القرن الأول الميلادي أمراً بكبس سنة من السنين،^(١).

أما عند العرب في الجاهلية فكان الكبس يأمر به جماعة منهم ويقوم بإعلانه شخص يختارونه من بينهم أو أن يقوم بهذه الوظيفة لمدة من الزمن هذا الرجل المختار .

حول استمرار الشمس في كبد السماء

حتى يتهى يشوع من الحرب

جاء في التوراة د حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأوريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قر على وادي أيلون فدامت الشمس ووقت القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فية الرب صوت إنسان لأن الرب حارب عن إسرائيل،^(٢).

ونفهم من نصوص التوراة أن نسيئاً حدث ، ويظهر ذلك في تأخر الشمس عن غروبها المعتاد يوماً كاملاً د فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ، أى أن التأخير حدث ولو ليوم واحد؛ والنسب في معناه هو التأخير ، ولم يحدد مدة هذا التأخير .

(١) تقويم العرب في الجاهلية ص ٥١

(٢) سفر يشوع لإصحاح ١٠ / ١٢

ويمكن أن نفهم أيضاً أن هذا النسيء حدث بسبب الحرب ولم ينشأ عن أسباب جغرافية « لأن الرب حارب عن إسرائيل » .

ويرى بعض العلماء أن هذا النسيء كان بسبب ديني لأن يشوع خاطب ربه وسمع الرب لصوت يشوع .

هكذا تقول التوراة وقد نقلت التوراة عن مصدر آخر هو كتاب باشر .

النقد الموجه إلى هذه النصوص

يوجه بعض العلماء بعض الانتقادات إلى هذه النصوص :

١ - تقول التوراة إن هذه النصوص منقولة عن سفر آخر هو سفر ياشر « أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر » ، فأين هو سفر ياشر - متى كتب - من الذي كتبه هل هو موجود الآن - هل كل ما كتب في هذا السفر صحيح ، ومن ذلك؛ جاءت النصوص الخاصة بتأخير الشمس عن موعدها معرضة للنقد حيث إنه منقول من سفر مجهول حتى اليوم : والمنقول عن مجهول مجهول .

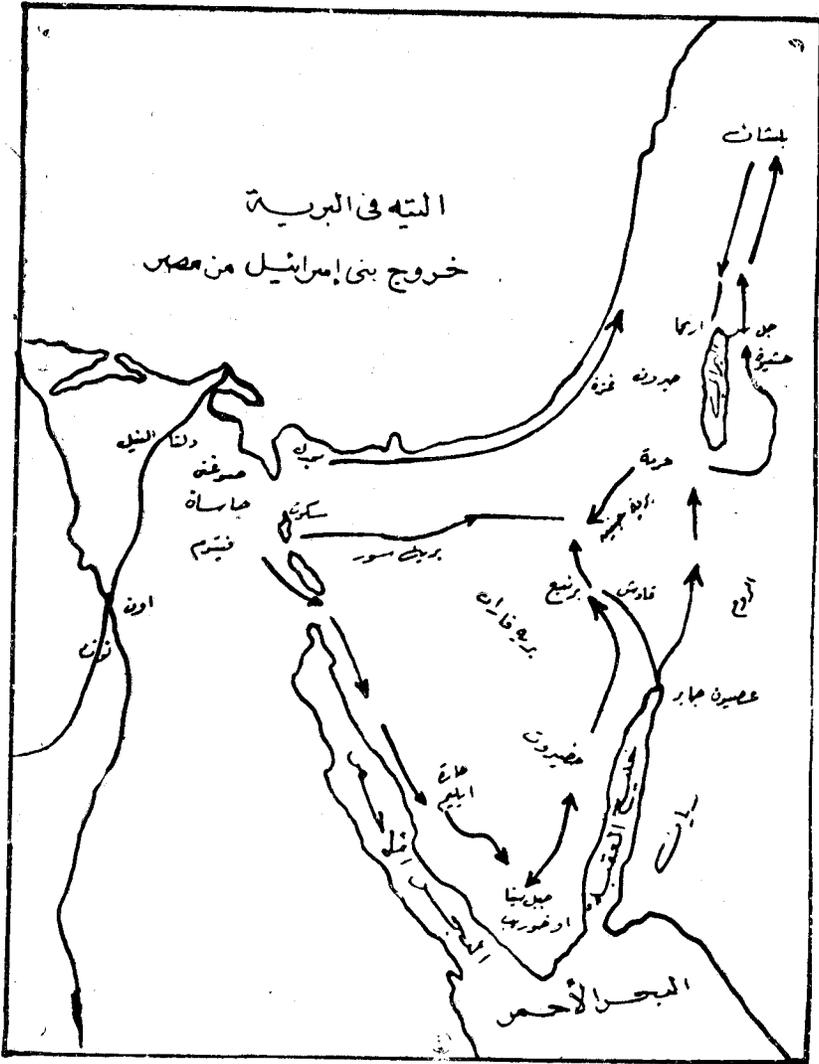
٢ - إن القمر يبقى والشمس تبقى كل ينير مكانه - هذا لا يتأتى إلا في نصف الكرة الأرضية ، ولكن النص الذي أمامنا وهو « يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون » .

فمعنى ذلك أنهما كانا ينيران سوياً في وقت واحد في منطقة واحدة متجاورة - وهذا جغرافياً لا يمكن حدوثه .

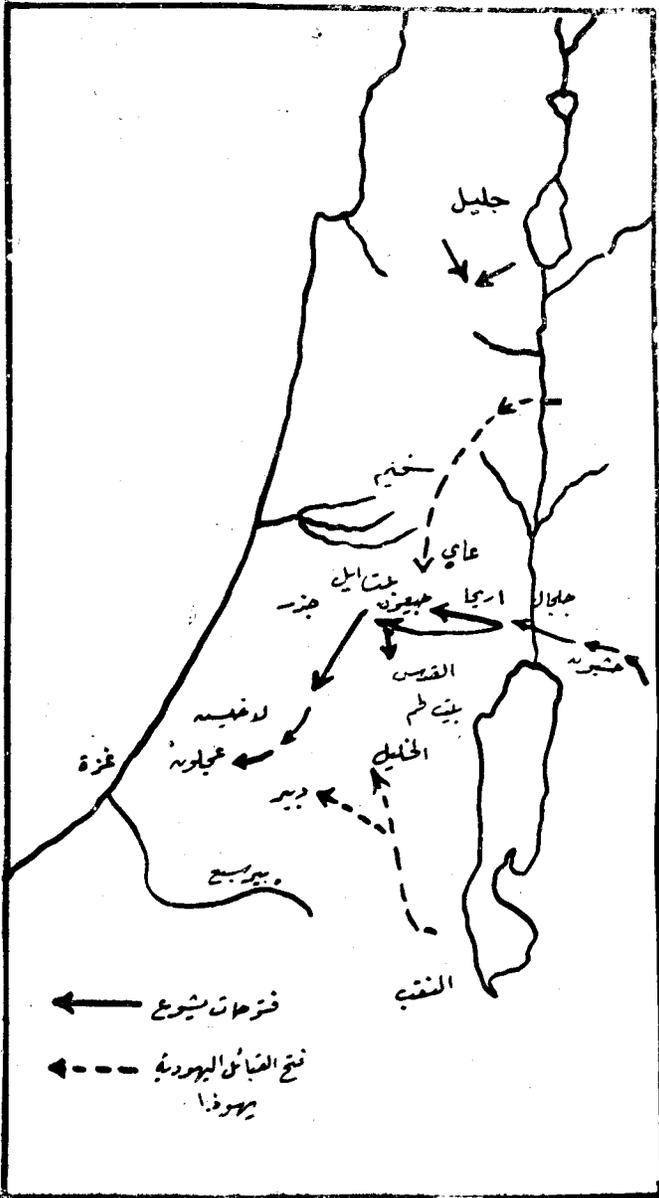
النتيجة

إن اليهود عرفت النسيء عن إحدى طرق ثلاث :

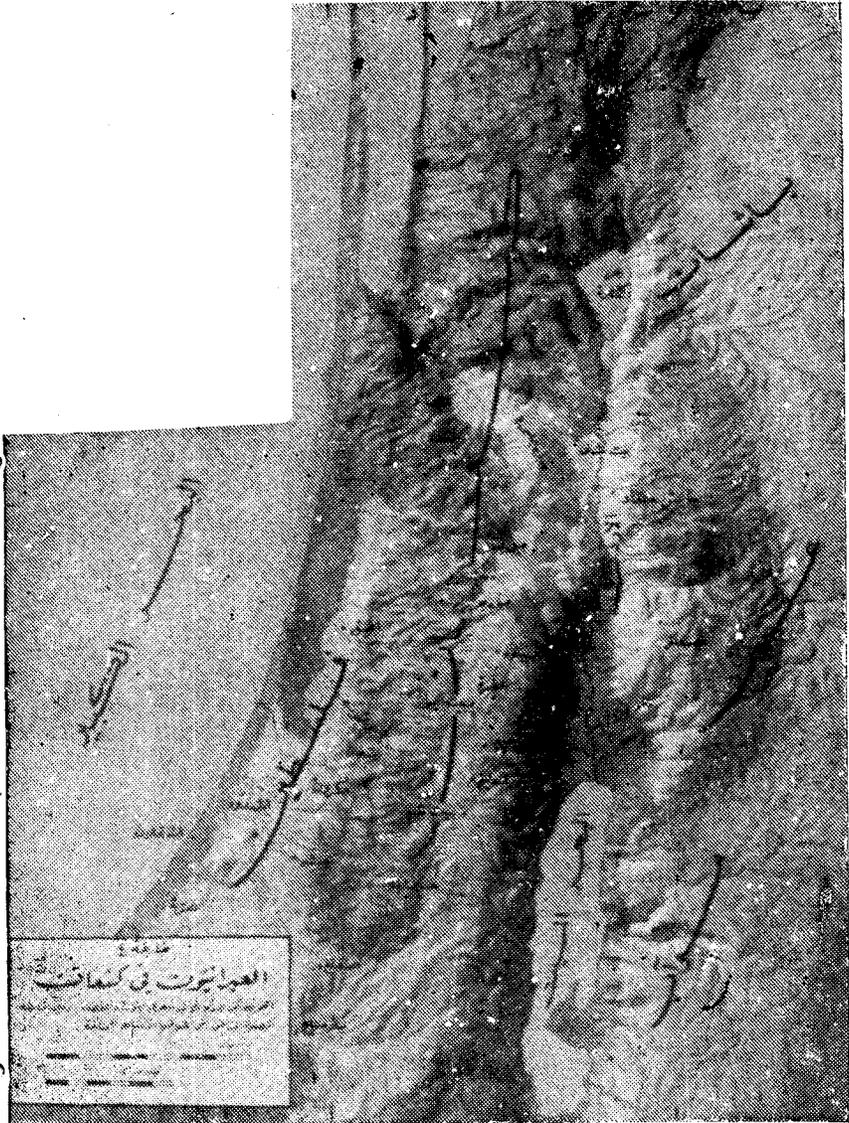
- ١ - سفر ياشر الذي نقلت عنه التوراة ولا وجود له حتى اليوم .
- ٢ - عن البابليين عندما كانوا في المنفى ، ذلك أن اليهود بقوا في بابل أثناء السبي البابلي مدة تقرب من سبعين عاماً ، وقد تعلموا من بابل العلوم الكثيرة والتي كان من بينها علم الفلك الذي اشتهرت به بابل منذ العصور القديمة .
- ٣ - عن المصريين ، إذ أن المصريين عرفوا النسيء وأطلقوا عليه «الكبيس» .



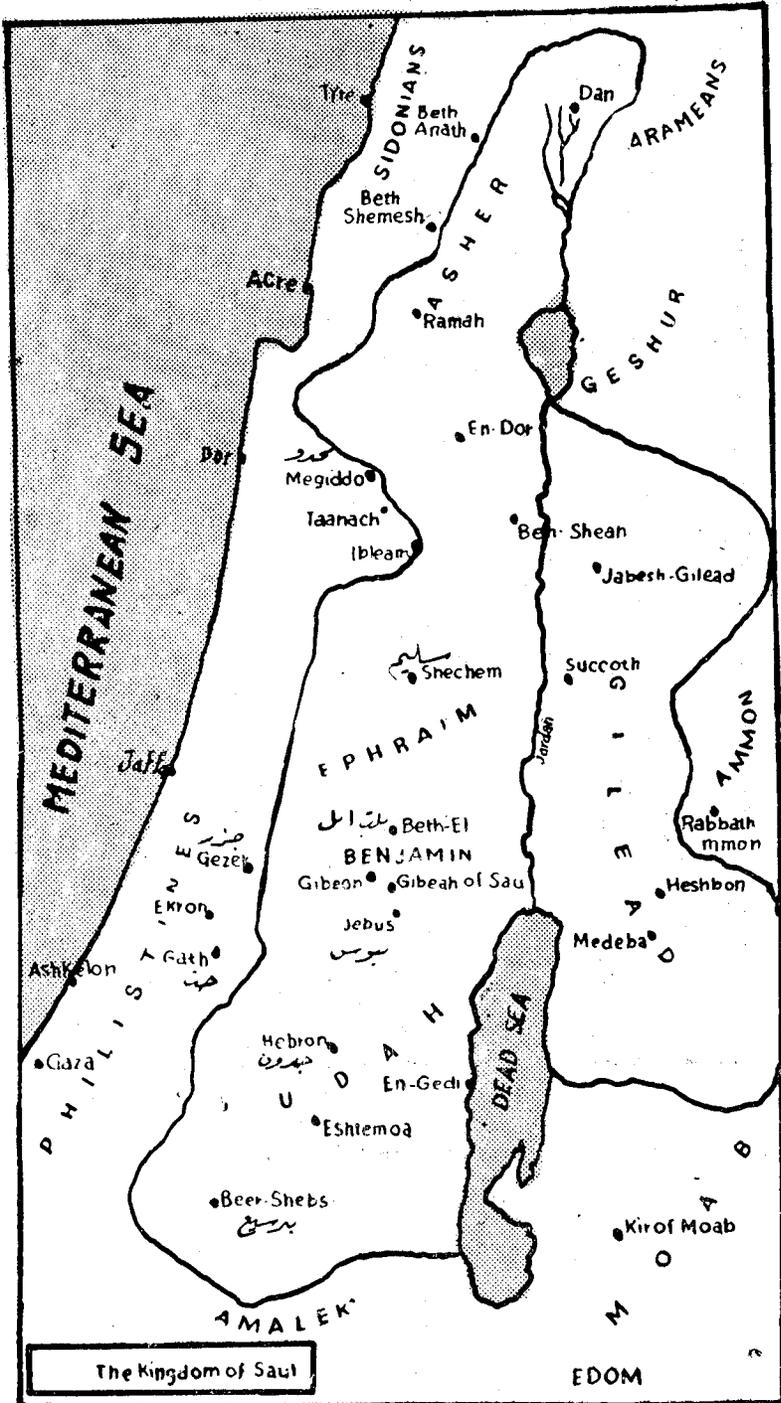
خروج بني إسرائيل من مصر



حروب يسوع



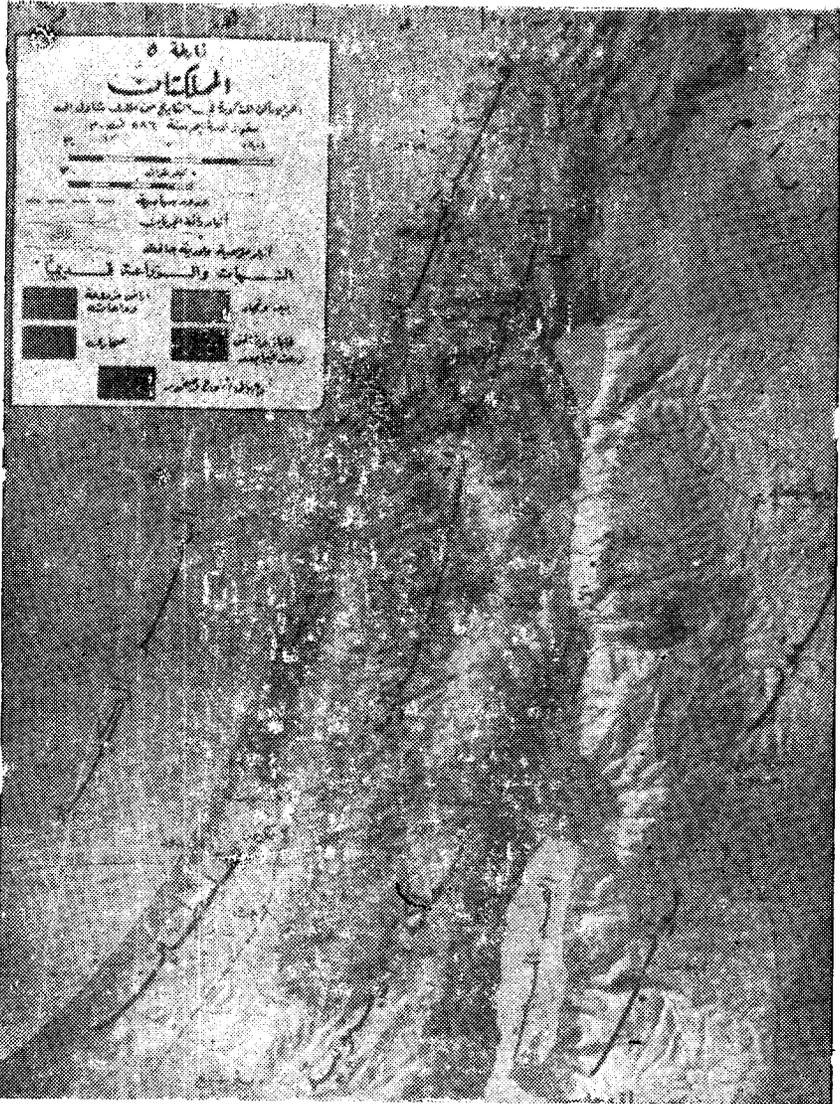
العبرانيون في كنعان



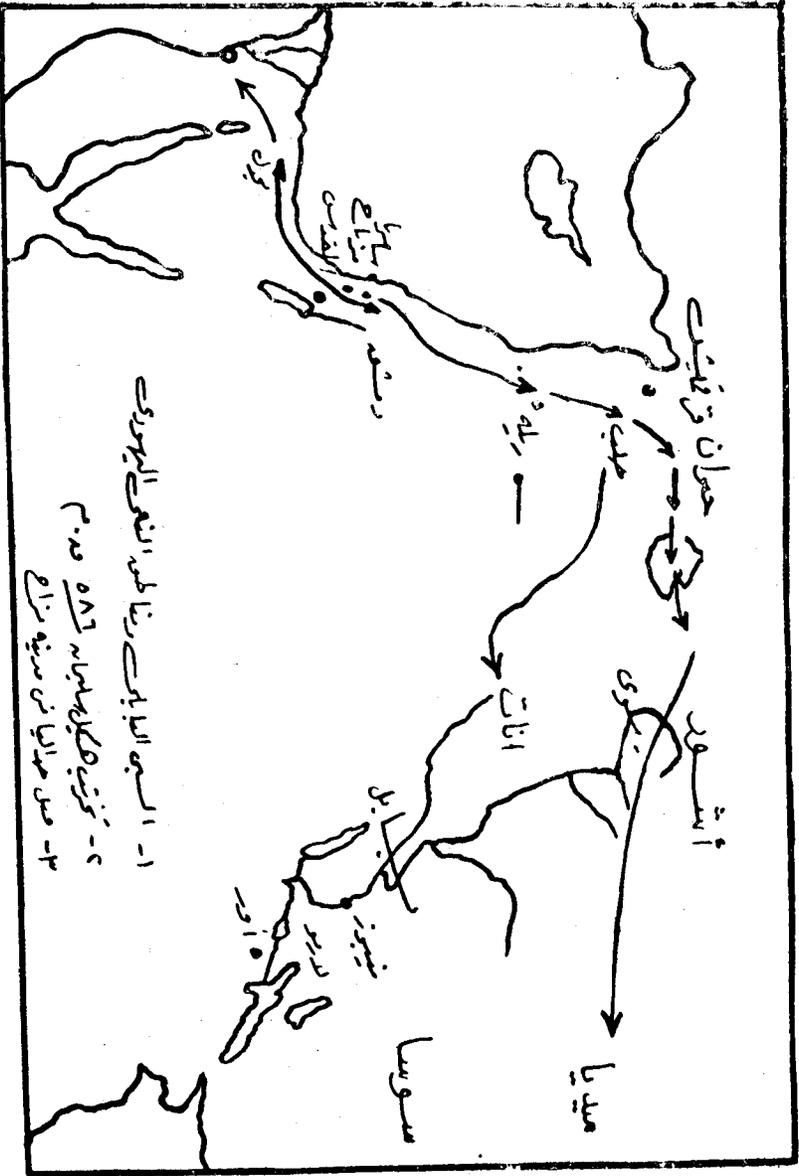
ملک شاول



فلسطين في عهد داود



مملكتي يهوذا وإسرائيل بعد انقسام مملكة داود وسليمان



- ۱- اسبجہ البابک رسنا طبرہ انعمی البهروری
- ۲- تخمینہ طبرہ البابک ۵۸۶ م ۳۰۰ م
- ۳- صل حلالیا بن سنیہ سناع

المراجع

أولاً - المراجع العربية :

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الأحاديث النبوية
- ٣ - التوراه (الأسفار)
- ٤ - في عالم الحرب : تأليف محمد عبد العزيز منصور
- ٥ - الربا : تأليف السيد محمد عاشور
- ٦ - العقلية الصهيونية - رسالة ماجستير مقدمة من العقيد ا . ح ابراهيم سالم شكيب .
- ٧ - الحرب الوقائية في الاستراتيجية العسكرية - رسالة ماجستير للاستاذ جميل عائد على الجبوري .
- ٨ - الفكر اليهودي : تأليف ج . هـ . هرتز ، تعريب الفرد يلوز
- ٩ - موضوعات التوجيه المعنوي .
- ١٠ - الفكر الديني الإسرائيلي : للدكتور حسن ظاظا
- ١٢ - القراؤن والربانيون : للاستاذ مراد فرح
- ١٣ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام
الدكتور علي عبد الواحد وافي
- ١٣ - من الأدب العبرى : للدكتور فواد حسنين علي
- ١٤ - عبقرية المسيح للاستاذ عباس محمود العقاد
- ١٥ - تفسير المنار : الجزء الثاني

- ١٦ - التلمود
- ١٧ - أنبياء بني اسرائيل ترجمة الدكتور حسن ظاظا
- ١٨ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : إخراج دكتور عبد الوهاب المسيري
- ١٩ - اليهود في مصر في عهد البطالسة والرومان للدكتور مصطفى عبد العليم
- ٢٠ - حرب اليهود مع الرومان : تأليف يوسفوس الترجمة الإنجليزية
- ٢١ - القدس الخالدة : تأليف دكتور عبد الحميد زايد
- ٢٢ - حضارة الشرق الأدنى القديم - دكتور محمد أبو المحاسن عصفور
- ٢٣ - تاريخ الحروب .
- ٢٤ - حضارة الشرق الأدنى القديم : تأليف دكتور نجيب مينخايل
- ٢٥ - النظم الإسلامية - نشأتها وتطورها : للاستاذ صبحي الصالح
- ٢٦ - السلام والحرب في الإسلام : للقدم محمد فرج
- ٢٧ - الدولة الفاطمية في مصر تأليف دكتور محمد جمال الدين سرور
- ٢٨ - النظم الإسلامية : تأليف دكتور حسن ابراهيم حسن
- ٢٩ - الدولة الفاطمية في مصر : تأليف دكتور محمد جمال الدين الشيبال
- ٣٠ - قاموس الكتاب المقدس
- ٣١ - المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده : للدكتور فؤاد حسنين على
- ٣٢ - الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار : تأليف فتحى الرملى
- ٣٣ - قاموس اللغة العبرية : تأليف إقلاديوس لبيب

- ٣٤ - الأخلاق والعادات : تأليف العلامة لبون دي مودينو
- ٣٥ - الإسلام والمستقبل : للدكتور عبد العزيز كامل
- ٣٦ - أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام للدكتور محمود عبد المولى
- ٣٧ - قصة الحضارة : تأليف ولز : ترجمة محمد بدران
- ٣٨ - دائرة المعارف البريطانية
- ٣٩ - دائرة المعارف اليهودية
- ٤٠ - لارق في الإسلام : تأليف ابراهيم هاشم فلالي
- ٤١ - قصة الملكية في العالم : للدكتور علي عبد الواحد والى
- ٤٢ - تفسير القرطبي
- ٤٣ - كتاب مائة سنة من تاريخ اليهود (١٨٤٠ - ١٩٣٩) : تأليف
ميخائيل آساف
- ٤٤ - مذكرات الدكتور رشاد الشامى ألقاها على طالبة السنة الثالثة -
كلية الآداب قسم اللغة العبرية - جامعة عين شمس
- ٤٥ - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - الموسم الثقافي ، سنة
١٩٧٣ - ١٩٧٤ .
- ٤٦ - علم الدولة للأستاذ أحمد وفاق .
- ٤٧ - غزوة بني قريظة للأستاذ محمد أحمد باشميل
- ٤٨ - مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البريدية : للدكتور
عبد اللطيف أحمد على

- ٤٩ - المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية : تأليف بديعه أمين
- ٥٠ - فجر الإسلام : للاستاذ أحمد أمين
- ٥١ - محاضرات المرحوم : الدكتور على الزيني عميد كلية التجارة
ألقيت على طلبة كلية التجارة قسم العلوم السياسية سنة ١٩٣٧
- ٥٢ - شريعة القتال في الإسلام : تأليف عثمان السيد الشرفاوى .
- ٥٣ - الإسلام والحضارة العربية : تأليف محمد كرد على
- ٥٤ - تقويم العرب في الجاهلية للاستاذ عبد المحسن الحسينى
- ٥٥ - الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة رسالة مقدمة من مقدم عادل رياض

المراجع الأجنبية :

- 57 — Introduction a L'ancien testament par Lucien gautier.
- 58 — Monuments facts, Higher critical fancies by A. H. Sayce.
- 59 — Dictionnaire Thoalogique.
- 60 — Judaism by george Foote.
- 61 — Le civilis ation d'Israel Par Bertholet.
- 62 — The New compact Bible Dictionary.
- 63 — Haftara by Hitz .
- 64 — Expositors Bible by Roberts on Nicola.
- 65 — Essais sur la Pentateque Par grand Pierre.
- 66 — Institutions de moise Par Salvador.

مؤلفات الدكتور حسن ظاظا

باللغة العربية :

- (١) القدس مدينة الله أم مدينة داود
- (٢) العالم العربي المعاصر ومشاكل الفن التشكيلي
- (٣) اللسان والأنسان
- (٤) الساميون ولغاتهم
- (٥) كلام العرب
- (٦) الفكر الديني الإسرائيلي - أطواره ومذاهبه
- (٧) إسرائيل ركيزة الاستعمار في العالم الإسلامي
- (٨) الصهيونية العالمية وإسرائيل
- (٩) اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة بالاشتراك مع السيد محمد عاشور

باللغة الفرنسية :

- (١٠) المصطلح الديني في التوراة مقارنة بترجمته عند العلامة سعاديا الفيومي
- (١١) القسم عند الساميين القدماء
- (١٢) المناهج النحوية العربية وأثرها على العلامة ابن جناح

باللغة العبرية :

- (١٣) دراسات في تأثير الفقه الإسلامي على فقهاء اليهود في العصور الوسطى .
- (١٤) حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل مترجم من العبرية إلى العربية .

تحت الطبع :

(١) تاريخ اليهود عشرة أجزاء

(٢) العقلية الاسرائيلية

(٣) العبريون ومدينة القدس

(٤) معجم الحيوان باللغة العبرية

مؤلفات السيد محمد عاشور

- (١) الربا عند اليهود
- (٢) مركز المرأة في الشريعة اليهودية .
- (٣) اليهود ليسوا تجارا بالانشأة بالاشتراف مع الدكتور حسن ظاظا
- (٤) صناعة الكرافات وتجارها في مصر
- (٥) صناعة وتجارة الأقمشة في مصر جزآن
- (٦) دراسة في الفكر الاقتصادي العربي - أبو الفضل جعفر بن علي
الدمشقي .

(٧) رواد الاقتصاد العرب

(٨) التكوين في الإسلام

تحت الطبع :

(١) قاموس ومصطلحات أسماء الأقمشة

(٢) دراسات في الديانة اليهودية .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	الباب الأول : التعريف بالتوراة
١٣	الباب الثاني : الحرب : الطوائف اليهودية - المسيحانية - أنبياء اليهود
٥١	الباب الثالث : قواعد التنظيم العسكرى - لدى اليهود - المرأة اليهودية والحرب - عادات اليهود وتقاليدهم
٩١	الباب الرابع : اليهود يشتغلون جنوداً مرتزقة لدى الدول الأجنبية
١٠٩	الباب الخامس : التويل والتوين
١١٨	الباب السادس : وسائل الدفاع والهجوم لدى اليهود الأسلحة فى الدول القديمة - الأسلحة عند الإسرائيليين
١٤٤	الباب السابع : فنون الحرب - الجاسوسية - الكمين - الحصار
١٦٥	الباب الثامن : الهندسة العسكرية - التحصينات

- الصفحة الموضوع
- ١٨٠ الباب التاسع :
بعض المدن القديمة ذات الشهرة الحربية
- ١٨٦ الباب العاشر :
الطرق وأهميتها في الأزمنة القديمة - الطرق وأهميتها في إسرائيل
- ١٩٣ الباب الحادي عشر :
طرق النقل العسكري
- ١٩٩ الباب الثاني عشر :
قيام الحرب وانتهائها - من له حق إعلان الحرب - الصلح
حالة انتصار اليهود - التحريم - التناغم
- ٢٤٠ الباب الثالث عشر :
انهزام اليهود - الانتحار
- ٢٤٥ الباب الرابع عشر :
الحرب الأهلية
- ٢٥٠ الباب الخامس عشر :
قانون العودة
- ٢٦٠ الباب السادس عشر :
الأسماء العبرية
- ٢٦٣ الباب السابع عشر :
هل أباد اليهود الشعوب التي كانت تسكن فلسطين

الصفحة

الموضوع

٢٧٠

الباب الثامن عشر :

اليهود في بلاد العرب — الحرب بين المسلمين واليهود
الاسلام يدعو إلى السلم وتجنب الحروب

٢٩١

الباب التاسع عشر :

مقارنة بين الاسلام وغيره من الأديان الأخرى
انشاء هيئة تعمل للسلام

٢٩٦

الباب العشرون :

كيف يعامل الاسلام أعداءه

استدراك

وقعت سهواً بعض أخطاء مطبعية فمثلا الباب التاسع عشر ورد بدلا

منه الثامن عشر صفحة ١٧٠

فترجو ملاحظة ذلك وقبول اعتذارنا ؟